



شعار أئمة علي أسس جنة عارضا - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

المجزء السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب الاثنينية

(٢٤)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

محمد حسين زيدان

الجزء السابع

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ح) عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زيدان ، محمد حسين

الأعمال الكاملة . / محمد حسين زيدان . - جدة ١٤٢٦هـ
(٧ مج ٤٥٧٦ ص) الجزء السابع ٤٧٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم (كتاب الاثنينية ٢٤)
ردمك ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)
٠-٧٤٦-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٧)

١ - زيدان ، محمد حسين ٢ - التاريخ الاسلامي
٣- الأدب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٩٥٣ ١٤٢٦/٢٠٣٢

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٣٢

ردمك : ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)
٠-٧٤٦-٤٧-٩٩٦٠ (ج ٧)

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

فهرس المحتويات

النشر	الشر
كلمات متنوعة - ١ -	كلمات متنوعة - ١ -
«من فقه التاريخ» (١) العربي المسلم والمسلم العربي	«من فقه التاريخ» (١) العربي المسلم والمسلم العربي
إن هذه أمتكم .. أمة واحدة	إن هذه أمتكم .. أمة واحدة
سخر اليهود قوة الولايات المتحدة .. لتسخر إسرائيل من هيبة	سخر اليهود قوة الولايات المتحدة .. لتسخر إسرائيل من هيبة
الولايات المتحدة! ..	الولايات المتحدة!
انسحاب من الأفغان .. ولا انسحاب من فلسطين	انسحاب من الأفغان .. ولا انسحاب من فلسطين
كفران الماضي ضياع	كفران الماضي ضياع
الكحول من القمح .. والجوع للإنسان ..	الكحول من القمح .. والجوع للإنسان
اسمها .. رابطة العالم الإسلامي	اسمها .. رابطة العالم الإسلامي
حديث اللغة الشاعرة	حديث اللغة الشاعرة
العروبة لسان قرآن .. أرض جنان	العروبة لسان قرآن .. أرض جنان
حوار بين عباسي وأموي	حوار بين عباسي وأموي
براعة استهلال .. روعة استقبال .. نعمة التوفيق	براعة استهلال .. روعة استقبال .. نعمة التوفيق
الحاخام يشتري القدس!	الحاخام يشتري القدس!
ذكرى الهجرة	ذكرى الهجرة
طبل وزمر .. لا تمر وجمر!	طبل وزمر .. لا تمر وجمر!

..... ذكرى اليوم الوطني

..... كاهان.. أم كل الكهان؟! ..

..... صور بيضاء.. وأخرى سوداء ..

..... الإعلام: بين الإثارة والتأثير ..

..... تقصي الحقائق ..

..... رأي المراقب الإمام الملك ..

..... أنغام الحرب.. في ألغام البحر ..

..... الشكر لله ثناء ودعاء.. والتحية لأقبال الخليج شكراً ووفاء ..

..... نفثة مصدور.. وتنفس مقهور..! ..

..... فلسطين في مؤتمر جنيف ..

..... تزينت اليمامة واشمخرت ..

..... من شاعر الربابة إلى الإذاعة ..

..... تداعي الأكلة على القصعة! ..

..... مبادرة أم.. مناورة؟ ..

..... بكره السفر ..

..... صور من الكشكول! ..

..... **إمبراطورية شوقي** ..

..... الحرب الباردة.. وقودها العرب! ..

..... أوروبا والعرب ..

..... السلحفة الحيزيون! ..

..... المناورات في الخليج لجيش واحد ..

..... وعاش الملك ..

..... رأي المراقب ..

..... الشعر لا ينظم بقانون! ..

تمر وجمر

فقيد الإسلام والعروبة

حديث إلى الرئيس

التحايل على التحول!

غروميكو يستقبل شامير

سَمِّمُوا البنات لتفريغ الأرض!

ثلاثون شهراً . . . ثلاثون عاماً؟!

أوروبا وأفريقيا

صولجان التغيير . . لا سلطان للتدمير

فضيحة الطغيان . . فرقت الأعوان

النقد لم يأكل التراث

الوطنية . . أرض وأخلاق

اليهود يتسترون . . فلماذا؟

ندوة الزقازيق

الدولار . . القيمة والتقويم

نجيب محفوظ . . وابن التلاميذ في السويد

قالت طابا

ذكرى اليوم الوطني مواقف البطل وديرة الإسلام

يا سارية الجبل . . أنحرّ شار

العرب . . أمة واحدة

لجنة العفو وحقوق الإنسان

السودان: إسلامه طاعة وعروبه استطاعة

قلال هجر . . براميل زيت

وما زلتُ قوميّ المشاعر

.....	مكارم الأخلاق والعرب
.....	«لم يكونوا كوفيين ولا مصريين ولا شاميين»
.....	العرب من هم؟ ما هم؟
.....	اللغة الشاعرة بين الحقيقة والاصطلاح
.....	كتاب الروائع أمس... أين هم اليوم؟
.....	الخوف صانعها والرعب مانعها
.....	أجر الكاتب
.....	سارق الدجاج
.....	ما سألوا الجندي الأحمر
.....	جريدة الرياض
.....	الشجاعات والجود
.....	مع القردة
.....	المربد والعروبة
.....	الثعلب والأرنب
.....	حتى العنز
.....	المكارم
.....	شامير بلفور الثاني
.....	لم يتضح موقف اليهود في أوروبا
.....	الصبر والإيمان
.....	الإحالة إلى التقاعد
.....	العائشان بلا حياة
.....	أدب الإمام
.....	حرية أوروبا (استقطاب) آسيا وإفريقيا (١)
.....	الانتساب إلى بلد لا يلغي نَسَبَ الولد

- الماس فحم
- الفتنة ومحمد بن سلمة
- لا كوفي ولا مصري ولا شامي
- حفظ الله الحرمين من البغاة
- حرية أوروبا استقطاب آسيا وإفريقيا (٢)
- بماذا انتصرت الشعوبية ولماذا صبرت؟
- التفاؤل والتجربة الرائدة
- اليهودُ عصاة والعرب أمة
- اللغة الشاعرة لا يتأقلم شاعرها
- الازدواجية
- عبد الله بن خميس: يمامي وتكريم تهامة
- ازدواجية الكرادلة
- الوسيلة مطية الغاية!
- البصير العاشق
- متى حج الإيراني بَرًا؟
- الصخر أثمر والنهر أصحر
- الزحف الروسي الرابع والعشرون
- الأرض لا تأثم
- القمّة العاشرة
- الحوار العربي الأوروبي
- دقة التوقيت بين الصاروخ والنقاط العشر
- الفاو . . النصر والتعمير
- جزيرة العرب . . المدد ومن إليها الامتداد
- أمراً القيس السؤال والإجابة

.....	عن ميخائيل . . . وميخائيل
.....	أطفال لبنان اليتامى !
.....	عبد العزيز ما رضى الخلافة فاسترضى التآلف
.....	دموع الجوع . . طهر العفة
.....	من فقه التاريخ بشائر الفتح
.....	محمد عمر توفيق . . وإملاء الرافعي
.....	مع الأستاذ الرافعي وعن الرحلة الحجازية وجدة
.....	نبذة عن بيت علوم
.....	تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ
.....	إسرائيل . . الزولو بعد الفلاشا
.....	تحديد الحجيج وعودة الذاكرة
.....	أنيشتاين والحجارة
.....	الشعب الإمبراطور
.....	إيمان سلمان . . لا حقد الهرمزان
.....	العرب هدف . . !!
.....	كانت بيوت الضيافة . . لا فتادق
.....	صُور . . ثلاث
.....	حرب السلام . . دولة فلسطين
.....	الإيمان حرية بلال وسلمان
.....	أيام وليالي
.....	مرحبا بالترك سندا للعرب
.....	فهرس المحتويات

النشر

كلمات متنوعة

- ٢ -

«من فقه التاريخ» (١)

العربي المسلم والمسلم العربي

وهذا العنوان أكتبه لأنني أعرف الفرق بين عروبة المسلم وإسلام العربي ، وما كان ذلك عن الشكل والموضوع ، فهما بهذا لا يختلفان وإنما هي النظرة إلى استقراء التاريخ والمناظرة بفقه التاريخ ، فالعربي المسلم منذ جمع الله شمله في وحدة نواة أمة ، وعلى عقيدة دين أمة . فمنذ دخل الناس في دين الله أفواجاً كانت مسيرة العربي المسلم أن طهر أرضه من الجاهلية الجهلاء ، ومن الوثنية ، من الفرقة . وكم هو عظيم هذا الوصف للعرب أن كانوا هم الناس .

العربي حرر أرضه وإنسانها ، فنخوة العروبة وحماية الإسلام سار بها العربي بعد أن قتل الشقاق ، وأعاد الله الوحدة ، سار إلى الفتح على صورتين : عربياً مسلماً أزاح الاستعمار الروماني عن الشام كلها وعن الأرض غرب السويس كلها . فالسيف كان عربياً مسلماً ، والجيش كانوا العرب المسلمين ، فاجتمع لهؤلاء الذين هزموا الروم في اليرموك نخوة العروبة وهداية الإسلام ، فاليرموك عربية مسلمة ، بينما القادسية وما بعدها المسلمة العربية .

فتحرير العرب للأرض نخوة وجهاد، ومسيرة الفتح إلى الشرق جهاد ونخوة، ولعلّ الأمر يحتاج إلى أمثلة كثيرة في الجهاد النخوة، وواحدة في النخوة الجهاد، فتحرير الأرض العربية من الرومان موضوع واحد، أما تحرير الأرض من الفرس والفتح العظيم بعد ذلك، فالأمثلة كثيرة.

لقد كان العربي في الجاهلية لا يتحرك ضد الروم؛ لأن دمشق لم تكن محكومة الحكم المباشر من قبل القيصر فما زال السلطان عربياً، ملك أولاد جفنة، سلطان غسان وبهراء وكلب، فتراخى العربي لا يتحرك ضد الروم بينما هو وفي الجاهلية كان يتحرك ضد الفرس، أو مع الفرس، فالمعية كانت في اليمن وكانت في الحيرة، غير أن قبائل الصحراء تحركت في أكثر من مرة ضد الحيرة، عدناني يحارب قحطانياً، ولم يكن ذلك حرب العرق للعرق وإنما كان الحرب على سلطان الفرس، حتى أن عمرو بن هند ملك الحيرة لجأ إلى مضر حرباً على ربيعة الفرس، فإذا هو زوج المتجردة بنت زهير بن جذيمة سيد غطفان، بل كان السيد الأول في مضر خارج الحرم. أراد ابن هند أن يختلف العدنانيون، ولكن وائلاً ببكرها وتغلبها وشيبيانها ما انصاعت له، وما تناولتها غطفان بشرّ، وإنما كان هناك الحساب للعواصف بين مضر وربيعه.

ورغم سلطان المناذرة في الحيرة انتصر الشيباني من وائل في وقعة ذي قار على الفرس، لأن الفرس كمستعمرين أعجزوا المناذرة أن يتحركوا لهم، فإذا هانئ بن مسعود الشيباني ينتصر في ذي قار، يستبشر بهذا النصر خاتم الرسل محمد بن عبد الله فقال: «اليوم انتصف العرب من العجم وبني نصر». . . وتم لأبي بكر الصديق بعد أن أعاد وحدة العرب أن ينعم الله عليه بنصرين على الفرس، فتح الحيرة على حدود كاظمة، فزال الاستعمار الفارسي عن الحيرة، وأما النصر الثاني فكان في «ذات الخنافس».

إن فتح الحيرة مهد له المثنى بن حارثة الشيباني، وتناوله سيف خالد. وذات الخنافس كانت بين خالد بن الوليد وجيشه وبين الفيروزان الفارسي وجيشه على حدود البحر الأزرق خليجنا العربي، وكان مع الفرس عرب هم نصارى تغلب، ما زالوا يحلمون بمجد كليب وتناسوا مجد العروبة بالإسلام.

وسار خالد فإذا الفيروزان يكلف «عقة» التغلبي ليلقى خالداً بن الوليد، وليكون هو رداءً لعقة، فقال مرابذة الفرس: «كيف تبعث هذا العربي يحارب العربي؟» فقال لهم: «نصره لنا، وهزيمته عليهم، عربي يأكل عربياً» ولكنه أبو سليمان سيف الله، فقد برز عقة يحسب أن خالداً من هنيئاته، فإذا سيف الله يخطف عقة من فوق السرج، يرضخه رضخاً على الأرض، تنهزم تغلب، فإذا خالد لا يمهل الفلول، يسير وراءهم، فإذا الفرس في ذات الخنافس على موائد إفطارهم، فأنامهم أبو سليمان بسيف الله، وأقبل جيشه على الغنيمة، فراعهم وافر الطعام، الفالودج وما إليه، فقال لهم خالد: هذا رغيد العيش، والله لو لم نحاربهم على هذا الدين لحاربناهم على هذا الريف! وأرسل خالد البشير إلى أبي بكر الصديق، فخرج ثاني اثنين إذ هما في الغار، خرج لا يملكه الزهو وإن ازدهى وجدانه بنصر الإسلام، فأقبل على قريش في المسجد، وعلى الأنصار، ولكنه خاطب قوم خالد لأنه ولدهم، فقال أبو بكر: «يا معشر قريش، عدا أسدكم على الأسد فأجلاه عن خراذيله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد». . . وخالد يعد سيف الله قائد اليرموك أثنى عليه رسول الله ﷺ وأثنى عليه أبو بكر واعتذر إليه عمر، فأى شأن لآخر في شأن خالد رضي الله عنه!

إن هذه أمتكم . . أمة واحدة

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: ٩٢)

توحدت تحت راية الإسلام، وهي واحدة في اللغة والأرض والمصير، وكل ذلك كان في الماضي السحيق يوم كانت في جاهلية جهلاء، ووثنية حمقاء، فهي إن اختلفت قبائل فذلك قضت به ظروف اجتماعية، أو شهوات سلطانية، أما المعتقد في كل الأساطير واللغة في تطورها حتى أصبحت الفصحى، والحضارة والثقافة، فهي واحدة، إن لم نشعر بتوحيدها الآن بدعوى انفرادية التاريخ لكل شعب عربي، فإن حقائق التاريخ ترفض الانفرادية، وتثبت بها وحدة الأمة، فعلى هذا الأساس كثيراً ما تحدثت مع بعض الإخوان، وبرهاني في ذلك هذه الآية الكريمة تؤيد ما ذهبت إليه حين أستقرىء تاريخ هذه الأمة، فقد سبق أن قلت في ندوة عين شمس إن انفرادية التاريخ تنفيها حقائق التاريخ بل وترفضها، فالذين نحتوا الجبل في حجر ثمود، اتخذوا منه بيوتاً، ما أحسنها. ما أشد عراقتها في القدم. كأنها الأنموذج الحضاري لهذه الأرض، والذين نحتوا الجبل في البتراء سلع في أرضنا العربية البلقاء (شرق الأردن) هم آباء، إخوان الذين بنوا الجبل أهرامات في مصر، فالحضارة واحدة لا يسقطها التردد المنحرف يختص بها شعباً من شعوب هذه الأمة دون الشعوب الأخرى.

وفي حوار مع بعض الإخوان، جرى الحوار عن هذه الآية الكريمة ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ (البقرة: ١٠٤) خطر على بالي أن النهي عن استعمال كلمة (راع) في قولنا (راعنا) أي انظرنا التي لا زالت تستعمل في بعض قبائل العرب بهذا المعنى، حتى تجاوزت معنى (انظر) إلى معنى الرعاية، فبعض القبائل لدينا تقول (رع الولد) أي احفظه، فحين جرى الحوار قلت لبعض الإخوان: إن عقيدة التوحيد في ديننا الإسلامي ترفض الوثنية واسم الوثن، فكلمة (رع) تعني الشمس التي ألهاها المصريون أعني الفراعين، فاعتبروها كبير الآلهة لديهم، فرغبنا الإسلام أن نترك هذه الكلمة (راعنا) لئلا يبقى لاسم الوثنية أثر، وقد استغرب بعضهم ذلك فقلت له: إن القرآن قد احتفل بتاريخ هذه الأمة السحيقة، والشعوب العربية قد اختلطت وتناقلت حضارتها وثقافتها، وطلبت إليه أن ينظر إلى هذا النسق البديع، يؤرخ لهذه الأمة من قديم، ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ (الفجر: ٧ - ١٠) الملكان ببابل هاروت وماروت.. أفليس في ذلك إعلان عن وحدة الحضارة، وقدم الحضارة في هذه الأمة؟

من هنا احتفلت أسأل أستاذنا الدكتور حسن ظاظا عن كلمة (مردوخ) فإذا هو الحفيل بالإجابة يكتبها في مقال ثقافي نشره في جريدة الرياض، فأعطاني فرصة أن أتعلم، ولكنني لم أقتنع بأن الاسم (عشتروت) (عشتار) هو اسم لكوكب المشتري الذي اتخذه الكلدان ومن إليهم إلهاً يعبدونه، ذلك أنني حفظت أن كلمة (عشتروت) (عشتار) (عشتر) (عشترت) في الكلدانية والكنعانية والفينيقية واليمينية ما هي إلا اسم لكوكب الزهرة رمز الجمال عند العرب؟ انحدر إليهم من تاريخهم القديم - عادياً. ثمودياً.

وكلدانياً. وهذا الاسم عشثروت وما إليه والزهرة، هو اسم (هاتور) لهذا الكوكب الزهرة أيضاً، فهو في الفرعونية القديمة أيضاً رمز للجمال، (فتوت) الشهر القبطي هو الابن للشهر بعده (بابا) وللشهر بعد (هاتور الأم) كما أن عشثروت وما إليه هو (فينوس) رمز الجمال عند الإغريق، توسع الإغريق فيه فجعلوه رمز الإخصاب كأنما أخذوا معنى الإخصاب من المشتري من الكلدانية، ويعني ذلك أن عشثروت وما إليها ليست هي المشتري، وإنما عشثروت هو كوكب الزهرة، وقد لمحت أن أستاذنا الدكتور حسن ظاظا قد ذكر أن (مردوخ) يعني رمز الإخصاب في الكلدانية، فلماذا لا يكون هو المريخ تعتبره الكلدانية رمزاً للإخصاب؟ وحين انتقل إلى اليونانية واللاتينية حُرِّفَ إلى اسم (مارس) ومارس شهر الربيع إلى الآن، أفليست هذه الملابس تعني أن مردوخ هو مارس كما حفظت ذلك من قبل؟

وقد تعلمت من مقال الدكتور حسن ظاظا ما يدعوني إلى أن أستخرج ما يلي، فقد قال إن القمر في الكلدانية يسمى (صان)، أفليست اللغات الأوروبية قد أخذت هذا اللفظ (صان) للقمر فأعطته للشمس، ففي اللغات الأوروبية اسم الشمس (صان).

ثانياً - ذكر أستاذنا ظاظا أن اسم سيناء يعني القمر، أفليست سيناء محرفة عن (صان)؟ فسیناء في السامورية أو الساموريين، ويعربهم أستاذنا العقاد بالشمريين، أفليست سيناء القمر هي تفصيحاً لكلمة (صان)؟ وألستم معي في أن سيناء تعني القمر، قد أخذت منها لغتنا الفصحى حين اشتقت من هذا اللفظ (السناء) بمعنى العلو، و(السنا) بمعنى النور، فالقمر عالٍ، والقمر نور، كل ذلك يدل على وحدة اللغة، على وحدة الأمة.

ثالثاً - والصابئة ديانة الكلدانية، عبادة الكواكب، التي رفضها وقاومها

أبو الأنبياء بعقيدة التوحيد، عقيدة الإسلام، قد كانت في اليمن، فأهل سبأ كانوا يعبدون الشمس، أوضحت ذلك قصة بلقيس حين دعاها الرسول النبي سليمان عليه السلام، وانحدرت إلى مكة فقبل الحنيفية كانت القبائل في مكة صابئة تعبد القمر، فجاء أبو الأنبياء يرفع القواعد من البيت، ينشر الحنيفية ملة إبراهيم.

من هنا قالوا: إن اسم (مكة) مركب من كلمتين (ماك) بالفارسية القمر، و(كه) بالفارسية البيت، أي بيت القمر، أ طرح كل هذا، ولا أدع الدكتور حسن ظاظا أدعوه وحده، وإنما هي الدعوة موجهة مني لتقرير هذه الوحدة في الحضارة والثقافة إلى أستاذنا الرئيس معروف الدواليبي، وإلى أستاذنا الكريم أحمد شرف الدين، ليتواكبوا جميعاً في كوكبة تغزو انفرادية التاريخ، تثبت وحدة الأمة حضارة وثقافة. وقد تعلمت من أستاذنا الرئيس معروف الدواليبي أن كلمة (فينوس) ما هي إلا عربية الأصل تعني البنت بالثاء بدل التاء أي البنت بالتاء، فالبنث أو البنت هي رمز الجمال عند الثموديين، فالقصر الرائع في حجر ثمود يسمى إلى الآن (قصر البنت) أعجمته اليونانية بإلحاق علامة التنوين (السين) ففينوس (بنث) ألحقت (ب إس) فأصبحت فينوس.

وإكمالاً للبحث ألحق بهذه ما كتبه الأستاذ الباحث في الدارة الأستاذ كمال جمعة برغبة مني إليه فوفاني بهذا المقال توضيحاً وشرحاً لما كتبه أستاذنا الدكتور حسن ظاظا، أثرت هذا البحث ولعلّي لا أبريء نفسي من الخطأ لأمتع نفسي بالتصويب.

الإله مردوخ والإلهة عشتار

الإله مردوخ:

جاء في دائرة المعارف البريطانية: النسخة الإنجليزية من مادة «ما بين النهرين والعراق» ص ٩٧٢ وما بعدها:

إن قصة الخلق البابلية المسماة إنيوما إيش تذكر أنه في البدء كان تشوش مائي ثم اختلطت مياه البحر: تيامات مع المياه الحلوة تحت الأرض: ايسو فتج نوع من المياه أصبح يقوم بدور الوصيف. وفي هذا الوسط ولدت الآلهة. وكان أول زوج منهما لاهمو ولاهامو يمثلان القوى في الوسط الغريني، وكان الزوج التالي انشار وكيشار يمثلان القوى الأفق وقد أخلفا إله السماء أنو الذي أخلف بدوره إيا إله المياه الحلوة الجارية . .

وقد حدثت صراعات بين الآلهة نتج عنها أولاً مقتل ايسو على يد غيا ثم لما بدأ تيامات يهاجم الآلهة الأخرى كان مقتله على يد ماردوك بنت إيا.

وتمضي الأسطورة فتقول إن ماردوك وهو بطل القصة هو الذي خلق العالم من جسد تيامات بعد أن قتلها. وقد قطعها كما تقطع السمكة المجففة إلى جزئين: جزء جعله السماء واضعاً فيها كلاً من الشمس والقمر والنجوم وكل يجري في حركة مقدره، والجزء الثاني هو الأرض. وخرق ماردوك عيني تيامات ليفجر منهما نهري دجلة والفرات، ثم كوم الجبال فوق جسدها في الشرق ليجري من بين نهديها روافد نهر دجلة، وتمضي بقية القصة لتشرح كيف نظم ماردوك الكون، وكيف خلق الإنسان، وكيف

عهد إلى كل من الآلهة بوظائف وأعمال مختلفة .

ومن كتاب «تاريخ الشرق الأدنى القديم» تأليف الأستاذ الدكتور أنطوان مورتكات تعريب دكتور توفيق سليمان وآخرين ص ١٦٠ :

وخطا بعد ذلك توحيد مختلف المعتقدات الدينية خطوة جبارة أخرى تمثلت في شخص الذي كان بالأصل إله مدينة بابل . إن تطور سلالة الساميين الغربيين الذين استوطنوا المدينة الإقليمية بابل وبالتالي تسلمهم السلطة نهائياً في الإمبراطورية التي كانت عاصمتها بابل ترك أثره في ملحمة خلق العالم وذلك بتنازل إليل (الأرض) عن ملكية الآلهة إلى الإله الشاب البطل مردوك إله بابل . . أصبح ينظر الآن إلى مردوك كمنقذ لنسل الآلهة الجديدة أي آلهة النظام من جور تيامات الفظيع وحلفائها قوى الشر (قوة العالم الأسفل) . . وهكذا جمع في شخصه أوسع المعتقدات الدينية وطبائعها . . وهكذا تلتقي في شخص مردوك كافة المعتقدات الدينية الكبيرة في بلاد ما بين النهرين حيث يمثل مردوك بذلك قمة التطور في المعتقدات البابلية .

الآلهة عشتار

جاء في كتاب «قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير منذ فجر التاريخ حتى العصور الحديثة» للأستاذ أنور الرفاعي ص ٧٨ : فإن السومريين وهم أقوام غير عربية قديمة قدمت سهل شنعار قبل وصول الأكاديين ، قدسوا مظاهر الطبيعة التي كانوا يشاهدونها في حياتهم اليومية وتملأهم دهشة ، فاعتقدوا أن فيها قوة خفية تنفع أو تضر كالشمس والقمر والنجوم التي تبدد ظلمات الليل وتساعد على تعيين الجهات والزمن والأمطار والمياه التي

تحمل الخصب إلى الأرض وتحييها بعد مواتها واعتبروها جميعاً آلهة خير وبركة.. . وتصور السومريون آلهتهم على شكل إنسان يرافق حيوانه الخاص.. . وعشتار آلهة الحب والخصب والحرب مثلوها دائماً مع حيوانها الخاص وهو الأسد أو الحمامة. وفي نفس الكتاب ص ١١٨ :

كوكب الزهرة أو عشتار، كانت لها مكانة ممتازة بين سائر الآلهة وهي نفس عشتار الفينيقية بصفاتهما، وعشتر عند عرب الجنوب (لكنها في جنوب الجزيرة تمثل إلهاً مذكراً بعكس الشمال فهي آلهة أنثى) وهي أخت الإله الشمس (شمس) ويرمز إليها بنجمة ذات ثمانية أشعة أو ستة عشر شعاعاً نقوشه داخل دائرة وهي التي ترشد النجوم إلى طريقها وهي تارة نجمة الصباح وتارة نجمة المساء. وهي في المساء تمثل آلهة الحب والتمتع وتقام لها طقوس دينية فيها بعض الدعارة.. . وتمثل في الصباح آلهة الحرب والقتال.. . وكان الآشوريون كشعب محارب بطبيعته يمجّد عشتار المحاربة فصورها واقفة على ظهر أسد يحمل القوس وتمثل القوة والنصر، ويرتبط بها الإله تموز ذو الطبيعة المزدوجة الإلهية والبشرية معاً وهو نفس الإله أدونيس في الساحل السوري وأوزيريس في مصر. وقصته متشابهة في هذه المناطق وكان يموت ويولد من جديد كل عام ويرمز بذلك إلى ذبول الحياة في النبات وبعثها من جديد.. . ويقول نفس الكتاب وهو يتحدث عن عبادة قوى الطبيعة في جميع دول الشرق الأدنى القديم في ص ١٢٣ «فالقمر اليمني كما رأينا يشبه القمر البابلي ورمز إليه بالهلال، ويعتبر الأب الأول للحياة، والشمس (اشمسهد) في قتبان وحضرموت هي نفس شمس البابلية والسومرية وهم الأم الأولى وابنهما الزهرة «نجمة الصباح» أو عشتر أي عشتار المشرق وتكون منها ثلوث مقدس هو نفس الثلوث المقدس في بلاد الرافدين: الشمس والقمر ونجمة الصباح».

ويقول نفس الكتاب وهو يتحدث عن معتقدات الفينيقيين القديمة ص

: ١٢٤

كما أعطتنا النصوص الفينيقية أو الإغريقية نماذج للأساطير المشابهة كقصة عشتار وحزنها على موت أدونيس الذي قتله خنزير بري عند نبع أبرهم (نهر أدونيس) فاصطبغ النهر بالصبغة الأرجوانية من دمائه ثم عادت إليه ثانية وتزوجته فكانت مدينة جبيل تحتفل كل عام بموته وبعثه بأعياد دينية خاصة، وللأسطورتين شبه في مصر وبابل ..

ولعلّ في بلاد كنعان هو إله مذكر ترتبط به آلهتان من آلهة الخصب هما عنت وعشترت كما تذكر نصوص أوغاريت بينا أن التوراة تسميها عشترت وهي نفس عشتاروت وهذا الثالث الإلهي يمثل الدورة النباتية بالإضافة إليهما قصة الإله أدونيس، والغريب أن الآلهتين عنت وعشترت صورتا أيضاً في الأدب الكنعاني قاسيتين، فهما إذن في نفس الوقت آلهتان للحرب .. والعزى الجاهلية هي نفس عشتار البابلية أو الزهرة اليمينية ..

صور:

التهديد بالغزو، أغرى بالغزو بل أباحه، فحين انطلقت ألسنة غير مسؤولة مكنت لها فوضى الحرية، وحرية الفوضى، فأخذت تهدد بغزو مناطق البترول، تنفيه ألسنة مسؤولة في الولايات المتحدة، كأنما ذلك التهديد أصبح ذا موضوع يشغل شعب الولايات المتحدة، فهذا التهديد بالغزو أغرى الاتحاد السوفياتي بالغزو، وعجيب إلى الآن أن تملأ أسماع الناس في دنيا كل الناس، بطلب انسحاب الاتحاد السوفياتي من الأفغان، ولا نسمع كلمة تأييد لكامب ديفيد، بطلب من إسرائيل يدعوها للانسحاب

من الأراضي المحتلة في فلسطين . أليس في ذلك عطاء للاتحاد السوفياتي
ألا ينسحب، وظلم للأمة العربية التي تطلبون صداقتها الآن؟ ما أشد عجبي
من ذلك.. وبس!!

* * *

صرخ الأستاذ ظافر المصري نائب عمدة نابلس يصف تطبيق العلاقات
بين مصر وإسرائيل بأنه يوم أسود. أفلا يسعني أقول له: أنه يوم أسود ولا
شك، ولكن أليس عدم تطبيع العلاقات مع منظمة التحرير في كثير من
الأرض العربية هو يوماً أسود؟ ولكني أقول: إن هذه الأيام السود مع
فلسطين هي الباعثة لأن يثور السود في الولايات المتحدة من أجل منظمة
التحرير، من أجل فلسطين، فقد أصروا في مؤتمرهم على مطالبة الولايات
المتحدة بأن تعترف بمنظمة التحرير. . وجاء الرد برفض ذلك، ولا أريد أن
أسمي الرافضين لذلك، وإنما أريد أن أقول لظافر المصري: لقد شطرت
قضية فلسطين الشعب الأمريكي إلى شطرين، فهل أرجو أن يكون في الغد
يوم أبيض لفلسطين.. وبس!

سخر اليهود قوة الولايات المتحدة . . لتسخر إسرائيل من هيئة الولايات المتحدة! . .

من الحقائق الثابتة أن أي كاتب يستطيع أن يوجه حواراً إلى أي سياسي في الولايات المتحدة سواء كان الرئيس كارتر أو الدكتور برزنسكي أو سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة دونالد ماكهنري، فلا يجد غضاضة في هذا الحوار بل ولا يصاب برعدة من مخافة، فالشعب الأمريكي يطبق الحوار، ويسمع للنقد خصوصاً إذا كان هذا الكاتب ينتمي إلى العالم الحر، ويتهم نفسه بالصداقة للولايات المتحدة بل وكثيراً ما يهتم بأن تصان هيئة الولايات المتحدة، ولعلّي بما تقدمت به من توطئة أو دهلزة أبيع لنفسي أن أطرح هذا السؤال لتتولى الأجوبة عليه، فسؤال واحد قد لا يفسره جواب واحد.

والسؤال هو: هيئة السلطان أجدى على الولايات المتحدة الآن من قوة السلطان؟

إن الإجابة تحتاج إلى استقراء التاريخ، ولعلّ التوسع في ذلك يخرج التاريخ، غير أنني أختصر فأسأل الدكتور برزنسكي وهو المستشار للأمن

القومي فلعلّه اليوم - وبأسباب التعطيل للقوة واستعمالها - يحرص كل الحرص على إثبات الهيبة لسلطان الولايات المتحدة .

ولا أدري من أين سمعت أو أين قرأت أن الولايات المتحدة الآن وبعد الأزمة مع إيران، وبعد الغزو للأفغان، في حاجة إلى إثبات الهيبة السلطانية أكثر من الثبات بالقوة المعطلة عن الاستعمال، فأين الهيبة الآن؟

إن الولايات المتحدة لا يحرصها أن يمارس الاتحاد السوفياتي إسقاط هذه الهيبة قوة طاغية تواجه قوة مثله. ولكن موضوعنا هذه اللحظة هو عن هذا المثلث الذي استغول على سياسة الولايات المتحدة اليهودية الصهيونية إسرائيل، مثلث الأسماء لمسمى واحد هو إسرائيل الآن. فاليهودية هي الصهيونية، ودعني من الألفاظ الرقيقة تتجنب السياسة العربية أن تذكر كلمة (اليهود) تحاشياً من أن تتهم بالتعصب الديني، مع أن العرب تكال لهم التهم بأنهم متعصبون لأنهم مسلمون إلى آخر ما هنالك. إن إسرائيل اليهودية الصهيونية قد طغت كثيراً على العالم العربي وهي الآن تمارس الطغيان على الولايات المتحدة، فالطغيان قد يكون باستعمال القوة، وأقسى منه طغيان العصيان، فهي الآن تمارس العصيان، تخرج الولايات المتحدة بتدمير إطار كامب ديفيد أكثر من إحراجها لغير الولايات المتحدة، فلقد سخرت إسرائيل قوة الولايات المتحدة، امتصتها حتى الثمالة، فهم قد قالوا حين باشرت الولايات المتحدة إرسال الجسر الجوي أن ترسانة البنتاغون قد أصبحت فارغة ويعني ذلك أن ترسانة إسرائيل أصبحت طاغية بكل القوة وترسانة الولايات المتحدة تحتاج إلى جهد لتعويض ما أفرغه الجسر الجوي .

إن قوة الولايات المتحدة هي التي صنعت إسرائيل، واليوم إسرائيل تسخر من هذه القوة كأنما هي تمارس إسقاط هيبة الولايات المتحدة، وكنت أحد الذين ظنوا أن أزمة إيران تخفف من عصيان إسرائيل للولايات المتحدة، فلا تبني المستعمرات في الضفة الغربية، وتسرع بالجلاء عن سيناء، كما أنها تسارع إلى الاعتراف بمنظمة التحرير لتعطي الولايات المتحدة فرصة تنتظم بها صداقتها مع العالم العربي، وكنت أظن مرة أخرى أن غزو الاتحاد السوفياتي للأفغان يطوع عصيان إسرائيل فلا تحاول إسقاط هيبة الولايات المتحدة، ولكن عصيان إسرائيل استشرى، فبدلاً أن يكون ممارسة في السر وبأسلوب رقيق أصبح مجاهرة على أساس من المفارقة؛ فبعد غزو الأفغان خرج على الدنيا كلها كأنه يدق الجرس، له رنين يسمعه الدكتور برزنسكي ومن إليه، خرج وزير الحرب الإسرائيلي وايزمان الذي سماه بعض العرب في لحظة استمراء الجرعات المسكنة بأنه أحد الحمام المعارض لرئيسه مناحم بيغن.

خرج يقول، والولايات المتحدة في هذا الموقف المحرج مع الاتحاد السوفياتي (إن أي قوة على سطح الأرض لا تستطيع أن تزحزح إسرائيل قيد أنملة عن الضفة الغربية وقطاع غزة)، ويعني ذلك أن أشعل القنبلة في إطار كامب ديفيد، وأرسل طليقة ناعمة تصيب معاهدة الصلح، وتدمر المفاوضات للحكم الذاتي..

وتمرد العصيان مرة أخرى ينال من هيبة الولايات المتحدة حين أصر مناحم بيغن على التوسع في بناء المستعمرات وعلى إسكان اليهود في مدينة الخليل، تمرد هذا العصيان حين رفض أي ملاحظة من الولايات المتحدة،

ويعني ذلك أن قوة الولايات المتحدة، في ترسانة إسرائيل أصبحت قوة ضد هيبة الولايات المتحدة، وتمرد العصيان مرة ثالثة حين صرح السفير المعين في الكنانة في مصر النيل، في مصر الأزهر، في مصر الإسلام، فردد كلمة وايزمان وأيد موقف بيغن فقال: إنه ليست هناك قوة تستطيع منع إسرائيل من إقامة المستعمرات، ظاهرة التحدي لمعاهدة الصلح والتعدي على مفاوضات الحكم الذاتي، والتصدي بكل العصيان المتمرد لهيبة الولايات المتحدة فعلى أي أساس كان هذا الإسقاط لهذه الهيبة بهذا العصيان المتمرد؟

أرجو أن أجد العذر لدى برزنسكي يمنحني إياه حين أقول إن إسرائيل لم تعد تخاف سلطان الولايات المتحدة لأنها في ضمان من سلطان الاتحاد السوفياتي. فليس هناك قوة تعين إسرائيل على رفض سلطان القوة الأمريكية ألا وهي الاستناد على قوة عظمى وليست هي إلا قوة الاتحاد السوفياتي، حتى إنها كتمرد لهذا العصيان لم تساعد الولايات المتحدة في رفض الإرسال للرياضيين إلى الألعاب الأولمبية في موسكو.

إن كثيراً من الدول التي تحترم نفسها وتحرض على احترام الولايات المتحدة وإعلاء هيبتها قد استجابت لنداء الرئيس كارتر بالنسبة للألعاب الأولمبية، أما إسرائيل التي تعيش على دولار الولايات المتحدة وتطغى بسلاح الولايات المتحدة وتفرض على العالم العربي بسلطان الولايات المتحدة مارست العصيان، فهل هذا هو الوفاء وصدق العهد الذي توصف به إسرائيل!

إن إسرائيل تسخر من هذه الصفات، فهي تحترم لنفسها عدم الوفاء

وتحترف الكذب على المواعيد. لأن ذلك قوة لا تمارس به أن تكون مع الاتحاد السوفياتي لا مع الولايات المتحدة على الأقل في هذه الأيام التي تحتاج الولايات المتحدة، إلى ارتفاع هيبة سلطانها ما دامت لا تستطيع أن تتعامل مع سلطان القوة، لقد سخرت اليهودية والصهيونية وإسرائيل قوة الولايات المتحدة بطغيان على العالم العربي أكثر وأشد هذه الأيام على صداقة الولايات المتحدة وهبتها من غزو الاتحاد السوفياتي للأفغان.

إن دعوة الرئيس كارتر إلى الحلف الإسلامي تجد الرفض كل الرفض لأنها لم تحترم من سياسة الولايات المتحدة مع إسرائيل، فحريق القدس واستعمار القدس، واستعمار الأرض المسلمة، كيف يتم معه أن تستجيب جامعة الإسلام إلى نداء كهذا؟ ينبغي أن يكون النداء لإسرائيل تخفف من غلوها وطغيانها وعصيانها ليكون للمسلم والعربي أن ينسى الماضي إذا ما تحقق السلام للمستقبل.

والقواعد أن تشييدها في أي دولة غرب آسيا، وفي العالم العربي بالذات معناه جعلها هدفاً للعدوان من الاتحاد السوفياتي مثلاً كأنما أي بلد يرضى بإقامة قاعدة يضع نفسه هدفاً للهجوم عليه، ويعني ذلك كما قلنا من قبل أن الولايات المتحدة حريصة على سلامة أوروبا، لتجعل غرب آسيا وشرق إفريقيا وشمالها، بل وكل القارتين الميدان للحرب العالمية الثالثة. تجربة للسلاح. تنظيم للوفاق من جديد. إلى آخر ما هنالك، وإسرائيل بعصيانها والاتحاد السوفياتي بطغيانه، والعالم الحر بتواكفه. كلهم يمهدون إلى هذه الحرب الثالثة في هذا المكان.

أرجو من الدكتور برزنسكي إذا ما ترجم له هذا الكلام أن يطرد أثقال

التركة المثقلة التي ورثها عن باروخ سلفه أيام ترومان وعن كيسنجر أيام نيكسون وأمثالهما ليحقق لأمن الولايات المتحدة فرض سلطان الهيبة على إسرائيل قبل الاتحاد السوفياتي .

إلى الأستاذ محمد الوعيل :

شافهتني تلفونياً ثم كتبت هذه المشافهة بعدد الجزيرة يوم الثلاثاء الماضي تسألني عن أي مخطوط بقلم الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب تغمده الله برحمته، وقد أجبته حين تلفنت إلي بأنك قد استسمنت ذا ورم، فكيف فاتك أن تسأل أستاذنا العليم بكل مخطوط، الحجة البحاثة، عالمنا حمد الجاسر، إني أوجه هذا السؤال إليه نيابة عنك ليتولى الإجابة فهو عذبيها المرحب وفارسها المحقق، وإياك أن تسأل غيره .

صورة :

وركب شاب ترف سيارته يطلق العنان لسرعتها فإذا عجوز على عكاز أمامه كاد يدعسه فنجا بعد أن سقط على الأرض، ليس بينه وبين عجلة السيارة إلا قيد أصبع، فلما نهض قال: يا ولدي كدت تقتلني .
فقال الشاب ولعله من الذين قيل فيهم (شبعة بعد جوعة).

أذهب عن وجهي، يا الله إمشي، وإلا أدعسك الآن، ووضع يده في جيبه يخرج رزمة من الريالات.. ترى أدعسك وهادي ديتك .

أليس هذا فسوقاً.. بطراً.. سوء تربية. أحسبني أقول إنه سيأتي يوم عليه وهو عجوز يُرد إلى أرذل العمر، يسلبه الله النعمة يحتاج إلى ريال .
إلا أن تدركه صدقة من أب أو دعاء من أم أهملوا تربيته فإذا هم في حسرة يتصدقون ويجأرون بالدعاء .

وعن الهيبة قالوا.. حين قدمت وفود العرب على كسرى أنوشروان وكان فيهم عامر ابن الطفيل الذي أحرقتة النار؛ لأنه نكث العهد لرسول الله ﷺ.

ذهب الوفد في الجاهلية قبل الإسلام إلى كسرى فقال كسرى يسأل عامر بن الطفيل: لو أتاك آتٍ من جهة عينك العوراء، ماذا تصنع؟ فقال أحد سراة بني عامر، عامر بن الطفيل: ليست هيبتي في قفائي بأقل من هيبتي في وجهي!

كلمة مجنحة فيها التعريف للهيبة

وقرأنا لأناتول فرانس الكاتب الفرنسي في مبادله هذه الكلمة: قال يملي على سكرتيه (سجل ياسيغور، قرأ نابليون قبل أن تطبع الجريدة هذا الخبر: لقد انتصر الإمبراطور في حملته على عدوه بشرذمة من الجنود، فصرخ نابليون يقول لمحمر الجريدة (إن الإمبراطور لا يحتاج إلى مجد، يحتاج إلى أن يهابه عدوه، اكتب هكذا، فقد انتصر الإمبراطور بقوة كبيرة وسلاح قوي، فشئت شمل عدوه.. تعريف قوي للهيبة، فالهيبة هي سلاح القوة وكثيراً ما تكون القوة ليست ذات موضوع في بسط سلطان الهيبة.

هكذا نرد العجز على الصدر.

وتحدث إليّ صديق فقال: ألا تذكر حين اختطف الفدائيون الرياضيين الإسرائيليين في الألعاب الأولمبية في ألمانيا الغربية فصرح العالم الحر كله والولايات المتحدة بالذات إن الألعاب الأولمبية رياضية وينبغي ألا تكون لممارسة السياسة.

واليوم أصبحت الألعاب الأولمبية هي القوة في ممارسة السياسة ضد الاتحاد السوفياتي.

* * *

ولم أجد حرجاً في أن أُجري الحوار مع الولايات المتحدة لأنني لا أعافه ولا أخافه ولكن أتحاشى النقد للاتحاد السوفياتي لا لأنني أعافه ولا لأنني أخافه ولكن لا أطيق أن أتحمل غضب الذين يرون غير ذلك الحوار.. إن هؤلاء يعتقدون الخوف العاجل ولا يسألون عن الخوف الآجل فهل أنا مغرور أما أني المأسور؟

انسحاب من الأفغان . . ولا انسحاب من فلسطين

قد لا يعذر الكاتب أن يكرر نفسه، ولكن الصورة التي أكتبها في مقال بعثته إلى الجزيرة لينشر في هذا اليوم كما هي العادة، وسألت فيها أتعجب من الدعوة الملحة تنادي بها دول العالم الحر، أعني حلف الأطلسي، أو هو السوق المشتركة، أو صوت الولايات المتحدة. كلهم يطالب الاتحاد السوفياتي بالانسحاب من أفغانستان، يفرضون العقوبات أدبية، رياضية اقتصادية، وحتى العلمية.

نداء نحن معهم، فلا نرضى لهذا الغزو تشنه إمبراطورية الكرملين على شعب مسلم، على خراسان، الشعب الذي صنع لتراثنا الإسلامي ذخائر الذين نالوا العلم المعلق بالثريا، نحن معهم في كل ذلك إلى آخر ما نستطيع دفاعاً عن الدين، عن الأرض، عن الإنسان، عما يطرأ بعد إذا ما ترسخ احتلال السوفيات، فإيران والباكستان وحتى الهند ندافع عنها كما ندافع عن أنفسنا، نحارب العاجلة ونتوقى الآجلة، ولكن لماذا لا تكون الدعوة واجبة على الولايات المتحدة بالذات أن تطالب بانسحاب إسرائيل من الأرض المحتلة في فلسطين؟

كتبت هذا في الصورة التي ستقرأها في «الجزيرة» وكنت أحسبني الصوت النشاز لأنني لم أسمع من نادى بمثل ما ناديت به، حتى إنني اختصرته في الصورة كأني أتستر بالاختصار، ولكن سمعت بالأمس أن الرجل الشجاع الذي لا يخشى تهديد الاتحاد السوفياتي وهو جار له، ولا يتجمع مع الولايات المتحدة التي ينظر إليها نظرتة إلى حلف الأطلسي تعينه في الدفاع عن نفسه من الأحموقة السوفياتية، ذلكم هو المستشار النمساوي برونوايسكي، إنه يدافع عن النمسا عن عَلمِها، كما يدافع عن النمسا عن عَلمِها، كما يدافع عن الإنسان، فرغم أنه يهودي قد أعلن أنه غير صهيوني؛ لأنه حين يعلن بالبحاح شديد الطلب من إسرائيل أن تنسحب من فلسطين، فبهذا يثبت الجنسية النمساوية وحدها له، يرفض أن يكون حاملاً لجنسيتين كما هو الوضع في أي يهودي في الولايات المتحدة، ليس أولهم كيسنجر. وليس آخرهم بقال على شاطئ ميامي.

إن كرايكسي شجعني حين قال إن الإلحاح في طلب انسحاب السوفيات من أفغانستان يجب أن يواكبه طلب انسحاب إسرائيل من فلسطين المحتلة، كلمة يكتبها مثلي ليس في العير ولا في النفير، فإذا هي الكلمة من رئيس لوزراء النمسا، إن لم يكن صاحب عير اليوم، فقد نفخ في النفير يسمع نفخته كل الرجال الذين يطلبون انسحاب إمبراطورية الكرملين - ويتغافلون عن طلب للانسحاب من الأرض المحتلة في فلسطين.

لقد فرضوا العقوبات على الاتحاد السوفياتي، أفلا ينبغي أن تفرض عقوبات على إسرائيل؟ بل يتمادى لسان في الولايات المتحدة في هذه اللحظات الحاسمة إما أن يتم الانتصار على الاتحاد السوفياتي، وإما أن يتم التخاذل للآخرين، يصرح هذا اللسان المسؤول بعتاء الأمن لإسرائيل،

وعطاء القوة لإسرائيل، كأنما هو يطمئنها أن إمداد مصر بالأسلحة لن يؤثر على إسرائيل .

إن هذا الموقف ليس فيه أي هزيمة للاتحاد السوفياتي بل إنه يحمل الهزيمة كلها للآخرين .

صورة:

واشتد النكير من مناحين بيغن على الولايات المتحدة يرفض أن تمد مصر بالسلح، فإذا لسان مسؤول في مصر يصرح، يقول: إني أعجب من هذا الكلام يصرح به مستر مناحم بيغن؛ لأنه ينم عن أن رئيس وزراء إسرائيل لا يزال يعيش الماضي قبل معاهدة السلام .

ذلك ما قاله ولا عجب في ذلك، فالعجيب أن يعتقد مسؤول مصري أن إسرائيل بكل الحمايم والصقور، ومن كل دعاة السلام لا ينسون الماضي . إن احتلالهم لفلسطين، وتسمية الأرض بتسمية يهودية ليس إلا من عمل الماضي في عقولهم . عجيب أن يستحيل العلم والإيمان إلى جهل بحقائق الإيمان . إنه الرثاء بكل البكاء أن ينطق مسؤول مصري بهذه الكلمة يتهم إسرائيل بنسيان الماضي . بل ويهتم بأمل يجعل مناحم بيغن ينسى هذا الماضي .

وقالت عجوز من أمهاتنا:

يا حسرة . ترك جنود العبور الأغر حماية الخنادق إلى حراسة الفنادق .
وبكت العجوز ثم قرأت ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (الفيل):
(١) .

وكما يقولون . . لذة الهوى في التنقل . أو كما هي طبيعة الإنسان يكره

السرمدية في الاستقامة على حال يحب التغيير إذا ما نام على شماله انقلب إلى يمينه، وإذا ما تدسم يوماً ما يحب أن يترك هذا الدسم من الآكال إلى طعام خفيف.

من هنا سأكتب عن نظرة بعضهم إلى الخلق الكريم ينتقص منه كأنما هو يحمي نفسه من الدم له حينما يستقيم وضعه على غير هذا الخلق.

الغضب والحزن:

رأيته حزيناً لا من مصاب أصابه وإنما من معابة يرتكبها بعض عارفيه فقلت له: الحزن يأخذ من وجدانك ولا يعطيك شيئاً ولا يأخذ من الذين أنكرت عليهم ما فعلوا شيئاً فعليك ترك الحزن وأن تمارس معهم الغضب فالغضب خلة متعدية، أما الحزن فخلة لأزمة، فحين تغضب تعلن المقاطعة تحقق للإنكار منك موقفك كأنما هو الإنكار بقلبك وذلك أضعف الإيمان.

فقال: إنهم لا يهتمون بغضبي.

فقلت: ذلك حسن، خير من أن يتهموك بالعجز، فالحزن يولد الكآبة والكآبة عجز.

الكرم:

وقال أحدهم - ولعلّ الأستاذ حمزة شحاته يرحمه الله كان يميل إلى هذا الرأي في ذم الكرم هو لا يذمه إحساناً على الناس وإنما الدم له فهو منه تجريح للذين يمارسون الكرم - فهذا الأحد قد قال: لماذا تحب أن توصف بالكرم؟

قلت: تلك طبيعة. فطرني الله عليها فالإحسان بحاجة إنسان يدعوك إلى العطاء.

قال: ليس الأمر كذلك ولكن مركب النقص فيك والجبين عن مواجهة بعض الذين تريد أن تحاذيهم تمارس التكرم، تستر مركب النقص يرفعك الشناء إلى محاذاة أولئك.

قلت: ولست معك، أفلا يكون الكرم تطولاً لا تطاولاً من حيث إنه من نوازع الكمال في الإنسان؟

قال: لقد عكست الأمر، فمركب النقص عقدة ومركب الكمال عقدة وكلاهما لا يجعل منك الإنسان السوي.

قلت: ومهما كان الأمر كما ذكرت فلا يعيب الكريم إن كان كذلك وإنما العيب على البخل يصغر قدر البخيل حتى تلوكة الألسنة وحتى أنه في نهاية الأمر إذا ما مشى بين الناس يمشي وهو يتستر حتى إنه يتجنب أن يخطو وسط الشارع ليسير في محاذاة الجدار.

قال: ألم تسمع قول حمزة شحاتة؟

أرى الجود خلاق المزايا وطالما افترها ولولا جوده لم يسد معي

قلت: أتعني أن كرم حاتم الطائي ومعن بن زائدة افتراه جودهما؟

قال: نعم.

قلت: لك رأيك ولي طبيعتي.

الإحسان :

كان هذا الشاب قد ولد وأبوه يملك أكثر من ثلاثة أرباع مليون جنيه مسكوفي فأمسى وأصبح ، وإذا هذه الثروة تسقط بسقوط القيصرية فأصبح لا يملك شيئاً .

ومات والده وقست عليه الأيام ولكننا أحطناه بكل الرعاية فإذا هو تلميذ في المدرسة ثم هو بعد مدير للمالية في أحد الملحقات وإذا هو لا يسكت عن ذم الذي أحسن إليه يجاهره بالكلمة النابية فقلت له : أهذا جزاء الإحسان؟

أحسن إليك وتسبه؟

قال : لماذا استطاع أن يحسن إليّ؟ فإن تفوقه إعلان لانخفاضي عنه ، يده العليا ويدي السفلى . إن إحسانه إهانة لي فأنا أرد هذه الإهانة . أرفض هذا الشكر .

قلت : إنها طبيعة منحرفة .

قال : لتكن كذلك فلا تسألني واسأل الأسباب التي جرفتني إلى هذا الانحراف .

صديق :

دخلت عليه أزوره كالعادة ولعلّه كان في شغل مع بعض زائريه فقال : (تبغي تزور فلان) وسمى ابنه . هو مريض فوق فتراجعت أصعد إلى فوق ثم رجعت مرة ثانية إليه فقال : أشكرك على هذه الزيارة .

قلت : أسأل الله ألا يفجعك فيه وإن كنت الآن قد فجعتني فيك ، فحين

فاتك التطول حفظت به قيمة العظمة بدأت التطاول تصول قيمة العظمة فيك، فحتى أسلوب الطرد لزائر لا زلت تستعمل الرقة تطرد بها أصدقاءك. فسكت.

قلت: لماذا لم تجب؟

قال: ما فهمت.

قلت: بعض الذين يمارسون العظمة يحرصون ألا يفهموا أي تجريح لهم ولكن أعلم ماذا يغيظك، أفليس أنك جازع من إنصافي لبعض مخاصميك؟ لقد فعلت ذلك لأنني لا أحب أن أبخس الناس أشياءهم، ولقد فعلت ذلك اقتناعاً بهذا المثل الفرنسي (صديق صديقك ولا تعادِ عدوه فهذا من شأن كلبه أو خادمه) فأنا لم أستطع أن أصادق من ثقّتي فيه من الأتباع، فليس لك أصدقاء ولن أمارس العداوة للذين يشقون طريقهم في الحياة بأسلوب الخصام لك.

كفران الماضي ضياع

ما بال أعناق تتلوى بنكرانها للماضي، كأن الضياع الذي هم فيه لا يحسبونهم من أنفسهم فتلتوي ألسنتهم بالمعابة على الذين يذكرونهم بماضيهم..

ما بال هؤلاء الشباب وقد حملوا من الشهادات أعلاها، لا يتجملون ولا يكملون ثقافتهم بالرجوع إلى تراثهم؟ أحسبهم حين يقرأون كلمتي هذه مروا بها يتغامزون. يقولون ما لنا ومال الكتب الصفراء، كأن معيب الكتاب في لون الورق! هكذا زخرفوا حياتهم بالألوان والأصبغة، بينما الذخر للحياة هو في الدسم لقد عابوا عليّ أني أذكرهم بالماضي، فالذين انغمسوا في صنع الباطل كرهوا مني أن أذكر اسم عمر والذين طمسوا لا ينظرون إلى ضياعهم يظنون أن الضياع هو في تذكيرهم بالماضي مع أنه من لا ماضي له.. لا مستقبل؛ له لأن الحاضر نشاز حين لا يرتبط بالماضي وحين ذاك لا يصنع للمستقبل شيئاً، فالنغم النشاز ترفضه الأذن السماعة أما الوضع النشاز فينتكس به الذين أفئدتهم هواء، أي فارغة لا يعمر وجدانها الاتصال بماضيها إذ يغمر وجدانها الانفصال بحاضرها، وكم من مرة ذكرت إجابة الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة اليومية ومجلة السياسة الأسبوعية ورئيس الأحرار الدستوريين ورئيس مجلس الشيوخ.

جاء يرحمه الله حاجاً حتى إذا وصل إلى المدينة أقمنا أنا ولفيف من إخواني حفل تكريم له في بستان العمرانية، فألقيت أمامه خطاباً مطولاً نشر في جريدة البلاغ أيام كان يرأس تحريرها الأستاذ الكبير صاحب الإيجاز عبد القادر حمزة.

ألقيت التحية ثم استطردت أقول له: كنا نعجب بك وحتى نحترق ولكننا لا نحبك لأنك كنت تدعو إلى الفرعونية كما تدعو إلى أن مصر أمة وحدها تابعا لرأي أستاذك الآخذ بيدك أحمد لطفي السيد. ولكنك بعد أن كتبت مقالا تحترم فيه اللغة العربية ترد على طه حسين حين أنكر على الدكتور منصور فهمي يرحمه الله أن يضع كتابه «خواطر نفس» في يد أستاذ العربية الأول صادق عنبر يصحح الأخطاء فيه. أنكر طه حسين على منصور فهمي ذلك. فاعترفت أن العربية إجادة وأنت ومنصور فهمي لستما كصادق عنبر، فثمة ومضة من الحب تضاف إلى الإعجاب وإلى الاحترام حتى إذا ترجمت حياة محمد عن الإفرنسية تأليف دارمن دام ثم أخرجت هذه الترجمة التي نشرتها في ملاحق السياسة بالمجلة في ثوب جديد عربياً بحثاً إسلامياً محضاً مصرياً أسلوباً. تعمق الحب لك.

فإذا الاحترام والحب كانا لك.

هذه خلاصة ما قلته له في حفل من الناس حضره رأساً في هذا الاحتفال وكيل إمارة المدينة حينذاك الشيخ الوقور عبد العزيز بن إبراهيم يرحمه الله. فقام الدكتور هيكل يقول وبالحرف الواحد: لقد صدق الأستاذ. وسماني. لقد تلقينا العلم في باريس في فرنسا فرانت ثقافة الغرب على أفئدتنا فكانها ريح غطى قتامها، ينصرف فكرنا بها إلى ما أنكرتموه عليه،

ولكننا حين رجعنا إلى أرضنا وقرأنا تراثنا، كانت هذه القراءة كأنها الرياح الطيبة أزاحت القتامة والرمال عن أفئدتنا فصفا وجداننا. فرجع الحجر الصلب بارزاً لا غبار عليه. ولقد كان الدكتور هيكل وجاد المولى بك المهمازين حملاً طه حسين وتوفيق الحكيم أن ينافسهما، يكتب كل منهما عن محمد عليه الصلاة والسلام. عن الفتنة الكبرى حتى إذا جاء قارئ التراث الأول عباس محمود العقاد - كان العبقرية في عبقرياته.

ما نقص هؤلاء حين قرأوا التراث بل زادوا، فأصبحوا على قمة الثقافة العربية كلها، يقرأ العربي ما كتبه في الصحاري وعلى شमारخ الجبال وأحواض الأنهار وفي الجامعات والمكتبات وأنا مع معروف الرصافي حين يقول:

فدعني والفخار بمجد قوم مضي الزمن القديم بهم حميدا
فخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديداً
وشر العالمين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

أنا معه. لا أريد بالتذكير الفخار. وإنما أريد أن أزرع الحب لتنمو شجرة العمل حباً قديماً يقام على أساسه حب جديد. إن الكفران بالماضي ضياع الحاضر وأكثر ما يكون الضياع بأن يكون الفرد أمة وحدها.

الكحول من القمح . . والجوع للإنسان . .

ما أعظم الإنسان الأول عاش في الغابة فإذا هو بالتهدي يتعرف على الحنطة، يحصد حبات القمح، يكتشف النار، فالقمح والنار وما إلى ذلك من الغذاء ومواد البناء صار بهما الإنسان في عهده الأول إلى بناء الأسرة والقريبة والقبيلة، فالشعب، فالأمة فالدولة . . وإذا الحضارة ما أبرزها وأعظمها صنعها الإنسان بالأمس . .

وإنسان اليوم لم يصنع حضارة، وإنما هو بوسائل المدنية، وبهداية العلم لا بالتهدي، يخرب ما بناه الإنسان الأول.

فقبل يومين سمعت حديثاً عن الطاقة من إذاعة لندن، فإذا بي أرتجف من الفجيعة صنعها لي إنسان اليوم.

* * *

قالوا: لقد بدأ في الولايات المتحدة وفي البرازيل استخراج أو تقطير الكحول (إسبرتو) من القمح ومن الذرة، أي من غذاء الإنسان، حتى إذا أتلفوا هذه الحنطة والذرة وما إليها بالتقطير والتخمير، وتحصلوا على الكحول يضيفون ١٠٪ إلى ٩٠٪ من البترول كطاقة تسير بها المصانع

والمحركات والسيارات، أليس هذا تلفاً باسم الترف؟ من أجل سيارات، من أجل بعض المحركات تباد الحنطة والذرة، وبعدها الأشجار والفواكه وكل شيء يمكن تقطيره كحولاً ليكون ذلك ترفاً للمترفين، وهلاكاً للجائعين.

لقد كنت في غفلة حين تفاعلت بأن المتوفر من الحنطة وهو أكثر من ١٧ مليون طن منعه عن الاتحاد السوفياتي عقاباً لغزوه الأفغان، فقد تفاعلت أن هذا الوفرة من القمح سيكون طعاماً للجياع يباع بثمن أقل من سعره الآن، وكان تفاؤلي ليس شماتة في الاتحاد السوفياتي، وإنما هو الإشارة إلى أن ارتفاع سعر الحنطة والأرز لم يكن متوازناً مع أسعار البترول، بل هو السبب في ارتفاع أسعار البترول وإنما كان السبب الأصيل هو أن الاتحاد السوفيتي يأخذ هذه الكميات الهائلة من الحنطة لا ليوزعها لشعبه، وإنما يبيعها بسعر مرتفع للشعوب التي تشتري منه، والتي هي في حاجة إلى الغذاء، والولايات المتحدة تعرف هذا، ولكن استجداء الوفاق حمل الولايات المتحدة أن تبيع الحنطة إلى الاتحاد السوفياتي، ولا مبالاة بأن يرتفع سعرها أو أن يجوع الناس.

وتكرر عدم المبالاة بهذا العمل، الكحول من القمح، والجوع للإنسان، ولا أدري لو أن البرازيل عمدت إلى تقطير الكحول من البن فهل يسكت الشعب الأمريكي، يطلب من البرازيل ألا تقطر مادة القهوة.. يكفيها أن تقطر كحولاً من القمح، ولا تستغربوا تقطير البن، فإن كل مادة يمكن تخميرها والتقطير منها، وليرحم الله أبا بكر الرازي فهو أول من علم الناس كيف يُقَطَّر الكحول.. أفليس الإنسان الأول كان عظيماً وإنسان اليوم أصبح

مخرباً لا يبالي أن يموت الإنسان جوعاً لتسيير السيارات نحو دور السينما..
نحو الجبال للترحلق على الثلج، إلى غيرها من وسائل الترف؟.

من أجل عشرة بالمائة تضاف إلى البترول تهلكون الناس بالجوع، ألا
يمكن أن يقتصر الاستهلاك بنسبة التسعين في المائة ويتوفر القمح؟ إن توفر
١٠٪ من استهلاك البترول لا يحيل الترف شظفاً، وإنما هو بالبقاء على
الحنطة يحيل الشظف ترفاً.

الخيار النووي:

وارتفع سعر الذهب بصورة من سعار الجنون من أجل الخوف من
حرب ثالثة يسقط فيها النقد الورقي بالنسبة لغزو الاتحاد السوفياتي للأفغان،
ولكنه بدأ في الانخفاض الآن، لأنه اطمأن إلى أن الولايات المتحدة لن
تواجه الاتحاد السوفياتي في حرب سافرة، كل ما هنالك مقاطعة الدورة
الأولمبية، ومنع الحنطة وما إلى ذلك، ففي الأيام الأولى خافوا من
الحرب، ولكن رجال البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) قد أعلنوا للناس
أنه لا حرب ثالثة، لأن البنتاجون قدم نصائحه للرئيس كارتر، بأنه لا يمكن
المواجهة في غرب آسيا مع الاتحاد السوفياتي إلا بالخيار الأقوى وهو
الحرب النووية، أي أن البنتاجون قد نصح باستحالة المواجهة مع الاتحاد
السوفياتي في حرب تقليدية.. وهذا صحيح.. فليس لدى الولايات
المتحدة ميدان تقاتل فيه الاتحاد السوفياتي، تثمر فيه الحرب التقليدية، فهي
- وإن جاورت الاتحاد السوفياتي في ألاسكا فهزيمة الولايات المتحدة أن
تخوض حرباً في ذلك الميدان، وقد جربت عدم النصر في كوريا وفي

فيتنام، حين خاضت حرباً تقليدية ليس فيها شيء من المواجهة للاتحاد السوفياتي وإنما فيها العون، فالحصيلة أن الاتحاد لسوفياتي يعرف أن حرب الولايات المتحدة ضده بالنسبة للأفغان لن تكون حرب سلاح، وإنما هي حرب المقاطعة، وإن زادت فإنما يزيد لها اشتعالاً الموقف في الصين، والتسليح لحماية باكستان، وهكذا قبل البتاجون كانت فكرة برانت براسل الفيلسوف البريطاني قد وضحت الآن فهو يقول في مقال نشر في مجلة الهلال وكتبت عنه من قبل، أنه لن تكون هناك حرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فالنزاع بينهما خلاف على المصالح، وحماية للمصالح، وهذا يمكن التفاوض فيه والمصالحة عليه.

أما الحرب فإنها واقعة بين الصين والاتحاد السوفياتي، فالخلاف بينهما على المبادئ وفي سبيل المبادئ تقع الحروب. . وأضيف إلى فكرة راسل أنه قد أضيفت إلى المبادئ حماية الأرض، فغزو الاتحاد السوفياتي للأفغان هو لسد الطرق على الصين، ولإغراء التركستان الشرقية بالثورة على الصين، فالصين تتحرك في حماية المبادئ وحماية الأرض، ويكفيها أنها خسرت نفوذها في كوريا الشمالية وفي منغوليا، فلا ترضى بأن تخسر كاشغر وما إليها. . وهكذا هدأت نفوس الثائرين والخائفين، ولكن المسلمين لن تهدأ لهم نفس ما دامت هذه الغزوة من إمبراطورية الكرملين إلى بلد مسلم هو الأفغان. .

إن الاتحاد السوفياتي قد جرب أكثر من ثلاث وعشرين حملة على الشرق الأوسط عن طريق تهديم الإمبراطورية العثمانية والفارسية، فصد عن ذلك، كما خسر الحرب، يريد المياه الدافئة مع اليابان أيام القيصر، ولا بد

إذا ما حزم العالم أمره، ولو بإحراج الاتحاد السوفياتي بالمقاطعة، وبال حرب
يشنها الإسلام عليه، أن ينسحب من الأفغان.

صور:

في إحدى الحملات على الدولة العثمانية أيام الإمبراطور كاترينه، وصل
جيش القيصر إلى حدود الآستانة (اسطنبول) وكان الصدر الأعظم شخصاً
عظيماً، موصوفاً بالعبقرية والذكاء، اسمه فؤاد، ولشدة ذكائه يلقبه الأتراك
هكذا (دلي فؤاد) أي المجنون، فكلمة (دلي) تعني الجنون.

وجلس يفكر كأنما اليأس أطبق على وجدانه فإذا كبير الأغوات في
السراي يقول له: إيش يا باشا؟

فقال الصدر الأعظم دلي فؤاد: دعني وشأني..

فقال الآغا: لازم تقول..

وتذكر الصدر أن الآغا له تأثير في (الحرملك) فقال له: ألا ترى أن
الروس على أسوار القسطنطينية؟

فقال الآغا: يوه.. يا باشا.. الآن مولانا السلطان يخرج السنجك (أي
العلم) يقوم شيخ الإسلام يعلن الجهاد.. سوى دعا.. الروس هف..
يرجعوا إلى الوراء..

فسكت الصدر الأعظم حتى انصرف الآغا، ثم رفع يديه إلى السماء
وقال: يا رب تعطيني عقله أستريح، أو يأخذ عقلي يتجنن..

وانعقد مؤتمر برلين بين بسمارك وجيزرائيلي، فاتخذ خطوات أجبرت

الروس أن يرجعوا، وتم الإبقاء على الرجل المريض..

* * *

محزن أن يقصى الأمين لأنه مشاغب، ويحظى الخؤون لأنه سمسار.

* * *

الذكر ينسى الحب بما يتمتع نفسه من ملذات، أما الأنثى فلن تنسى
الحب إلا بالأمومة، تراها في طفل ولو من زوج لا تحبه، فالأمومة هي
متاعها وهي سبب نسيانها لحبها.

* * *

بعض القادة يغتالون أنفسهم بالخوف، وبعض القادة يغتالون الشعوب
بالتخويف..

* * *

قال أحدهم: أنتم العرب أمة عظيمة وقوية، تريدون إشعال الحرب
على إسرائيل، وتقدرتون على ذلك، ولديكم الكفاءة لتنالوا النصر، ولكن
ينقصكم أنكم لا تستطيعون تنفيذ الإرادة، لأن القوتين العظيمين تحجزكم
وتعجزكم، فإمبراطورية الكرمليين حازجة، وإمبراطورية البيت الأبيض بالدفاع
عن إسرائيل تعجزكم.

* * *

قلت: ما الفرق بين القدرة والاستطاعة؟

قال: القدرة عمل الذات، والاستطاعة تسخير الذات.

معنى جديد لهذا الفرق تمليه الليالي من الزمان حبالى..

* * *

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

اسمها . . رابطة العالم الإسلامي

وكاتب الحرف الملتزم لا يجد نفسه إلا ملزماً لأن يكتب عن موضوع يوائم الموقف الذي ألزم به، أو يكتب عن موقف يناقض موقفه الذي ألزم به، والإلزام يعني الالتزام ليس بطابع التسخير بقوة القاهرة أو تعليمات صادرة، وإنما هو مع المسيرة نحو ما التزم به شعبه من مبادئ الدولة التي هو واحد من الجماعة لا يشذ عنها، والخضوع لرأي الجماعة قد نسميه الطاعة، وقد يسميه غيرنا إلزام الديمقراطية فليست الديمقراطية، إلا الخضوع لرأي الأكثرية؛ لأن الأقلية - وإن كان لها رأي الأكثرية - فإن الديمقراطية تلزم برأي الأكثرية وتسقط رأي الأقلية.

وهذه المقدمة أكتبها تاريخاً لرابطة العالم الإسلامي وما تفرع عنها وهو المؤتمر الإسلامي، فقد نبغت نابغة هذه الأيام جرت إليها حوادث الأفغان، وهذه النابغة لا نسأل عنها لو لم تكن من مصر، فمصر في قرار لإحدى لجان الحزب الديمقراطي الاشتراكي، طلبت تأسيس الجامعة الإسلامية، فهل رابطة العالم الإسلامي لا تمثل الجامعة الإسلامية، مع أنه بالأمس - وحين كانت مصر تتولى أمانة المؤتمر الإسلامي المتفرع من الرابطة لم تقترح مثل هذا الاقتراح؛ لأنه في واقع الأمر كان في نظرها حينذاك، أن رابطة العالم الإسلامي تمثل الجامعة الإسلامية، وأن المؤتمر الإسلامي يمثل

الحكومات الإسلامية في إطار الجامعة الإسلامية رابطة العالم الإسلامي التي يمثل رجال من كل الأمة المسلمة .

إن هذا الاقتراح قد واكبه تفريع ما كان أشد إعجابي به، ولو لم يكن في هذا الوقت بالذات ومن عجيب أن الوقت، كما قلنا من قبل، يضيفي على الكلمة دقة الصواب لها، أو فشل الصواب منها، فالوقت يعطي دلالة الكلمة كل ما تعنيه أو يسلبها كل ما شغبت به .

وهذا التفريع قاله أستاذ يملك ناصية موضوعه فهو يرى أن المؤتمر الإسلامي يمثل الدول أو الحكومات، فلا بد من إنشاء الجامعة الإسلامية لتمثل الشعوب، رأي يعجب، لو لم تكن رابطة العالم الإسلامي موجودة، أفليست هي تمثل الآن الشعوب الإسلامية؟ فهذا الرأي لو طرح من قبل أن تؤسس الرابطة لكان توقيته يعطي الصواب له، ولكن غزو الأفغان ووجود رابطة العالم الإسلامي قد سلبه هذا الصواب، ولكن كيف تتغير المواقف التي تحتمها المبادئ بحوادث جانبية ومواقف عرضية؟ فإن مصر العظيمة في إسلامها وعروبته كانت العضو الثالث المؤسس للمؤتمر الإسلامي، الملك سعود - أي المملكة العربية السعودية - غلام محمد أي دولة باكستان، جمال عبد الناصر أي دولة مصر، وقد كان الأخ رئيس الحزب الوطني الديموقراطي الرئيس أنور السادات السكرتير للمؤتمر الإسلامي، وحين طرأت مواقف تخلت مصر عن هذه العضوية، لا خروجاً على المبادئ، فمصر المسلمة لا يمكنها الخروج على المبادئ، وإن جانبتها في ظرف معين لغرض معين، وقد طرأ عن هذا الخروج وضع البديل للمؤتمر الإسلامي، وهو تأسيس رابطة العالم الإسلامي؛ جامعة إسلامية مثلت فيها كل الشعوب

المسلمة وحتى مصر بالذات، فقد كان أحد الأعضاء المؤسسين مفتي مصر السابق الشيخ حسنين مخلوف، فهى لم تنكر عليه، فعلى عراقه جمال عبد الناصر في ذلك الوقت لم يتخذ ضد المفتي حسنين مخلوف أي إجراء يمنعه من عضوية رابطة العالم الإسلامي، كأنما الرئيس جمال عبد الناصر - يرحمه الله - قد رأى في تمثيل مصر في رابطة العالم الإسلامي خط الرجعة إليها. كأنما تأسيس رابطة العالم الإسلامي باعتبارها جامعة الشعوب المسلمة، قد سبق رأي الدكتور المعلق في صوت العرب كما سبق قرار لجنة الحزب الوطني الديمقراطي.

إن الوضع في أفغانستان لا ينفع معه التشغيب ولا تفيد المماثلة بل إن الجريمة - كل الجريمة - في التخرجات والتفريعات والمماثلة كأنما كل دولة قد انتظمت في المؤتمر الإسلامي ملزمة كل الإلزام بألا تخرج علينا بكلام يمليه الخوف من الاتحاد السوفياتي أو تنتكس به مبادئ العروبة والإسلام ولكنها أوضاع، فلقد قالوا من قبل إن الرابطة والمؤتمر الإسلامي، والتضامن الإسلامي تبعية للولايات المتحدة، وقد رأينا من العالم الحر كله ومن الولايات المتحدة بالذات الحرب تشن على الإسلام الممثل في الرابطة والمؤتمر والتضامن مما يثبت أن هذه المؤسسات الإسلامية لم تكن تابعة للاستعمار القديم، واليوم تقول ألسنة عربية إن الولايات المتحدة تسخر المؤتمر الإسلامي لأغراضها، واليوم تشغب دولة مسلمة برأي خلفي تريد به نسف رابطة العالم الإسلامي والمؤتمر الإسلامي.. حيرة سببها الاستقطاب، وأكبر أسبابها الخوف، ولكنه الإسلام عزيز ينتصر دائماً بشن الحرب عليه، وكما هو في الحديث الصحيح «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الكافر أو بالرجل الفاجر» وكما قلت من قبل، فإن تخريج أبي السامي صاحب البيان

المشرق أستاذنا مصطفى صادق الرافعي وهو ما أعتقده التخريج الصحيح لهذا الحديث، قرأته له في كتابه (تحت راية القرآن) في الرد على الدكتور طه حسين، يقول الرافعي: إنه ليكفر الكافر، يحارب الإسلام، ويفجر الفاجر يحدث البدعة في هذا الإسلام، فتثور ثائرة المؤمنين تحارب الكافر، وتصد الفاجر لتنصر إيمانها، ليتنصر إسلامها.

خطاب مفتوح:

خطاب مفتوح إلى سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران ورئيس اللجنة العليا للتنظيم الإداري.

يا صاحب السمو:

تشرفت بلقائكم بعد مغرب يوم من الأيام التي سبقت حوادث المسجد الحرام، فتحدثت إليكم عن بعض الخريجين من الجامعات، ومن كلية الطب وكلية العلوم بالذات، الذين كان حظهم أن يمنحوا شهادة (جيد فقط) وقلت لكم إن حملة الشهادة بدرجة جيد من كلية الاقتصاد أو الآداب أو الحقوق وحتى كلية الهندسة، يجد مجالاً في غير الجامعات، بينما لا يجد الطالب المتخرج بهذه الدرجة المجال إلا في الجامعات سواء كان من كلية الطب أو كلية العلوم وأمرتم سموكم أن أكتب إليكم تقريراً بذلك، فكتبت التقرير وسلمته لأحد الرجال في بيتكم العامر، شرحت فيه الأسباب التي عوقت الطالب ألا ينال إلا هذه الدرجة ليس أولها صعوبة الدراسة في هاتين الكليتين، وإنما أولها، وأخطرها عدم انتظام العازفين عن التلاعب بالانتظام في الدروس الخصوصية، ورجوتكم أن تسلطوا الأضواء على ما ينجم عن هذه الدروس الخصوصية من التعويق، سواء لدينا أو في الجامعات خارج

الحدود، فهناك الكثير مما يتضح لكم بعد إلقاء هذه الأضواء، وشافهت معالي وزير التعليم العالي عما شرحته لسموكم. ذلك أني حملت إليه صورة من خطاب كتبته إليه جامعة الملك عبد العزيز عن هذه المشكلة وأظهر فضيلته كل الترحيب بكل الحماسة أن يدرس هذا الوضع، وأخيراً علمت من معاليه أن اللائحة تمنع ذلك، فشرحت له ما علمته وما أوضحتها لسموكم في تقرير بأن هناك أمراً من مجلس الوزراء بناء على اقتراح مدير جامعة الرياض الأخ الصديق الدكتور عبد العزيز الفدا يقرر عدم قبول من يحمل درجة جيد فقط معيداً في الجامعة، وقلت لمعاليه: إن كثيراً من هؤلاء أصبح عاطلاً لا يجد مجالاً في كلية الطب لدينا أو كلية العلوم، فلعلّه استحسن أن يخطو خطوة لدى مجلس الوزراء، أرجوك يا سمو الأمير باعتبارك رئيساً للجنة التنظيم الإداري أن تولي هذا الموضوع عنايتك معيناً لمعالي وزير التعليم العالي ولجامعة الملك عبد العزيز والدك العظيم يرحمه الله، ولجامعة الملك فيصل أخيك العظيم يرحمه الله، فقد طلبت من كل منهما تعديل هذا الأمر بالنسبة للمتخرجين من كلية العلوم وكلية الطب. وما أريد إلا إنقاذ هؤلاء من البطالة أو تدمير أنفسهم.. وأسأل الله لكم التوفيق..

حديث اللغة الشاعرة

وبقيت إمبراطورية اللغة العربية منتشرة في كل أقطار الأرض فما دام القرآن يتلى في المساجد والمحاريب والمدارس والجامعات، وعلى لسان كل المصلين فإن هذه اللغة باقية يحفظها الذكر كأنما هي قد دخلت في حفظ الله حافظ الذكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

ولكن بعض التقصير، ولا أقول في تدريسها ومدارستها، وإنما أضيف إلى ذلك في العجز عن تلقينها، فحتى الدارس لها كثيراً ما يخطئ نحواً و صرفاً؛ لأن التلقين هو المعلم الأول لها، فالأستاذ يعطي درس اللغة بأسلوب عامي، كأنه حينما يعلم قانونها لا يحرص على الامتثال لهذا القانون، فكم من مرة أحرص فيها ألا أخطئ نحواً، وأعجز عن تمام هذا الحرص لأصيب صرفاً، فالنحو قد تلقينته دراسة، أما الصرف فما كان لي أن أتلقاه تلقيناً، فالتلقين أصبح في حكم العدم.

وظاهرة أخرى هي التي حملتني أن أكتب هذه المقدمة، وهي الإحاطة لبعض الألفاظ العربية الفصيحة من بعض علماء اللغة الأولين على أنها معربة، فمثلاً كلمة (استبرق) تطالع في معاجم اللغة أو في كتب التفسير على أنها معربة عن الكلمة الفارسية (استبراه) ذلك سببه الولع من هؤلاء العلماء بلغتهم الموروثة يحملون لغتنا المكتسبة لهم بأنها مأخوذة من

الفارسية، مع أنك لو سألت أي فتاة أو فتى من أبناء اللغة العربية عن أصل هذه الكلمة (استبرق) لقال لك إن لها بريقاً، وبالفعل طرحت هذا السؤال فكانت الإجابة من فتاة هي كما قلت، فمادة الاشتقاق سواء كانت الفعل الماضي (برق) على رأي الكوفيين، والمصدر (برقا) فإن استبرق تكون مشتقة من (برق) أو (البريق) فلماذا نقول إنها معربة وعندنا مادة الاشتقاق؟ والكلمة الكريمة (القرآن) فقد قال بعضهم إنها معربة من الحبشية فلماذا، وعندنا أصل الاشتقاق (قرأ) أو (قراءة) ثم إن الحبشية والعبرانية والآرامية والسريانية وما إلى ذلك، من أصل واحد هو اللغة السامية، استعجمت على السنة هؤلاء، أو تجمدت على هذا الأصل، بينما جاءت الفصحى العربية تشرق بها، وتلفظها بجرس ورنين كأنما أزالنا الجمود عنها، وأطاحت بالاستعجام، فكلمة (القرآن) كلمة عربية لأن مادة الاشتقاق موجودة.

وبالأمس أخذت (لسان العرب) للإمام ابن منظور أتعرف على لفظ (الكناس) بيت الطيبي، والكنيسة معبد النصارى، والكنيست برلمان اليهود، فإذا ابن منظور عليه رحمة الله يشرح الآية ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنُسِ . الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ (التكوير: ١٥ - ١٦) شرحاً وافياً كلها ترد إلى هذا الاشتقاق، لكنني قد رأيته يقول (والكنيسة معربة) عن (الكنيست) فعجبت كيف يشرح لفظاً من هذا الاشتقاق ورد في القرآن على أنه معرب عن العبرانية، فهل كلمة (شالوم) يعني (السلام) هي الأصل عربت عنها كلمة (السلام)؟ وهل (أورسليم) معربة عن (أورسليم)؟ وهل كلمة (اثنين) العربية معربة عن (ثناين)؟ كل هذا يجعل اللغة العربية لغة ملفقة، فالكنيسة والسلام وأورشليم واثنان! كلمات عربية الأصل ليست معربة عن العبرانية، وإن كانت سامية العرق باشتراك العبرانية في استعمالها كلغة ورثتها.

وهناك ألفاظ قرآنية كالزنجبيل والقسطاس قالوا إنها معربة أصلها أعجمي، عربها القرآن، مع أن الحق أن القرآن وقد نزل باللغة الفصحى فقد كانت معربة فصيحة قبل نزولها، فجاء بها، وهي العربية الفصيحة لم يأخذها القرآن من الأعجمية، وإنما نزل بها وهي العربية الفصيحة وإن عربت من زمن بعيد، فالتعريب من أصل اللغة، لغتنا الشاعرة.

وهذه كلمة كتبتها لعل قارئاً أو دارساً يستفيد منها أو يعطينا الأكثر من ذلك.

صورة:

ناحوم قولدمان زعيم الصهيونية، رئيس الوكالة اليهودية، فهو العريق صهيونياً يهودياً، كأنه الوريث لهرتزل ووايزمان والدهاقنة الآخرين، أذاعوا له تصريحاً يرغب أن يمارس الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ليتأتى له بعد الحوار مع ياسر عرفات.

هذا هو الخبر، ولكنني أطرح سؤالاً.. هل هو مقتنع بمنظمة التحرير؟ هل يستطيع أن يملي علي بضيف هذا الاقتناع؟ أم أنه استهلاك للزمان؟ يريد أن ينصب نفسه يهودياً معتدلاً، لا صهيونياً متطرفاً يخدع الرأي العالمي كما يخدع منظمة التحرير، ولكنني أحسب أن منظمة التحرير لا تصدق يهودياً صهيونياً، فإنها أعلم بأكاذيبهم ومناوراتهم، بل إن إقصاءه من الوكالة اليهودية ما هو إلا حركة تخدع بها الصهيونية الذين يتصورون أن جولدمان يستطيع أن يفعل شيئاً، أو أن يصدق في أي كلمة يقولها.

العلم كبرياء ولو تواضع حامله، والثقافة نظافة ولو اتسخت أثواب حاملها كما اتسخت أثواب أبي الفرج الأصفهاني، والمال قسوة وضاوة، فكلما تضخم الثراء كان ذلك عاملاً في ضخامة القسوة.

العروبة

لسان قرآن . . أرض جنان

وليس هذا العنوان مادة من قانون . . سنته الجامعة العربية أو صاغه خطيب على منبر . وإنما هو الوضع الطبيعي . . كالتزام وإلزام يحتمه تاريخ هذه الأمة . . فلئن كانت أمة العرب قد صنعت التاريخ المشرف . . والأمجاد العظيمة فإنها من صناعة التاريخ . . تاريخ الإسلام هذا الدين الحنيف . . ولم يكن هذا العنوان قد خبرته قبل أن يصوغه حوار وتسعفني به إجابة . . أتوقى بها الجروح المصابة .

فالحوار جرى بيني وبين الابن الصديق عبد الله عبد الرحمن جفري ، فقد مرت ساعة من نهار نتجرع فيها الغصص حين نتذاكر فيما عليه أمة العرب الآن .

وطرح هذا السؤال . . وما هي النهاية للأمة العربية؟

قلت: لا تسأل عن النهاية اليوم . . واسأل عن البداية فإنك ستجد أن بداية الأمس هي كالنهاية اليوم .

واكفهر . . يحسبني أفجعه في البداية . . تأخذه الظنون ، كأنني قد انقلبت

شعوبياً.. أمسخ تاريخ العرب.. وأنسخ على صفحات القرطاس تاريخاً
أهجر به التاريخ.

واستطردت أقول له: هل فجعتك في قومك.. أليست البداية أنهم
كانوا قبائل في قلب الجزيرة العربية في النجود والتهائم والسروات وأليست
«يمنهم» كانت مستعمرة حبشية.. وحيرتهم تحت الاستقطاب الفارسي..
والشام كلها تحت الاستعمار الروماني ومغربهم قد بسط الرومان نفوذهم
عليه.. هكذا كانت البداية حتى إذا سطع النور على حراء.. وأشرق
البرهان على الصفا، وطلع البدر مشرقاً على قباء في دار الهجرة، تكوّنت
الأمّة فإذا القبائل واليمن والشام والعراق والفسطاط وكل المغرب العربي
ينتظمون في أمة واحدة دينها الإسلام لسانها العربية.. حاكمها القرآن..
وازعها إيمان يماً الجنان.. تلك كانت البداية أفليست النهاية اليوم كالبدء
أمس.. فحين أصبح اللسان عربياً والوجدان رومانياً أو أعجمياً وغير ذلك
من نزعات القومية قومية الأرض المحدودة.. لا أممية الأرض غير
المحدودة، فاللسان عربي اليوم، ولكنه لا يتكلم إلا القليل من هذه الأمّة
بآية من القرآن.. بل إن بعضهم هجر القرآن فأتسخ الجنان بمذاهب أبعدته
عن قيمة الأرض والدين فأسقطته في بؤرة الاستقطاب حين تمذهب كثيرون
بمذاهب هي الحرب على مقوّمات الوحدة في الأمّة العربية، حرب على
الأرض.. على الدين.. يشنها التخلّص من وازع الإيمان إلى نوازع
الشهوات.. وتوزيع القيادات ولو نظر دعاة القومية المحدودة في الإقليم إلى
ما ذكره ابن خلدون عالم الاجتماع الأول وفقه التاريخ الأول.. فقد قال:
إن أي دولة لا تقوم إلا على وحدة الدين.. فالإسلام عنده هو الذي فتح
وانتصر والأعرابية عنده هي التي تبعثرت وهزمت.. وإني معه في هذا
التقنين وإن كنت لست معه في تشنيعه على العرب.. لكنني أحسبه في

احترام لقدره لم يكن شعوبياً يمسخ فيه العرب وإنما هو وقد اكتوى بنار الخلاف.. وبالحرروب الإقليمية والتنازع بين القادة.. أكد أن ذلك كان بالانصراف عن الدين وباحتراف القبلية والإقليمية..

ولعلّ صديقي قد تنفس الراحة حين لم أفجعه في قومه، فإن الأمة العربية قد أصلح أمرها رجال آمنوا حين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. ويفسد أمرها رجال لهم لسان عربي ووجدان شعوبي.

وكان الحوار على أساس ما أحدثه من ألم وما عمّق من حزن المقال الذي كتبه جريدة (تشرين الدمشقية) فقد سمعنا ما أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية ووكالة رويتر الإنجليزية حيث عزت إلى جريدة تشرين ترحيبها بالغزو السوفياتي فها هي تصفق للشيوعية.. تحسب أنها تحارب الإمبريالية بينما الغزو الذي شنته إمبراطورية الكرملين ما هو إلا إمبريالية توسعية تريد الوصول إلى المياه الدافئة وإلى وسائل الدفء وما إلى ذلك..

لقد فجعت بمقال تشرين.. كأنما هي قد أسقطت انتصار تشرين.. كأنما هي لا تعرف لدمشق قدرها..

دمشق يا حاضنة الربوة ذات القرار والمعين يا شامخة شموخ المنارة البيضاء يا موطن الإمبراطورية الأولى.. بعد الخلافة الإسلامية التي أنقذتك من سلطان القيصر فترحيبك اليوم بسلطان قيصر آخر كأنما أنت يا دمشق تسقطين من حسابك الأعلام من الرجال الذين حاربوا الاستعمار الفرنسي.

إبراهيم هنانو.. شكري الأيوبي.. يوسف العظمة.. شكري القوتلي.. كأنهم قد أخطأوا في حرب الاستعمار، ولعلّ أن القول يمتد إلى أنك اليوم ومقال تشرين تقرئينه قد أبقيت نور الدين زنكي بعد أن أضحكه صلاح

الدين وقد رزئت العز بن عبد السلام حينما ارتفع صوت الملك المظفر
يهزم التتار في عين جالوت بالكلمة التي تنكرها تشرين (وإسلاماه). لماذا يا
دمشق: أنسيت قول شوقي فيك:

دمشق ألت للإسلام ظئرا ومرضعة الأبوة لا تعق

فمن هم الآباء.. آباؤنا وآباؤك.. أليسوا هم الذين يستأهلون العقوق
من كاتب تشرين؟

هم أبو عبيدة.. أكرمك حين قرر فتحك صلحاً هم خالد بن الوليد
الذي تسلق أسوارك لينقذك من بطش الرومان.. هم صلاح الدين ونور
الدين..

أبعد هذا المجد لك كله في التاريخ شامخاً.. صانعاً لمجد الأندلس:

لولا دمشق لما كانت طليطلة وما زهت ببني العباس بغداد

أنا يا دمشق أم بغداد، دمشق كنت الحانية والجانية.. الحانية على
إسلامك والجانية من جني إسلامك أفتصبحين اليوم الجانية على إسلامك..
أبشرك إنها سحابة صيف عن قليل تكشف.. فالبداية أعطتنا أن تكون
النهاية كالبداية.. فقد قال إمامك النووي ابن دمشق: سيعود الإسلام كما
بدأ.. ولن تكوني يا دمشق غير مسلمة.

العروبة لسان.. وأنت أحد حفظة اللسان.. رغم أن العرق العربي في
الشام لم يبلغ الخمسة وعشرين في المائة.. فعروبتك لسان.. قرآن..
أرض.. مصير.. مصير يحكمك.. إلا أن يكون الجنان عربياً مليئاً
بالإيمان. لا أكتب هذا ثائراً عليك.. فحبك في الأعماق ولا أثيرها ثائرة

عليك . . وإنما أكسب بكل محرّج من الإيمان أني ما أردت إلا أن أستثيرك
لتصوني نفسك ولتصوني قومك . . فالغزو الروسي كيف تريته سيكون؟

أنت يا دمشق لأول مرة تحكّمين بشيعة علي . . فهل ترضى شيعة علي
أن تكون الخطوة الثانية تهدم بها الشيوعية الماركسية الملحدة مدينة قم
ومثوى علي الرضا؟ أحسب أن يوم عاشوراء لا يرضيك أن يكون يوماً ثانياً
في التاريخ .

وهل بلغت الحماسة للاتحاد السوفياتي لدى كاتب تشرين درجة من
الخوف . . ولا أقول تجديفاً للعقيدة؟

إن يوغسلافيا الشيوعية والمجر وألبانيا الشيوعيين قد استنكروا هذا
الغزو . . أفلا تقولين يا دمشق كلمة استنكار باعتبارك عضواً في المؤتمر
الإسلامي . . إن هذه الدول الشيوعية خافت على نفسها من خوفها على
العالم وأنت كأنما الخوف قد ألجمك عن الإنكار وأنطقك بالثنايا على
انتصار الذين يصفون المخافة للعالم .

* * *

حوار آخر!

وجمعتني مصادفة مع أستاذ من حلب الشهباء حاضنة العروبة السماء أم
جابر بن حيان، قال لي: نحن بني أمية فقلت له: أتفخر علينا بفخرنا
عليكم من هو أمية . . إنه كفرد لا أثر له من صنع في الشام هو فخرنا
عليكم . . لأنه ابن البطحاء . . مكة المكرمة . . افخروا بغيره من بنيه الذين
أسسوا الإمبراطورية الأولى فيكم . .

المعاديون والمردانيون . . لا تفخر بأمية . . إلا إن كنت وأنت أستاذ تاريخ قد تأخذ بالقول المرجوح بأن أمية لم يكن ابناً لعبد شمس من صلبه . . وإنما هو كما قالوا عبد رومي قذفه البحر أي جاء جليبا فاشتراه عبد شمس وتبناه، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية . . فهذا حرب بن أمية الأكبر الذي نتكلم عنه قد تبني عبداً له اسمه (ذكوان) فسماه أبو عمرو - وأبو عمرو هذا والد عقبة بن أبي معيص الذي كاد يخنق الرسول ﷺ في الحج فخنقه أبو بكر وهو الذي قذف النبي عليه الصلاة والسلام (بالسلا) إن كنت ترجح هذه القولة فلا ننازعك الفخر بأمية .

كلمة الحق

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . كلمة مشرقة مؤمنة . قالها مالك ابن أنس في ساعة كرب، يحارب بها بدعة ويقضي على فتنة، ويجعل منها تفسيراً عميقاً لفهم الشريعة المسلمة، تتسع ولا تضيق على عدل ولا يجوز انتحال نحلة باطلة .

حوار بين عباسي وأموي

صفحات التاريخ قصص مدوّنة، وكلمات مأثورة، وأحداث مشهورة، ومواقف مبتورة، فإذا ما أراد الكاتب أن يستنبط فقهاً من كل ذلك يعطي لخياله فرصة التحدث عن حوار، إن لم يقع ولم يدوّن، فإن التخيّل والاستنباط ومعرفة الأحوال وما إلى ذلك، تجعله يرسل حواراً بين اثنين: أموي وعباسي. فإنهما وقد انتسبا إلى جد واحد (عبد مناف) وإلى جد أكبر هو قريش، فإنهما، أعني العباسي والأموي، أو أسترسل مع التعميم أكثر ليشمل الانتساب العلويين، فليكن الحوار بين هاشمي وعشمي.

وحين استمر القتل في بني أميّة بسيف ابن عمهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد اللطيف بن هاشم، وحين أشاع القتل في بني أمية الخليفة السفاح، فر واحد منهم فلجأ إلى أحد العباسيين ممن لم يكن لهم حظ في السلطان، لجأ إليه فألجأه؛ لأنه قد دخل بيته، ولأن هذا العباسي لا حظ له في سلطان ينتقم. فقال العباسي للأموي: بسطتم سلطانكم علينا تسعين عاماً.. فرضتم علينا التخفي، نلجأ إلى الطائف أو ننزوي في المدينة، فلم يعجبكم ذلك، فنفتيمونا إلى (حران) حول الأردن.. فعلتم كل ذلك، فلا تجزعوا من الانتقام!

فأجاب الأموي: إن انتقامكم كان فظيماً وسلطاننا لم يكن بهذه

الفضاعة.. لقد تسلطنا في إمبراطورية كبيرة مدة التسعين عاماً، وهذا ما تنقمونه منا.. بينما ما كان سلطاننا إلا تحت سلطان الدين.. هذا الإسلام الذي أنعم الله به على هاشمي منكم، بعثه رسولاً، بشيراً ونذيراً، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.. قرابتنا منه من عبد مناف افتخرنا بها وأنتم الأقرب بالنسبة لعبد المطلب ينبغي أن يكون فخركم به أكبر.. لقد كان سلطاننا تحت سلطان الإسلام والقومية العربية، فلو عرفتم قيمة القرابة لرسول الله لكان فوزكم بها أكبر، ولكنكم رجعتم بها إلى مطالب دنياكم، فنحن وأنتم في الخطأ سواء!

فقال العباسي: تلك أيام خلت، فماذا أنت صانع الآن؟

قال أخرج من عندك بدوياً أعرابياً، أنتسب إلى باهلة فلا حاجة لي بنسب يقتلني!

فقال العباسي: صلة القربى قطعتم وقطعناها. فما أشد وقعها حين تقطع.. خذ هذا المال وابخ بنفسك، فلا نجاة لأموي من سيف العباسي.
فقال الأموي: والأدهى من ذلك أنه لا نجاة لعلوي من سيف العباسي.

ميسرة:

وتلفزت حديثاً عن أم المؤمنين السيدة خديجة فذكرت اسم غلامها «ميسرة» الذي رافق النبي سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام في رحلته إلى الشام في تجارة لخديجة ذكرت اسم «ميسرة» باسم «مسروق» ولم أنتبه لهذا الخطأ إلا حين سمعتها متلفزة «ليلة الاثنين». لقد أكرمني هذا الخطأ من اختلاط الحافظة، وحين سمعت هذا الخطأ أسرعت إلى المرجع لأتبين

ترجمة لـ «ميسرة» فنحن نعرف أنه غلام خديجة، وأنه قد حدثها بكل ما رأى من عجيب الكرامات والنعمة على رسول الله ﷺ ولم نعرف غير ذلك حين عرفت هذا الجهل جرنى إليه ذلك الخطأ، رجعت إلى الإصابة وأنا في عجلة من أمري لأعلن الخطأ وأكتب الصواب.. رجعت إلى الترجمة وضحكت.. عرفت من أين اختلطت حافظتي، فقد ترجم ابن حجر أول اسم لميسرة هو (ميسرة بن مسروق العبسي.. أحد أعيان الوفد على رسول الله ﷺ من عبس. وله مواقف مشهورة. فقد حضر اليرموك وكان من الذين يصطفئهم خالد بن الوليد). لهذا فقد ترسب اسم «مسروق» مقروناً بـ «ميسرة» العبسي. وحين ذكرت اسم غلام خديجة برز اسم مسروق يخفي اسم «ميسرة» فالصحيح أن غلام خديجة اسمه «ميسرة»، ولكن الإشكال هو أنه لم نعرف عن هذا الـ «ميسرة» وهو من أهل بيت خديجة وكلهم قد أسلم، فلماذا لا نعرف عن «ميسرة» هل أسلم أم لم يسلم؟ لم نعرف ذلك من قبل. ولكن الخطأ هداني إلى المعرفة، فقد جاء في الإصابة لابن حجر هذا النص، فيه أن «ميسرة» لم يدرك بعثة رسول الله ﷺ «ميسرة غلام خديجة - ذكر في السيرة وكان رفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها وحكى بعض أدلة نبوته.. وترجم له ابن عساكر، ولم أقف على رواية صريحة بأنه بقي إلى البعثة فكتبته على الاحتمال» الإصابة الجزء ٣ ص ٤٤٩.

وعلى الله قصد السبيل.

براعة استهلال . . روعة استقبال . . نعمة التوفيق

أيها الملك فهد بن عبد العزيز . .

لا يسع المسلم من هؤلاء الركع السجود ومن هؤلاء الذين يؤدون فريضة الحج في عامهم هذا وفي كل عام سبق، وكل عام يستقبلونه، إلا وهم يرفعون أكف الضراعة، يسألون الله سبحانه وتعالى أن يديم عليك نعمة التوفيق، مؤيداً بنصر الله، تعتز بكلمة التوحيد، وبتوحيد الكلمة، ذلك أن التوفيق لك والنصر والعزة ما هو إلا جالب الصون لأمن الحجيج فإذا ما تمتع الحاج بأداء الفريضة آمناً مطمئناً كان هو لك داعياً، وبك منتصراً، وعليك، بعد الله، يعتمد، وذلك مرة أخرى، فإن الحجيج إذا ما تذكر كل واحد منهم حرمانه من الحج إذا لم يكن آمناً، فإنه يشكر الله، بإعلان الشكر للذين آمنوا.

فمن عهد أبيك، الذي منَّ الله عليه بألا يكون واحداً من الذين هتكوا حركة المسجد الحرام، أو من الذين أسقطوا حرمة المسجد النبوي، من ذلك العهد، يوم استقبلته مكة آمناً فيها، آمنة به، رسخ الله على يديه دعائم الأمن. ففي كل عام يتجدد تنظيم للحج، ولا يشعر المسلم بوعثاء الطريق، ولا بانحراف الرفيق. فأنت يسرت الطريق، وأنت نعم الرفيق، أدام الله عليك نعمة التوفيق.

أيها الملك :

أرسلت كلمة مؤمنة، ليلة أن كرمت كل من حج، ممثلين في رجال طليعة منهم، فتواضعت أن تكون واعظاً، فارتفعت بهذا التواضع رائداً لم يكذب أهله، بسطت بالكلمة الراحمة أمام أسماعهم ما هم عليه، تبصرهم بما كان لهم ليبصروا ما هو مطلوب منهم، يتحقق به النصر، يزول به الضيم، حين تجتمع أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

إن براعة الاستهلال كانت بهذه الفاتحة تلاها قارئ القرآن، حتى إذا سمعوها فرحوا بها، برهان استقبال، لأنهم ضيوف الرحمن، فبراعة الاستهلال في هذه الآيات فيها روعة الاستقبال ليشعروا بأن نعمة التوفيق لهم تمامها بأن يكونوا الجمع الواحد، في كل أرض مسلمة، كما هم الجمع الواحد في المسجد الحرام، وفي عرفات، فلا بد لي من أن أتمثل بهذه الآيات، فاتحة الحفل، أزيد بها كلمتي، حتى إذا قرأها حاج تذكر أنه لبي دعوة إبراهيم، خليل الله أبي الأنبياء، عليه وعلى خاتم الرسل، سيدنا محمد بن عبد الله، الصلاة والسلام..

أيها الملك ..

في الكلمة الراحمة المؤمنة، تلفعت بالوقار، وارتفعت عن التزايد بالكلام، نصحت راجياً، وأرشدت آملاً. كنت فيها الرائد، كأنما قلت لهم: أنتم اليوم مؤاخذون، فالكثرة في العدد، والقلة في المدد، لا يأتي بهما نصر، فلقد مضى تاريخكم بالنصر العظيم، في بدر، والفتح المبين بعده الفتح الذي بلغ مشرق الشمس ومغرب الشمس. ولم يكن كل هذا النصر

إلا بقلّة العدد، وقوة المدد: جهاداً على عقيدة واحدة فأولكم قد فتح الدنيا كلها لإسلامكم في ثمانين عاماً، بينما الرومان لم يصلوا إلى هذا الفتح في ثمانمائة عام.. وكنتم بكل ذلك أرحم الفاتحين.

أيها الحاج المسلم..

أليس من النصح منك ولك أن تؤدي فريضة الحج، بالأمن منك، حيث متعت بالأمن لك؟ فالشكر للنعمة ألا تتخذ وسيلة للعصيان، والجدال. فقد عرف قادتكم وعلماءكم كلمة أحد الصالحين، ألا وهي: الشكر (ألا تعصي الله بنعمه) فاتقوا الله في أنفسكم، فأول الإنصاف، وجالب النصر، هو أنفسكم، هو أن نتصر على أنفسنا، كما جاءت هذه الكلمة في رسالة الملك فهد بن عبد العزيز، وجهها إليكم، يوم أن كرمكم في ليلة السابع من ذي الحجة، حيث على سنة التكريم لكم، سنها أبوه الإمام السلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، أيده الله، وما تخلف عنها الملوك بعده، فهم بنوه الحريصون على أن يثبتوا ثباتهم على كل سنة حسنة، وما أحسن أن تجتمعوا في صعيدين: صعيد المسجد الحرام، وصعيد عرفات، ولا أتجاوز إذ أقول أن بيت الملك في مكة المكرمة هو صعيد ثالث حين تجتمعون فيه. فأسأل الله أن يحفظ بنا الذكر، ويمنحنا النصر، ويجنبنا الشهوات والنزوات واتباع الحاقدين. والله ولي التوفيق.

الحاخام يشتري القدس!

وقبل يوم القدس، الذي حددته لجنة القدس، أذاعت علينا وكالات الأنباء، وعلى طريققتها لا تعطينا فائدة إنما تذيع أي خبر فيه المكايدة - أذاعت أن الحاخام الإرهابي (كاهان) قد كتب لمفتي القدس، أو لرئيس المجلس الإسلامي الفلسطيني العربي المسلم، الشيخ سعد الدين العلمي، يطلب منه أن يبيعه بيت المقدس، المسجد الأقصى.

وليس هذا الخبر بالغريب ولا هو بالعجيب، فإذا ما ظن أحدكم أن هذا الكاهن الحاخام اليهودي قد مسه جنون، يطلب المستحيل، فإن هذا الظن هو العجيب، يدل دلالة واضحة على أن صاحبه لم يعرف بعد سلوك اليهود. إن عرض الحاخام (كاهان) شراء القدس ليس غريباً لأن الوقائع، في فلسطين وحول فلسطين، برهان على أن أكثر من عملية بيع وشراء قد وقعت، وتسلم البائع قيمة ما باع، فكثير من السهول والبقاع والوديان والهضاب قد اشتراها اليهود، فهم بحق هذا الارتفاق قد ملكوا ذلك فامتلكوا بهذا الحق الباطل فلسطين.

إن الشيخ سعد الدين لا يملك حق البيع، ولا يملكه الإغراء بالمال، فهو ليس من الخوانين، الذين ملكوا السلاح، سلاح حق الامتلاك للأرض، فعطلوا السلاح، يبيعون أرضهم لليهود، ولكن الحاخام سيخرج علينا بعد

بوثيقة مزورة، يدعي أنه قد اشترى بيت المقدس، ولا يهم شخصية البائع، فهو يضع أي اسم، وما دام أنه يملك قوة الفرض للطغيان، فإن ادعائه يجد النصر من الفريق المستضعف العربي، ومن الفريق الأقوى، الذي يمد إسرائيل بالعون، وتصبح اللجاجة حول هذه الوثيقة المزورة، فإذا اليهود يملكون ما اشترؤا.

فقبل يوم القدس كان ذلك، ولكن ماذا يعني تحديد يوم القدس؟ ففي شعر أغسطس يوم للقدس، وفي شهر مايو يوم للقدس، ما أقل هذا العطاء، ولكنه التقليد لأسلوب الفرنجة: يوم للأرض، يوم للمذابح، يوم للقدس! مع أن القدس في حياتنا له كل أيامنا، فهل من سجد سجدة ينسى أنه القبلة الأولى! وهل من يذكر الإسراء والمعراج ينسى أنه المسرى والمعرج، كل أيام المسلم أيام القدس ولكن حين قلدنا الفرنجة فرضنا على أنفسنا التناسي؛ لأن في ذكرى القدس ما يكرب النفوس، والعرب في حاجة إلى ترفيه النفوس، فهم لم يشبعوا بعد من الرفاهية، ومن عملية الاسترخاء! ومما يقوله بعض الطرقيين، أصحاب الأحوال الذين يتلقون الإلهام من الأحلام، فإذا ما استيقظ ضمير صاحب من اتبع هذا الطريقي، يسأل شيخه، فالمريدون في عرف الطرقيين يباح لهم السؤال - فحين يسأل: كيف نسكت عن القدس؟ يهتز الشيخ، ويخرج الزبد من شذقيه، يقول بالهمهمة: «يا بني، لقد رأيت آبائي في المنام، فقالوا لي: لا تنازع القدر!» أليس في هذا دعوة للاستكانة، تثبيط للهمم! فهل أصحاب الرسالات والمصلحون، الذين غيروا عبادة الوثن وحاربوا البدع، كانوا ينازعون القدر! أم كانوا ينفذون إرادة الله، ليعبدوه وحده لا شريك له، ولينثروا الإصلاح.

إن في تاريخنا بطلاً لم ينس في أي لحظة بيت المقدس، وجاء بعده

بطل يذكرنا في كل دقيقة ما عمله لتخليص بيت المقدس من الصليبيين، فالبطل الأول: السلطان محمود نور الدين زنكي، قالوا له «لماذا لا نراك تبتسم»؟ فقال: «كيف تريدون مني أن أبتسم وأنا لم أر هذه الأيام مكان سجدة في بيت المقدس، يطبع المسلم جبينه على أرض طاهرة!» والبطل الثاني صلاح الدين الأيوبي، الكردي الدمشقي المصري العربي المسلم، ولكن أصبح محمود نور الدين في زوايا النسيان، وأصبح صلاح الدين يلوك الباطني سيرته، لأنه كما طهرّ القدس من الصليبيين طهر اليمن ومصر وما استطاع من أرض المشرق العربي من الباطنية.

إن يوم القدس سيمر دون أن يحدث شيء نرحم أنفسنا به، ولكن سندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وإن رحمة الله قريبة من المؤمنين.

ذكرى الهجرة

ومتعنا بالبركة، ذكرى تذكيراً وتوعية وتبصيراً، في هذه الأشهر الحرم فالذكر (لبيك اللهم لبيك، الله أكبر الله أكبر) ارتفعت به الأصوات في يوم الحج الأكبر.. وبينما الناس المسلمون وهم يتمتعون في خطوات يخطونها بين المسجدين جاء يوم ذكرى اليوم الوطني، ولم يكن عيداً مسلماً، ولا عيداً وطنياً، ولكنه مفخرة وطنية، حقق للإسلام أن توحد شعب الكيان الكبير المملكة العربية السعودية في ظل العقيدة الواحدة والقيادة الوحيدة والشعب الموحد.

ومضت ذكرى اليوم الوطني فإن الذكرى الثالثة بداية العام الهجري.. فما أحسن أن نذكر شيئاً عنها تذكيراً بالنصر، لتكون التوعية تبصيراً، وليكون التبصير تفكيراً نعرف فيه ومنه وبه وله، ما ينبغي لنا وما يجب علينا.

إن الهجرة لم تكن هجراً ولا فراراً، وإنما هي العمل لإظهار الحق، وإزهاق الباطل، فالذين تبوأوا الدار والإيمان من الأنصار استقبلوا رسول الله سيدنا محمد ﷺ، بأنه البدر قد طلع عليهم وبأنه المطاع فيهم ولأنهم بهذا كله؛ أصبحوا والأنصار أول النصر الأخوة بين المهاجرين والأنصار، وأول النصر أنهم يؤثرون ولو كان بهم خصاصة وأول النصر أن وجد المهاجر

صداقة وصدقاً وإيواء حتى إذا شرع الجهاد تجسد فيه العمل حددته الهجرة.. فالنصر في بدر من عمل الهجرة والفتح المبين من عمل الهجرة.. حتى إذا فتحت مكة فتحاً مبيناً توقفت الهجرة لأن الوطن واحد. سأل رسول الله ﷺ السيد الصحابي سيدي صفوان بن أمية بن خلف، الذي كان من أكثر الجبارين على الإسلام، سأله يوم جاء مهاجراً قال عليه الصلاة والسلام (على من نزلت يا صفوان؟ قال صفوان: نزلت على العباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ يأمره أن يعود إلى مكة) (لا هجرة بعد الفتح).

أحسبني، ولا أخطئ نفسي، أستنبط من هذا الحديث توقف الهجرة كما هو ظاهر، وحرص رسول الله على ألا يهاجر قرشي، ينزل ضيفاً على قرشي، فالضيافة للمهاجر كتبها الله على الأنصار كأنما أراد ﷺ أن يؤكد قيمة التوقيف على ألا تكون الهجرة لقرشي إلى المدينة إلا ليكون ضيفاً على أخيه الأنصاري..

والمدينة خصها الله بهجرة رسوله ومن سنة الكون أن يكون المهجر مكاناً يصلح للنصر، والمدينة المنورة كانت المكان: محصنة لا تغزى من جنوب ولا من شرق ولا من غرب، لأن الحرة كانت السور، لا تصلح ميدان كر وفر فما كانت الغزوتان أحد والأحزاب إلا في شمالها المستقيم وشمالها الغربي..

لقد كانت الهجرة نصراً، نذكر بها توعية وتذكيراً وتبصيراً والله من وراء القصد.

طبل وزمر . . لا تمر وجمر!

عنوان غريب، وفي الوقت نفسه هو المريب، لكن الغرابة والريبة يجري وراءهما بعض الذين لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب، فالغرابة والريبة قد اجتمعتا في قصاصة من جريدة «عكاظ»، فقبل مغرب يوم كنت أنتظر من أمني عليه التمر والجمر، فلما وصل كان يحمل ظرفاً معنوناً باسمي وصل إلى مكتب الجريدة. قلت له: افتح يا سمس، لعل في هذا الظرف تحفة: من جفوة أو صفوة، فالجفوة إن أشعلتك بشيء من الغيظ، فإنها ترضيك بعد حين تذهب مع الريح، والصفوة متعة حين تريح فتح الظرف، إخراج ما في باطنه، نشره، فإذا هي قصاصة من جريدة «عكاظ» باطنها فيه الرحمة، رغم أنف مرسلها وظاهرها فيه النقمة، ولم يكن القصد أن أقرأ القصاصة وما طبع عليها، فكاتبها محترف السباب، يقترب العاب، لعله لم يكن بعيداً عن معرفتي، إذ هو من بعض الأصحاب، فلو لم يكن يعرفني لاحتشم ألا يشتم قال: أنت اليوم صاحب الطبل والزمر، لا صاحب التمر والجمر واسترسل شتاماً عياباً، قد امتلأ جيبه وفرغ قلبه، فلو لم يكن من أصحاب الجيوب، لما عبث بأصحاب القلوب، وكان من براعته ذكياً محترفاً إن كتب سبابة بين الأسطر المطبوعة على القصاصة، فبين كل سطرين مطبوعين سطر كتبه.

كان غرضه في الأسطر التي كتبها أولاً أن يقرعني طبالاً وزماراً في نظره، وبعد أن أوفى غرضه أخذ يتستر حين تخفى يعرض المسكنة، يشكو من صهره زوج أخته المطوف، أعانه في رعاية الحجاج فلم يعطه من المكافأة إلا ثلث ما يعطي للسعوديين، وقال إنه ليس سعوديًّا، وإنما هو معار ويعمل موظفًا لا يعطي أجرًا إلا ما يساوي جزءاً مما يأخذ السعودي .

في الأسطر الأولى وصل إلى غرضه، وفي الأسطر الأخيرة تخفى تحت أنه معار أو متقاعد، ما غضبت، ولكنني ابتأست حزيناً من أجل شاب يحرم نفسه من نعمة الرضا والقناعة، لقد خشي أن يفتضح فأسعفه ذكاؤه أن يموه: جباراً في الأسطر الأولى، مسكيناً في الأسطر الأخرى، تلك حيرة الذين يقترفون السباب، ولا يحمدون ما هم فيه، أنا طبال زمار ليس في حلقة المجاذيب، الذين يلبسون المرقعات، ولكنني طبال زمار لسبع جامعات، لمياه التحلية، للتصنيع، للزراعة، للمدارس، للفتاة التي أصبحت تقرأ وتفهم أحسن من بعض الشباب، أنا طبال زمار لوحدة الكيان الكبير، لأنني عشت المجاعة، فلما رأيت الشيع من العمران طبلت وزمرت، أنا طبال زمار لأنني لم أعد أعيش في قرية، وإنما أنا وهو نعيش داخل القارات، بهذه المواصلات، إذا لم أكن مطبلاً ومزمرًا لهؤلاء الشباب والشابات، قد حملوا أعلى الشهادات، ويعملون ليأخذوا الشهادة بأن لهم وطنًا وأن لهم دولة وأن لهم كياناً وأنهم قد انضموا إلى البناة فلاي شيء أطبل وأزمر؟! أنت تريدني أن أتذمر؟! أعيش الكراهية؟ كما أردت لنفسك! إنه ليكفي أن تجد أنت الأمن، تعيشه بما وبمن أطبل وأزمر لهم. ليس هم الواحد ولا الإثنان ولا العشرات، إنما هم هؤلاء الملايين الذين جمعهم كيان واحد، ودولة واحدة.

أسألك: ماذا صنعت لوطنك حتى أطلب وأزمر لك؟ لكنني أعرف أنك لم تصنع شيئاً تريد أن يكون الصنيع لك من غيرك، فإذا أنت تكاد تحثو التراب في وجه الذين صنعوا لك، ولكنك حرمت نعمة الحمد والشكر، بتقمصك البغض والنكر.

أنت لست من الذكاء بالقدر الذي أخفك عني، فالمعار والمتعاقد لا يهمهما أن يكتب ما كتبت. تعاملت مع الذكاء فإذا أنت غبي، أعمتك الكراهية، أنت لست من هؤلاء، وإنما أنت من بين معارفي، الذين يتعايشون بيننا وهم منا، ويحرمون أنفسهم أن تكون لهم حياة تزدان بالحياة، لا أريد أن أكشفك أكثر، يكفي أنني اكتشفت أنك من الذين لا يعجبهم العجب.. ولا الصيام في رجب.

لقد خانك ذكاؤك حين شتمتني بأني (ابن الأبق من الجهادية)، لست هذه شتيمة، فكل الذين هاجروا إلى هذا البلد، من حيف الضيم والاستعمار، آباؤهم مثل أبي، فروا من الظلم ليعيشوا الأمن في الحرم الآمن، أسألك: كيف عرفت هذا عني؟ إنك قرأته كما قلت، والمعار والمتعاقد لا يقرآن هذا ولا يعرفانه. فهل أنت ذو عرق في هذا البلد: عدنائياً - أو قحطانياً؟ أم أنت مثلي من أبناء الآبقين؟! أحسبني أرتاب بأنك من أصحاب الأعراق، ولا أعدك من أصحاب الاستعراق، وإنما أنت من أصحاب الانتماء لم تستعرق، فلم تحب!

ذكرى اليوم الوطني

وتعودت أن أكتب عن ذكرى اليوم الوطني في أكثر من موضوع، وفي أكثر من وسيلة إعلام في الصحيفة، والمجلة، والإذاعة، والتلفاز، ولم يكن ذلك سرفاً يجهضني ولا ترفاً أتفجج به، وإنما هو الوطن.. المملكة العربية السعودية، فالقيم التي فيه، والقيمة التي هي له، ما أجلها، ما أكملها، أفليس هو مشرق الإسلام؟ وأليس هو المسجدين: المسجد الحرام والمسجد النبوي؟ وأليس هو حامل الهداية إلى الدنيا كلها؟ وناشر اللغة الشاعرة على ألسنة كل العرب. وفي كل إقليم؟ وأليس هو منبع الفقه؟ وكثير غير ذلك..

ولقد كان هذا الوطن، جزيرة العرب، حرماً وسياجاً، هو الموطن الأول: مسلماً على الذروة عربياً على السنام، فكيف لا يذكر توعية لبيته، وتمجيداً لبيانه، فليست هذه الذكرى تبطراً، ولا تفاخراً، وإنما هي ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥).

وفي هذه المرة لن أكتب عن الرجال: أولهم الإمام السلطان الملك المجمع عبد العزيز بن عبد الرحمن، وليس آخرهم، إن شاء الله، الملك فهد بن عبد العزيز، لعليّ إن كتبت عن الرجل الأول: عبد العزيز، فسيكون ذلك في مكان آخر. على ورق آخر، أما ما أكتبه الآن فإنه

التوضيح عن: كيف كنا قبل بناء الكيان الكبير: المملكة العربية السعودية؟
وكيف نحن الآن، في هذا الكيان الكبير؟

لقد كنا، قبل ألف عام وتزيد، طعاماً للفتن، إقطاعاً وإقطاعيين، نجد إن عاشت قبائلها في الصحراء، كانت تعيش الأمراض القاتلة، والجهل القاتل، والفرقة القاتلة، وعسير كانت مثل ذلك، والحجاز: إمارة في مكة وإمارة في المدينة، فلئن احترمت القبائل حرمة مكة فإنها ألجأت المدينة المنورة لأن تكون محاطة بسور المدينة الكبيرة كانت قرية، والقرية كانت نجعة، وكل هذا قلل الكثرة في جزيرة العرب: إما بالمرض، وإما بالموجات ترحل من جزيرتها إلى مصر، إلى شمال إفريقيا، كبني هلال وسليم ومن إليهما، وإما إلى السودان، كأسر ضاق عليها العيش، وكموجة بني رشيد، قل ساكنو الجزيرة، ولكنه كثر النسل العربي في مصر وإفريقيا والسودان، وحتى الشام، قد كثر فيها العرق العربي برحلة عنزة «أروله» ومن إليهم، فما رحلوا عقوقاً للأرض، وإنما ضيق العيش، ولكن هذه الموجات جلبت الوفاء لنفسها، والوفاء للأرض العربية التي رحلت إليها كالوفاء من نجد حين رحلت إلى العراق قبائل منها: منعت العراق ألا يستعجم، فهناك مثل يقول «نجد ولود والعراق داية» وهل استطاع علماء البصرة والكوفة أن يصنعوا قانون اللغة: نحواً وصرفاً وميزان شعر وقواميس لتكون هذه السعة وهذا الاتساع بسبب الضيق؟ فالمر كما قالوا «الخير من الشر منبثق» والحياة في التنقل والاتصال كانت، قبل هذا الكيان الكبير، كأننا في عصر الجاهلية الأولى والأمية لم تستطع الكتابيب أن تمحوها، ولكن حين تم هذا الكيان الكبير، وتأسست المملكة العربية السعودية توالى الخير كل الخير مسرعاً: الأمن، هيبة السلطان، نشر التعليم، تعبيد الطرق، الجامعات السبع، الرخاء، تعمير القرية، سرعة المواصلات على السيارات والطائرات، وكفاءة

التليفونات، كفاءة الموظف، وجود الوزير، تأسيس الوزارة، رغيد العيش، تفوق في المكانة اعترز به المكان، فتفوق الدولة والأمن هو الخدمة الكبرى للحرمين الشريفين ..

أما ما تم مما ذكرناه فقد صدق به اللقب: يحمله الملك فهد، خادم الحرمين الشريفين، فكل هذا البناء الذي تم أعطى للخدمة معنى الشرف بها، فقد ألغى الملك فهد، تبعاً لمن سبقه وحرصاً على تأكيده: أعني لقب خادم الحرمين الشريفين، ألغى بجرة قلم اللقب الذي كان يحمله الملوك والسلاطين: سلطان البرين، خاقان البحرين، حامي الحرمين، لقب فخروا به، أما اللقب: خادم الحرمين الشريفين، فلقب مشرف، وما كان فيه التشريف إلا لأنه بكل ما بذل وما عمر، كان لقباً صادقاً.

إن هذا الكيان الكبير، إن لم أذكر شيئاً عن القيم والقيمة والمقام، فلاذكر شيئاً واحداً أختم به كلمتي: قبل أن يتم بناء هذا الكيان فإننا كنا في ضيعة التاريخ، ذلك ما قلته أكثر من ألف مرة: إن جزيرة العرب، التي أعز الله قبائلها بالإسلام، واعتز بهم الإسلام، وكانوا الفاتحين، صناع الحضارة الوسيط، قبل هذا ومن الساعة التي خرج فيها الإمام علي، كرم الله وجهه، من المدينة إلى الكوفة، كان الشتات وإهدار الاعتبار، فما جمع الشتات، وما ردّ الاعتبار إلا عبد العزيز بن عبد الرحمن، تغمده الله برحمته، فلنحرص على هذا الاعتبار: قيادة من الشعب، لا فصام بينها وبين الشعب، وقاعدة من الشعب لا تنفصم عن القيادة وما تم للعرب أمر، إلا بدين واحد هو الإسلام وقيادة واحدة وشعب متحد ..

كاهان . . أم كل الكهان؟!!

وأذاعوا تصريحاً يهدد به الحاخام مايير كاهان.

فإسرائيل تذيب الخبر عن استطاعة هذا الحاخام تدمير المسجد الأقصى ومسجد عمر، فلديه الاستعداد أن يفجر المسجد الأقصى تفجيراً مدمراً . .

ويزعمون أن هذا الحاخام إرهابي يمارس الإرهاب داخل إسرائيل . . ثم هم يعلنون إنهم يحاكمون الإرهاب . . ضجة كبرى . . فهكذا اليهود إنهم اليوم بكل ما يعلنون عن الإرهاب يتنفسون به على صورتين . . فالأولى الإرجاف الفلسطيني . . والثانية التزييف على الرأي العام العالمي . .

إن اليهود في فلسطين وفي كل مكان لم يكونوا إلا عصابة . . لهذا أوجدوا في إسرائيل مركز قوة رديفاً للحكومة ينفذ كل المخطط . . ومظهراً من مظاهر الديمقراطية . . كما أنه يمنح إسرائيل الاعتذار، تتصل من عمل الإرهابيين بينما هم لم يفعلوا ذلك إلا طبق مخطط رسمه الكهنوت اليهودي . .

فالحاخام كاهان ليس وحده ولا هو إرهابي ضد الأمن وإنما هو وظف لذلك بعلم الكهنوت وبعلم الحكومة . . فإسرائيل تستفيد من مركز القوة على صورة النقيض للحكومة وهكذا فإن كل عصابة توزع قوتها على مراكز شتى، حاخام إرهابي . . شباب إرهابيون . . وإلى أكثر من ذلك .

لكن مراكز القوة في إسرائيل تنتظم كلها تحت قيادة الكهنوت، فليس هناك تناقض أو شذوذ بين مركز قوة وآخر. . أمه في غير اليهود فقد يصنع زعيم مراكز قوة ليضرب بها خصومه وعلى صورة أخرى يضرب مركزاً بآخر. . فمراكز القوى عند غير إسرائيل تبدأ قوة في يد الزعيم ثم تنقلب قوة عليه؛ لأن الكهنوت اليهودي منظم تنظيمًا دقيقاً، طاعته عقيدة ومصصلحة وحياة لليهود.

فمن الغرابة بمكان أن قتلة الأنبياء والرسل، الذين مزقوا التوراة والزبور وكفروا بالإنجيل ولم يؤمنوا بالقرآن قد تحولوا بكل ذلك الكفران إلى وصف واحد في نظام واحد هو الطاعة للكهنوت: مجمع الحاخاميين، فالحاخام ولو ارتكب كل دنس لازال قديساً، حاكماً على شعب يهودا.

فمن الغرابة بمكان أن قتلة الأنبياء والرسل، الذين مزقوا التوراة والزبور وكفروا بالإنجيل ولم يؤمنوا بالقرآن قد تحولوا بكل ذلك الكفران إلى وصف واحد في نظام واحد هو الطاعة للكهنوت: مجمع الحاخاميين، فالحاخام ولو ارتكب كل دنس لازال قديساً، حاكماً على شعب يهودا.

ولقد امتد الزمن بذلك؛ لأن الكهنوت اليهودي قد كفر بالمثالية، وبالخلق وطُبع شعب يهودا على الواقعية ما دامت في مصلحة اليهود. . لا شيء لدى اليهود إلا أن يصبحوا وحدة طاغية. . فالتلمود والبروتوكولات هما توراة اليهود وزبورهم الآن. . لأنهما يرسخان العنصرية ويبيحان امتصاص الدماء.

إن الحاخام كاهان الطريق مفتوح أمامه ليفعل ما يريد بالمسجد الأقصى، ولا ينبغي أن يتوجه الكلام لليهود وإنما أطرِح سؤالاً إلى شعب

الولايات المتحدة وإدارتها: فحين خفتم على معبد أبي سمبل أن يشوه أو يحدث تخريب له هرعتم تعطون الفرصة لليونسكو أن تعين حتى أنقذتم الأثر الفرعوني.

عمل حضاري.. ارتفعتم به إلى فوق.. ولكنكم بصمتكم تعطون الفرصة للحاخام كاهان أن يدمر بيت المقدس كما أعطيتم الفرصة لهم من قبل فأحرقوا المسجد الأقصى.

أليست هذه ازدواجية؟

فلولا عونكم لإسرائيل لما وصلتكم إلى أن يوجه لكم سؤال من مثلي..

صور بيضاء . . وأخرى سوداء

والكاتب موهبة، يجتر ما يسر أو ما يكدر، حتى إذا احترف يدعوه الاحتراف إلى أن يمثل ما اجتر؛ يكتبه على قرطاس، أو يتحدث به إلى الناس إذا ما أعجزه النشر؛ على طريقة المشائين. فديوان العرب عرفناه عن طريق الرواية، وفلسفة الإغريق عرفت أكثر ما عرفت عن طريق المشائين؛ كأنما الرواية والمشاء واحد.

ولما أصبحت المحترف اختزنت في حافظتي صوراً أكتبها الآن: منها ما يسر ومنها ما يكدر، وهي كما يلي:

١ - حينما أذاعوا الخبر عن الطائرة الإيرانية المخطوفة التي هبطت في إيطاليا، قالوا إن من بين الركاب طفلاً صغيراً لما يبلغ الشهر الخامس، مصاب بالقلب، وكانوا مسرعين إلى المستشفى لتجرى له عملية، لا أحسبهم سألوا عن الأجر، وأنا على يقين أنهم سألوا أنفسهم عن إنسانية الإنسان، وأنقذوا الطفل؟ عجيب، هل كان خطف الطائرة المخطوفة لإنقاذ الطفل؟ تستحيل الرؤية إلى الهلاك وهم داخل الطائرة المخطوفة إلى منظر إنساني! كان هذا الفعل فيه الرد اللطيف أو العنيف على سوء الظن بالإنسان الأوروبي، وكان فيه الرد الأشد عنفاً على فظاعة الإرهاب.

٢ - وهذه الصورة الثانية نظرت إليها بالبصيرة فإذا أنا أرسل التحية

لإنسانية الإنسان قالوا: إن فريقاً من الأطباء أو جماعة من الأثرياء أصعدوا قمراً صناعياً فيه آلات الكشف على المرضى، يحلق فوق أفريقيا - القارة السوداء العجوز، أعجز إنسانها الفقر والمرض، ليس فيها من الأطباء ما يكفي، ولا من وسائل العلاج ما يفي، زدوا القمر الصناعي بالآلات الكاشفة، تصور الطفل المريض، الأم الوجدى، البنت المشلولة، تصور كل الأمراض، يعرض المريض تحت القمر: يصور المرض، يرسل الصورة إلى فريق الأطباء إلى أي بلد أوروبي أو الولايات المتحدة، تعرض على الأطباء المختصين، يرسلون إلى هذا المريض في البلد الإفريقي كيفية العلاج بصورة مبسطة.. جند في هذا البلد المدربون على ممارسة العلاج كما يصف الأطباء، يعني أن التطبيب لمرضى القارة الفقيرة أصبح بالمراسلة: صورة تلتقط، تصوير يؤخذ، علاج يستمر، يكون الشفاء.. لقد كان هذا العمل إنسانياً.

٣ - وخبر آخر لا يسعني إلا أن أطريه حين تطريت به قالوا: إن بريطانيا وفرنسا قد نذرتا إسرائيل بأنهما لن يسمحا بهبوط أي طائرة إسرائيلية تقلع من المطار العربي في القدس. سلوك جديد، قد تأتي من أسباب عدة: من طغيان إسرائيل الذي هو فضيحتها بل وفضيحة الذين يعينونها: عرباً يختلفون؛ وإمبراطورية غربية تعين. ومن شعور الأوروبي بأن استمرار إسرائيل بهذا الأسلوب النازي قد عرض حياة الأوروبي إلى مجاعة بترولية ومجاعة دولارية ومجاعة على صور شتى. فحين يمتنع الاستيراد على أوروبا فإن التصدير سيمتنع، التحية لهذا السلوك البريطاني الفرنسي، فإنه إذا ما استمر سيضع الولايات المتحدة، قبل إسرائيل، بين خيارين: إما أن تكون لإسرائيل فحينئذ لن تكون أوروبا الغربية معها، وإما أن تعادل مع العرب لتكون أوروبا الغربية معها.

إن هذه الصورة وضعتها على حد قول الرافعي :

فإن زجاجات المصور تجعل السواد بياضاً والبياض سواداً، فحين
ابيضت الأعمال لا بد أن أرسل الكلمة البيضاء، أما ما كنته من قبل،
جعلني أزيد السواد سواداً لا عن بغضاء، ولكن أضعف الإيمان أن أنكر
الطغيان بكلمة على قرطاس .

إن أوروبا وأمريكا قد أمدتا الإنسانية بهذا الترف، فأنا حينما أركب
السيارة أشعر بعظمة، صنع الغرب سيارة، منديل كلينكس، راديو . . كأني
أعيش في عطاء الغرب، ولا ينكر الغرب أن هذه السيارة قد صنعت من
عطاء الشرق: المواد الأولية والدولارات والبتروول، فالغرب ما أحلى ما
صنع من وسائل الترفيه وسرعة المواصلات، وما أقبح ما يصنع من وسائل
التدمير .

الإعلام: بين الإثارة والتأثير

إن وسائل الإعلام أصبحت كثيرة الكم: مقروءة ومحدثة ومشاهدة، سواء على الوسائل المعدة: جريدة أو مجلة، إذاعة أو تلفاز. . كأنما كل هذه الوسائل هي المنابر، يرسل الكلام عنها، فهل كل ما يكتب ويقرأ حقق التوعية ودعا إلى جمع الشمل؟ أم أنه في أول الأمر كان إعلاماً احتراف الإثارة؟

فالثورات والانقلابات والدعاية للزعامات جعلت الإعلام للإثارة، لا يجند الزعيم شعبه في الطاعة له أو الحماية لمبادئه، وإنما هو قد تمادى يريد أن يستحوذ على مشاعر الشعوب الأخرى من أمته، يريد أن يستقطبها، تؤمن بثورته، تصفق لانقلابه، تخاصم عنه، فإذا الأمة العربية قد أصبحت على مفترق الطرق، فالشعوب العربية التي أصغت وقرأت هذا الأسلوب في الإثارة أصبحت في صراع داخل وجودها وحدودها، فالإثارة التي أعانت الزعيم أو ناصرته قد خذلت الكثير من أبناء الشعوب، تأكلهم البلبلة، حتى بدأوا يتآكلون بالإقليمية المتطرفة، كأنما الأمة العربية أصبحت شعوبية، كل شعب عربي وإن لم يتعنصر فإنه قد ابتعد عن أخوته، لا بالعنصرية القبلية،

ولا برفض القومية، وإنما هو القومي في دعواه الوجدوي في مرماه، يريد أن يكون الوحيد في زعامة هذه الدعوى.

وبدأت في الشعوب العربية إثارة جديدة تقاوم الإثارة التي انتصب لها الزعماء المثيرون، فأصبح الصراع في الإعلام إثارة تواجه إثارة، الإثارة لحساب التقدمية، ولإسقاط الرجعية، ثم الإثارة لرفض الاتهام بالرجعية، حتى أصبح العرب يتشعبون إلى مذاهب مستوردة وآراء مسلطة.

إن الإعلام - الإثارة لم يبتدعه الزعيم الثائر، وإنما هو قد تأثر بأسلوب الدعاية النازية، زعيمها «جوبلز» لسانها المثير عربي اسمه «يونس بحري». ولا أريد أن أظلم صوت العرب، فهي التي احتضنت هذا الأسلوب المثير، حتى أن اللحن المميز في «صوت العرب» وإلى الآن هو نفسه اللحن المميز لإذاعة «يونس بحري» ولعلّ الرئيس محمد أنور السادات (الله يرحمه)، وكان متأثراً كما «عزيز علي المصري» الزعيم المؤثر، بصداقة الألمان، كقوة عسكرية كانوا يأملون أن تهزم بريطانيا، فإذا أنور السادات، وهو أول الثائرين، الذي كان يتولى الإشراف على الإذاعة، هو الذي صبغ صوت العرب، بأسلوب الإثارة على طريقة «جوبلز».

ولكن الإثارة أصبحت ضارة: فرقت دون أن تجمع، وجاء دور التأثير، وكان من صناعة المملكة العربية السعودية بأسلوب الصمت والغضب من السباب، وكان هذا التأثير أيضاً بالأسلوب الذي سلكه وأصبح مبدأ من مبادئ سياسته، الرئيس محمد حسني مبارك. فالتأثير بالصمت والوقار، وإبراز الأعمال، والعزوف عن الشتائم والسباب، أصبح كل ذلك البداية لسلطان التأثير دونما جلبة، دونما انفعال.

فالملك فهد وحسني مبارك ومن إليهما من إخوان لهما قد فعلوا بالصمت كل التأثير. فبدأت أصوات خيرة ترتفع في كل الشعوب العربية ترفض السباب، حتى أن كلمة الرجعية لم تعد في قاموس الإثارة؛ لأن التأثير قد أقصاها.

والأمل شديد في أن يؤتي هذا التأثير ثماره: وئاماً وسلاماً بين العرب جميعاً. ولئن شذ أحد فلا يكون التعامل معه بأسلوب الإثارة، وإنما بالأسلوب الذي تفره الأكثرية العربية. ولقد اتضحت هذه الأكثرية بالعمل الصامت وضوحاً يجعلنا نأمل أن أسلوب الإثارة قد مات. . والحياة لأسلوب التأثير.

تقصي الحقائق

ولا تكاد تمضي أيام، إلا ونسمع الأخبار تذاع علينا من الإعلام العالمي أو العربي لجنة أو وزيراً أو هيئة قد وصلت إلى الشرق الأدنى تتقصي الحقائق.. فالإعلام العالمي لم يكن إلا موزعاً جرعات التخدير على الأمة العربية. أما الإعلام اليهودي (إسرائيل) فيمد لسانه ساخراً.. لا يعنى بهذه اللجان.. كأن هذه اللجان تأتيه بالحل. تعطيه السلام.. وما أكثر لجان التقصي وزعماء التقصي.. كأنما الحقائق ما زالت خافية عليه.. مع أن كل ما يجري من طغيان اليهود.. وبسلاح العون من أصدقاء اليهود معلوم لدى كل إنسان في هذه الدنيا.. لكن وسائل الاستغلال لاستنزاف طاقات الأمة العربية تحترف هذا التخدير.. فهل وعد بلفور كان خافياً؟ وهل لجان التقصي الكثيرة من عهد لجنة منلر واللجان الأوروبية والأمريكية قد احتفظت بما تحقق لديها سراً لم يعلن على محترفي التقصي الذين يتلاحقون حيناً بعد حين؟!!

إن الحقائق واضحة.. ولكن هذا الوضوح قد أسبلوا عليه ستاراً من التخفية له.. كأنهم يقولون للعرب: أعذرونا فإن الحقائق لم تتضح لدينا.. فإن لم يكن هذا أسلوباً من أساليب الاستعمار على عهد لجنة منلر ولجنة بل فإنه الأسلوب الجديد لعملية الاستنزاف من الأمة العربية. فطغيان

إسرائيل يستنزف.. والسلاح المعطل مستنزف والذين يترقبون الحل يتبرعون بالاستنزاف.. إن السلاح المعطل يعني موت القتال.. يعني إصابة الجندي العربي بمرض الخنادق.. فالسلاح المعطل مادة أكثر منه شراً تعطيل سلاح المقاتل.. أعني قتل وجدانه.. موت إيمانه.. فالأمة العربية التي ما زالت تفرح بلجان التقصي أصبحت الرجل المريض.. فلم يكن الإمبراطور العثماني هو الرجل المريض وإنما كانت الإمبراطورية. ولم يكن الرجل العربي وإنما هي الأمة العربية.. فهل أطرح اقتراحاً؟! نقف كموقف إسرائيل، فهي ترفض أن تذاق الحقائق عما تفعل مما هو معلوم فينبغي علينا نحن أن نقول بأسلوب رقيق: كفى يا لجان التقصي.. فلم تعد هناك فائدة.. بل إن لجان التقصي ما هي إلا إعلان اعتراف بواقع ما تفعله إسرائيل!! كفى من هذا التدجيل.. فقد شعبنا من هؤلاء الدجاجلة..

فلنشبع أول ما نشبع من معانقة العربي من الخليج إلى المحيط، يعانق أخاه لا بأسلوب الغزل.. ولا بأسلوب التملق وإنما بأسلوب التعلق ولو إلى مرحلة ندافع فيها عن المصير.

إن الواقع في لبنان لا يؤثر على لبنان وحده ولا يقتصر تأثيره على من شرق السويس وإنما هو يؤثر على غرب السويس وعلى علاقة الغرب بقارة إفريقيا وشعوبها التي ناصرت الأمة العربية حين قطعت علاقاتها مع إسرائيل.. ولكن بعضها بدأ يتملص من ذلك. لا بعامل العقوق وإنما لأنه انتظر ماذا سيفعل العرب! حتى إذا وجدهم قد فعلوا الفرقة بينهم وعرضوا حملة السلاح إلى مرض الخنادق..

وخاطرة أخرى عن السلام بين العرب وإسرائيل.. العرب يريدونه

والأفارقة والآسيويون يحبذونه . . وشعوب أوروبا الغربية ينتظرونه . . أما الذين يمتنعون عليه فليست هي إسرائيل وحدها . . وإنما هما الإمبراطوريتان : إمبراطورية الكرمليين ، وإمبراطورية البيت الأبيض ، فالكرمليين يبعده السلام عن مناطق النفوذ وعمن يلجأ إليه من الأصدقاء . .

أما إمبراطورية البيت الأبيض فالسلام مع إسرائيل معناه نوع من الحرب ضدها لأنه يفقدها أن تزعم بأنها النصير لأصدقائها وهي تريد بقاء الوضع على ما هو عليه ليكون هذا الزعم عطاء لها بأنها النصير أو أنها المجير ، مع أن النصر للعرب منها هو أن تكون صديقة لإسرائيل ، فهذا شأنها ولكن شأن العرب أن يرفضوا الصداقة المقنعة ليفرضوا الصداقة الحقة . . والولايات المتحدة قادرة وحدها على صنع السلام بين إسرائيل والعرب شرق السويس . . إنها حين صنعت السلام مع مصر رسخت قوة الحرب لإسرائيل وأضعفت هذه القوة للعرب . .

إن العرب كل العرب قد أعطوا للولايات المتحدة الصداقة على طبق من فضة ولكنها أبت بسلطان اليهود إلا أن تطلي هذا الطبق الفضي بطبقة من النحاس بدأ يتراكم عليها الصدا . .

رأي المراقب الإمام الملك

- أيها الملك فهد بن عبد العزيز . .

وأرسلت كلمتك إلى الدول المسلمة وغير المسلمة العربية وغير العربية، أذيعت موجهة إلى الحاج، موجهة إلى كل المسلمين والعرب متجهة إلى كل الناس، ولقد كنت فيها الرائد «لا يكذب أهله»، ولقد كنت فيها الإمام، فقيادتك للحج إمامة، فإن تواضعتم من قبل أن لا يطلق عليكم هذا اللقب فقد ارتفعت بكلمتك التي وجهتها إلى الحاج في ليلة الثلاثاء السادس من شهر ذي الحجة. تسبق بها الاحتفال يقام في البطحاء تكريماً لوفود الحجاج، ليكون هذا السبق فرصة يحيا بها الوقت ويتسرمد لها الزمن ليستوعبها كل سامع .

- أيها الملك الإمام . .

لقد أرسلت الكلمة من فؤاد مؤمن شاعراً بالمسؤولية، فالإمامة قيادة عليها مسؤوليات كثيرة، ولقد كنت أنت الناهض بهذا كله، فبصرت المسلم والعربي بما هو له وما هو عليه وما مطلوب منه، كأنك قد جغرفت الحوادث، مؤرخاً لها، تضع ما ينتاب أمتك المسلمة وشعوبها العربية من أخطار لا أقول تهددها، وإنما أنت قلت قد هددها بالفعل .

لقد كنت في هذه الكلمة بناء للثقة، هداماً للفرقة، محطماً للمذهبية والنزعات، فأنت في المسجد الحرام مشرق النور ومنبع الهداية لا بدع أن تكون الإمام الناصح، ولم يأت هذا منك من فراغ تريد أن تملأه تزييداً أو تزيناً، وإنما أنت قد وضعت تاريخ أسلافك حتى وصلت إلى تاريخ أبيك وإخوانك، فوصلت تاريخك بهم لتكون لهم كما كانوا لأمتك، ولتكون بهم كما كنت وكانوا بأممتك، ولتكون منهم كما كنت وكانوا المجاهدين في ترسيخ العقيدة وصنع الوحدة في الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية»، وحدة سميتها من قبل الوحدة الأنموذج يوم أن تصديت في حوار مع سعيد فريحة في الكويت. هذه الوحدة الأنموذج صنعها أبوك بعون الله وصانها إخوانك، وكنت أنت الصُّوان لها عوناً لإخوانك وعملاً منك، فأنت تعرف ماذا فعلت في موقف صعب يوم كانت النار مشتعلة في اليمن، لقد كنت يقظاً عملت في صمت، فكم هي الأرزاء التي أطحت بها بعيداً يحف بها إخوانك حين كنت واسطة العقد، وليعذرني قارئ أن أزيد.

- أيها الملك . .

لقد كانت كلمتك وثيقة تاريخية، برهاناً على تاريخ السلف من آبائك وأجدادك، جماعين صوّانين، ولا أتزيد إن قلت إنها الميثاق، وأحسبني داعية لأن تطبع آلاف النسخ منها ميثاقاً يوزع على الحجيج، ليحملوا هذا الميثاق إلى مساجدهم ومنابرهم في كل بلد جاءوا منه، تهوي أفئدتهم إلى وادٍ غير ذي زرع أنعم الله عليه بأن تجبي له الثمرات من كل شيء، وأنعم الله عليه بهذا الضرع ثروة من تراب أرضه، فإذا الوديان الممرغة والأرض السخية تحتضن واديهما غير ذي زرع بكل الزرع وخير الضرع.

- أيها الملك . .

عشت للتضامن وللحب تجمع أخواتك العرب في وحدة السلوك
الخير، ليعرفوا أنك داعية خير لا تدّعي الإمبراطورية ولا فرض السلطان
على أحد، إنما السلطان الذي تريد أن يفرض هو سلطان كلمة التوحيد
وتوحيد الكلمة!

أنغام الحرب . . في ألغام البحر

وكانت المفاجأة، لم تأخذ صفة الفجیعة، ذلك الخبر الأول، أذیع عن اصطدام بعض البواخر بألغام زرعت في خلیج السويس . كاد هذا الخبر یمر بصورة من التستر علیه أو بأخرى، زعموا أنه لغم شارد من بعض الشركات .

فالإعلام العربي لم یعط ألغام البحر ما تستأهله من التحذیر، ولكن إعلام الغرب، والولايات المتحدة بالذات لا یستصغرون ما تحدّثه الألغام من تعطیل الملاحة في قناة السويس أول الأمر، وما تحدّثه آخر الأمر في البحر الأحمر كله . بعض البواخر في قناة السويس أو بعدها بقلیل تأثرت قليلاً بهذه الألغام، كأنهم وضعوها یداعبون بها، حتى إذا زرعوها في البحر الأحمر وفي سواحله الجنوبية العربية أو سواحله الوسطی العربية كان تأثيرها أشد خطراً، بعض البواخر مسها الضرر، والواحدة الأخيرة غرقت وهي في وسط البحر، اقرب ما تكون إلى ساحله الغربي .

وبدأت الاتهامات تكال، فالأصابع العشرة بدأت تتهم أكثر من جهة، إيرانية، عربية، إسرائيلية، إفريقية، وما یستطیع أحد أن یکذب الإشارة إلى أي جهة من هذه الجهات، فلماذا لا تكون الإمبراطوریتان وراء ذلك؟ فالذین وراء إسرائيل أضاءوا لها الضوء الأخضر تزرع الألغام، والذین وراء

القرن الإفريقي كمنطقة نفوذ لهم أذنوا بوضع هذه الألغام، فحين تنتشر الألغام في البحر الأحمر تتبرع الإمبراطوريتان بفرض الحماية على من لهما وحتى من عليهما، فالحفاظ على السلامة كما يزعمون سلوك أخلاقي.

ولكن لست مع هذه الاتهامات لأني - وعلى طريقة «أميل زولا» - أتهم إسرائيل وإيران معاً. فإسرائيل حين حطمت المفاعل النووي في بغداد كان ذلك من العون لإيران، لا لأنه سلاح تعطل، وإنما لأن سلاح الأفتدة العراقية، إن لم يتعطل فقد تأزمت الأيدي التي تحمله أياماً كاد يضيع فيها الرشد من عقول الرجال.

فإسرائيل أرادت ومعها إيران أن تشعر العرب، شرق السويس ومصر، بأنهما يملكان القدرة على إشعال الحرب ضد الملاحة في قناة السويس، تخسر مصر مورداً من أهم مواردها، كما أرادت أن يعرف العرب أن المدد البترولي عن طريق البحر الأحمر هو في متناول التعطيل، فليس إغلاق مضيق هرمز هو الوسيلة الوحيدة، حين تتعطل الملاحة في قناة السويس يتعطل ضخ البترول بالصورة التي هو عليها الآن، لأن إحجام الناقلات هو المعطل الأول، وكأنما إسرائيل أعطت الإشارة تقول للعراق: لقد طلبنا من الولايات المتحدة ألا تعين مد خط الأنابيب عبر الأردن إلى البحر الأحمر، ولم تستجب الولايات المتحدة لذلك، فاليد الطويلة والعصا الخليطة، يد إسرائيل وعصاها تستطيعان أن تجعل خط الأنابيب عبر الأردن وكأنه لم يكن.

والإمبراطوريتان بعد تجدان في ذلك وسيلة لبسط سلطانهما بدعوى حراسة البواخر ومراقبة الألغام، فاليهود يعرفون مدى تلمظ الإمبراطوريتين

على بسط نفوذهما في البحر الأحمر، ليكون الأسطول السادس أو السابع والأسطول السوفياتي يتغازلان في البحر الأحمر، اتفاق دون وفاق، والسمسار إسرائيل وإيران.

والعجيب من دقة التوقيت، يجيء ذلك في موسم الحج، ويجيء ذلك وأزمة لبنان ويجيء ذلك مرة أخرى توضيحاً لهذه النتيجة: تحييد دول الخليج في هذه الحرب العراقية الإيرانية.

وتماماً لما أسلفت ينبغي أن أشير إلى الدراسة التي أجراها أخيراً الرئيس السابق لهيئة قناة السويس، والتي توصي بضرورة رفع قيمة الرسوم على الناقلات والبواخر التي تعبر قناة السويس، إذ إن الرسوم التي تحصل حالياً هي أقل بكثير من الرسوم التي يتم تحصيلها نظير العبور من ممرات مائية عالمية، أهميتها أدنى بكثير جداً من أهمية قناة السويس كشریان مائي هام يربط الشرق والغرب، فكأنما هذه الألغام من جهة أخرى أرادت أن تصادر توصيات ونتائج مثل هذه الدراسة، وتمنع عقول المصريين حتى من مجرد التفكير في تطبيق بعضها.

إذن، فهي حرب اقتصادية أشعلتها الممرات لحساب مكاسبها أولاً، ولحساب إسرائيل وإيران.

الشكر لله ثناء ودعاء . . والتحية لأقيال الخليج شكراً ووفاء

ما أحسن التوقيت إذا ما كان في إبانه لم يتأخر عن أوانه، وما أجمل التوفيق يزف للتوقيت معنى النجاح وقوة الفعل، فقد انعقد مؤتمر القادة من أصحاب الجلالة وأصحاب السمو أقيال الخليج في وقته.

لقد كان الوقت ظلاماً حالكاً حتى كادت المأساة أن تتحول إلى كارثة، إذا ما احترق بها شرق السويس فإن شررها سيحرق غرب السويس. المأساة أصبحت دماء في لبنان، الأخ يقتل أخاه، الفلسطيني يقتل الفلسطيني، كأنما الأسلاك الشائكة التي قسمت بها الأرض في «بيت صفاقة» قد تعلم منها الفلسطيني هذه الجفوة.. الابن في بيت داخل أسوار تحتلها إسرائيل، والأب في بيت خارج أسوار كانت أرض قبل عام ١٩٦٧م عربية وأصبحت الآن تحت سلطان اليهود.

حرب أصبحت الشام كلها لا تدري نهايتها ولم تكن تدري بدايتها. أحسبني أقول.. اصمتوا الصمت العميق، لا تقولوا أميركا.. غرب أوروبا.. كما لا تقولوا اليهود، لأن القول الصحيح كواقع قد قاله أقيال العرب عواهل الخليج في بيانهم الختامي، أعلنوه بكل الحصافة والنظافة

«أوقفوا القتال يا فلسطينيين.. يا عرب.. يا شاميين» فإذا القتال يتوقف، كأنهم قد حددوا المسؤولية حين اضطلعوا بها باسم الأخوة.. أخوة الإيمان واللغة والتراب والمصير على من نادوه «أوقفوا القتال».

وجاءت صرخة الدوحة تستجيب لقرار مجلس الأمن يدعو إلى السلام بين العراق وإيران.

إنهم ينادون الضمير المسلم في إيران أن يستجيب لدعوة السلام. فما الفائدة من حرب دخلت السنة الرابعة. يقتل المسلم أخاه كأنما اليمين في إيران نخشى منه أن يتطرف ليقفز اليسار، وما يوم حليلة بسرا!

والتفتوا إلى أنفسهم فإذا هم القادة العرب إن لم يعلنوا الوحدة الدستورية فقد أعلنوا الوحدة على صورة مثالية لا يتسلط فيها إمبراطور على إمبراطورية، وإنما كل السلطان أخ مع أخيه.. سلاح يعانق السلام.. المال مال الجميع كما الأرض أرض الجميع، السلوك السياسي متحد، والتحرك العسكري قد أزمعوا أمرهم أن يكون متحداً.

والتفتوا مرة أخرى إلى الوثام يرسلون التحية إلى مسقط وعدن، أليست عدن أخت مسقط؟ أليس القحطاني في اليمن أخوا الأزدي في عمان؟ أليست عدن ومسقط ما كان ابن من أبنائهما إلا ابن سبأ، ما كان ابن من أبنائهما إلا محمدياً يرتفع صوت القرآن في مساجدهما التي ينبغي ألا يهدر مسجد فيها بمذهب جديد وانفعال مبيد.

لأول مرة أثبت مؤتمر الدوحة أنه الفعل لا الانفعال، أليس الفعل أن تكون كلمة الخليج واحدة؟

فهذا البيان الختامي تصدى ولم يتعد، شدد وما بدد. لقد انصرف عن

الجغرفة حين حفظ التاريخ، فلقد كان آباؤنا لا يعرفون الإقليمية الجغرافية حتى قال لهم عمر بن الخطاب يوماً «لا تكونوا كالنبيط، إذا سئل أحدهم من أنت يقول من قرية كذا من مدينة كذا، قولوا من قبيلة كذا» وقد مضت كلمة الفاروق في القرنين الأول والثاني لا ينتسب عربي إلى قرية أو مدينة أو إقليم، فلقد أصبح أقبال الخليج عُمريين يوم أعلنوا وحدتهم عرباً مسلمين.

وهل أقول أصبحوا عُمريين حين بلغه أن الفرس قد واجهوا المشنى بن حارثة متحدين تحت قيادة ملك اسمه «يزدجرد» فقال عبقرى هذه الأمة سيدي عمر بن الخطاب «لأضربن ملوك العجم بملوك العرب» لا تأخذوا هذه عليّ في العدوان، فلست من دعاة الفرقة ولكن العدوان قد أسفر، فالأمر كما قال زهير:

«ومن لم يذُد عن حوضه بسلاحه يُهدم»

أو كقول الآخر:

ولا خير في جلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يُكدرًا

ولنطرد عنا قول الشاعر:

كأن ربك لم يخلق لخشيتته سواهم دون خلق الله إنسانا

فالحشية من الله أن تكون حماة الأرض والعرض، وقبل ذلك الدين التحية أرسلها الفلسطيني الذي سال دمه، وأرسلها العربي لعواهل العرب الذين اجتمعوا على الخير في الدوحة، فلا بد من الشكر لله ثناء ودعاء.. والتهنئة لقادة العرب وشعوبهم على الخليج لن يكون منها إلا الشكر والوفاء.

- الابتعاث :

- حين تحدث الأديب الوزير السيد حسن محمد كتبي في حفل تكريمه أقامه الابن عبد المقصود خوجه يوم الاثنين الماضي كسنة سار عليها في تكريم الرعيل الأول من أصدقاء أبيه، قال السيد الكتبي إن أول بعثة الفلاح في عام ١٣٤٨هـ، وكان عزفه من مؤسس الفلاح الحاج محمد علي زينل يرحمه الله. وقد عقبته عليه في الكلمة التي تعودت أن ألقياها مشاركة في التكريم، فالمكرمون يستأهلون أن أتحدث عنهم. قلت: أنا مع السيد حسن كتبي إذ أرّخ لهذه البعثة الفلاحية إلى بومباي تحت رعاية الحاج محمد علي زينل يرحمه الله، ولكنني أستدرك أنها ليست أول بعثة من هذا البلد، فقبل نحو عامين من ذلك التاريخ ابتعثت الحكومة السعودية السادة الثلاثة: أحمد العربي، ولي الدين أسعد، ومحمد شطا، فقد أعلنت الحكومة حينذاك عن رغبتها في ابتعاث من يرغب ذلك. وقد رغبت أن أكون من بينهم، ولكن شيخنا الذي أخذ بيدي محمد العلي التركي قد نصحني ألا أذهب، وكأن في ذلك، فقد ابتعثت نفسي ألتهم بالقراءة، ما كان لي منه الرصيد فيما أنا عليه الآن.

وفي عهد حكومة الحجاز ذهب الأستاذ عبد الحق النقشبندي إلى جامعة «ديوبند» الإسلامية في الهند يرحاه شيخ ديوبند الأستاذ حسين أحمد الديوبندي والمحدث حنفياً على طريقة الطحاوي، وسطاً بين أهل الحديث والأصناف الآخرين.

وفي عهد حكومة الأتراك، ومن مكة وفي عام ١٣٢٨هـ ابتعث عبد الرؤوف الصبان إلى مصر، ولعل ذلك كان من رغبة الخديوي عباس حين

حج في ذلك العام، فقد أخذ معه من المدينة شاباً هو حسين بن ذياب ناصر.

وفي وسط العشرينات أول من ابتعث من المدينة السيد جميل أحمد عم السيد حبيب أحمد، ابتعث إلى المدرسة السلطانية في اسطنبول، وبعد ذلك توالى الابتعاث من خريجي المدرسة الإعدادية التي أسسها السلطان عبد الحميد، فابتعث أستاذنا السيد حسين طه وزميله أحمد أبو بكر حمد الله من أهل ينبع، وكلاهما تتلمذت عليه، فالأول كمدير للمدرسة الراقية والثاني كمدير لمدرسة ينبع، إذ مكثت في ينبع سنتين حين كان فخري باشا قد رحل أهل المدينة إلى الشام ورحلنا نحن إلى ينبع.

وبعد ذلك، حوالي ١٣٢٦هـ ابتعث محمد المغربي وعبد القادر عبد الجواد ومحمد علي طه إلى الكلية الصلاحية في القدس.

أردت بذلك تحقيق التاريخ لا أنتقص من قدر أي أحد، وقد نبهت على ذلك من قبل وأول ما نبهت عليه كان في بيت الصديق الأخ إبراهيم فودة رئيس النادي الأدبي في مكة، فقد أقام حفلة عشاء دعا إليها محمد سرور الصبان وإبراهيم السلیمان بن عقيل يوم كان كل منهما في مركزه. وتحدث أحد الجالسين عن عبد الرؤوف الصبان أنه أول مبتعث من الحجاز، فأخذت أحقق التاريخ لا انتقاصاً ولا تزيدياً، وإنما هي الحقيقة.

- صور:

وابتلع كاسترو الهزيمة في جرينادا وما غص بها حلقوم الاتحاد السوفياتي، بل إنه سيتخذ منها إباحة جواز مرور في غزوة للأفغان.

وهذه أسئلة يطرحها الواقع.. فهل تم الاتصال بين موسكو وواشنطن

عبر الخط الساخن؟.. أعلن فيها الاتحاد السوفياتي موقفه حول الأزمة الواقعة في لبنان، وأعلنت الولايات المتحدة طلباتها تجاه ما وقع ضدها في لبنان؟!!

وهل اتصلت موسكو بدمشق أو أن دمشق اتصلت بموسكو ليتم اللقاء بين وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ووزير خارجية سوريا؟! وتبعاً لذلك هل نتوقع انفراج الأزمة وإتاحة الفرصة الواسعة للجنة المصالحة اللبنانية؟! إن هذه الأسئلة يطرحها الواقع، أما الإجابة فمع الأيام..!!

نفثة مصدور . . وتنفس مقهور . . !

والمصدور إلى درجة القهر . والمقهور إلى درجة تمزق الصدر هو
العربي الآن :

لا لأنه يعيش المخافة من عدوه . وإنما يعيش الخوف . . خوف العربي
من العربي . . فحين تسقط هذه المخافة نجد أنفسنا نحن العرب في وئام
دون صدام ليكون كل ذلك باعث الشجاعة . نقاوم بها الخوف من العدو .

إن العربي اليوم قد أهدر الماضي وأفقر الحاضر . ولا مستقبل للذين
يهدرون ماضيهم ويفقرون حاضرهم كأنهم وضعوا المستقبل على المقصلة .
أو أنهم علقوه على المشنقة .

إنهم يقولون . لبنان عاش ويعيش شعوبية الطوائف . كأنما هم قد نسوا
أن كلهم يعيشون الآن طوائف الشعوبية . شعوبية ليست تحارب العرق وإنما
هي قد استعرت فيها الإقليمية ، كأنما إنسان الأرض العربية قد أصبح حرباً
على أخيه وجعل من قطعة الأرض التي فيها إقليمه حرباً على قطعة أخرى
فيها إقليم آخر . مع أن الأرض لا تقبل ذلك ، فهي الوحدة من فجر التاريخ
إلى دهر التاريخ . فالأرض واللغة وإن جار عليهما اختلاف المعتقدات فإنهما
قد ابتلعا كل واغل ومشغب بالشعوبية . فالغزاة كان الدين واللغة والأرض
هم السلاح الأقوى الذي اقتلع الغزاة أو ابتلع الغزاة . كانوا غزاة طغاة .

فحين ابتلعتهم اللغة والأرض واحتضنهم الدين ذابوا في الأرض العربية إذ تأقلموا. ولكن الإقليمية الآن مرحلة. . وقت، يذبيها الزمن السرمدي. فلن يهزم هذا الدين وقد أبت اللغة العربية أن تنتصر. وتأبت الأرض أن تتمزق فهي الواحدة رغم أنف الأقاليم.

إن العربي اليوم في واقع الشعوب لا واقع الزعامات لا يتنكر لماضيه. ولكن هذه الذكرى للماضي لا يمتد بها عمله للحاضر، ولا أمله للمستقبل، لأنه يعيش الوحشة داخل إقليمه. ولكن الشعوب تأبى إلا أن تكون للأمة الواحدة حين يذوب الوقت إذ تذوب الزعامات.

ودعوني أقلد اللبناني الماروني المتمصر، «أنطون الجميل» رئيس تحرير الأهرام فيما سبق، كان يزخرف النثر بالشعر، أريد أن أقلده أتفلس ولو كان زخرفاً.

قال معروف الرصافي الشاعر العراقي يعيب الفخر بالماضي على الذين لا يحفلون بالحاضر.

وإن لهاشم في الدهر مجداً بناه لها الذي هشم التريدا
فدعني والفخار بمجد قوم مضى الزمن القديم بهم حميدا
فخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديدا
وشر العالمين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

فالفخر بالماضي يزينه العمل للحاضر، ولكن يموت الحاضر حين تتصعلك الشعوب. حين يكون التفرد لواحد. والانفرادية للآخرين حين يصب الإذلال على العلية ليكون الإخلال بكل القيم.

وما أحسن قول المتنبي:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وتراني أستعذب هذا البيت، لأن فيه حسرة العاطفة وسخرية الشاعر،

أستعذبه أكثر من البيت التالي مع أن المعنى واحد:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

* * *

سيدة البيت :

نحن في مرحلة يتحكم فيها الفصام بين أعضاء الأسرة كان الوفرة والترف قد أشعلا نار الانفرادية بالأنانية. وكان تعلم البنات قد أقصاهن عن عمل الأمهات فالأنثى أم ولو لم تلد. والأم زوجة. ويعني ذلك أن هذه الأم هي التي تنتظم بها الأسرة حين تكون راحمة لها. فالأم الرحم إذ تلد البناء، هي الأم الرحمة لرعاية الأبناء. فأين هي الأم الآن..؟

لقد فقدت الكثير من الرحمة حين زهدت أن ترضع طفلها، وأفقدت الأسرة قيمتها حين انصرفت عن رعاية البيت. مرحلة أنا على يقين أنها لن تدوم، فالأخطاء هي التي تبصر بالصواب وستعود الأم إلى مكانتها.

العلم لا يحجبها. بل هو إلزام لها بأن تلزم بالقيم، وأولها أن تكون هي واسطة العقد في الأسرة.

تحدث إلي كبير يطبق المفصل حين تشاكينا من أوضاع الأسرة الآن،

فقال:

«لقد جرى بيني وبين الأمير الإنجليزي دوق أوف كنت فقال إن السيدة مارجریت تاتشر لا تذهب إلى داونج ستريت تدير أسلوب الحكم وتباشر السياسة إلا بعد أن تدخل إلى المطبخ. تعد بنفسها فطور زوجها وأبنائها».

قلت له .. إنها أفعمت قلب زوجها وأفئدة بنيتها بشيء من الإسعاد، وإلا فإنها تستطيع أن تكل إلى خادم أو خادمة تصنع صنيعها لكن الأمومة فيها وتقويم التربية وصناعة الحب ألزمها أن تكون سيدة البيت لا تأنف أن تدخل المطبخ.

أما نحن الآن. فالخدم هم عماد البيت.. طباغات ونفاغات.. غسالات وكناسات. يتراطن بلغات شتى. حين أصبح البيت «بابل» أخرى تتبلبل فيه الألسنة. فأصبحت الكثرة من الخدم والخادמות عبئاً على دخل الأسرة وحتى على الدخل القومي.

وهذا له عقابيل أولها أنه أحدث الفصام في الأسرة.

وظاهرة أخرى هي الولع بالأسماء الأجنبية. يرفضون أسماء الجدات والأمهات. يرفضون اسم فاطمة، وزينب، ورقية، وهالة، وليلى، وهند، ودعد، إلى أسماء مثل سوزان، سوسن، شيرين، وأخشى أن يتمادوا فيسموا جوليانا، وجاكلين، وكارولين، ومارغريت، وديانا، ورينا، وسونيا.

ذلك يدل على أن الكثيرين منا والكثيرات أصبحوا وأصبحن يفعلون ويقبلن على الجديد ولو كان غير صالح.

- صور:

وقال أحدهم . كيف تكون النهاية في لبنان؟

قلت: ليس الصراع في لبنان الآن بين لبنان وإسرائيل أو بين لبنان وسوريا أو بين سوريا ولبنان وإنما هو الصراع غير الخفي بين إمبراطورية البيت الأبيض وإمبراطورية الكرملين وأخشى أن يصطلحا على توزيع الغنيمة .

* * *

وقالوا إن العجوز الشمطاء جولدا مائير قد خاطبها سكرتيرها بأن السناتور الأمريكي يريد التحدث إليها في لقاء كلف نفسه أن يحضر من أجله إلى إسرائيل .

فقلت هل هو صديق لإسرائيل . . وهل في صداقته نفع لنا؟

أجابها سكرتيرها أنه صديق وقد ينفع .

فقلت العجوز الشمطاء . دعوه يدخل إلى الصالون . سألقاه بعد . .

وتركته في الصالون وذهبت إلى المطبخ . فانتظر طويلاً حتى سألت أين

هي . .

فالأمركي لا بد أن يحاسب مائير على عطائه لها، فقالوا له إنها في المطبخ والأمريكي يحب الفضول . تعجبه المفارقات . فطلب أن يدخل إلى المطبخ ليراها فإذا هي تعد الشاي والكعك . فناولته كوباً من الشاي وقطعة من الكعك . كأنما هي الضبعة تريد أن تشيع فريستها . تخدر نفسه لتفترس عواطفه ثم أعدت صينية عليها أكواب من الشاي وأطباق من الكعك ،

وحملتها تخرج من المطبخ وتترك السيناتور، فسألها إلى أين؟

فقالت: إلى الحراس والخدم. فأنا أعد لهم ذلك بنفسي.

وكانت تمثيلية خرج بها السيناتور الأمريكي ليضع «جولدا مائير» وهي
رئيسة الوزراء في الموضوع الذي أرادته، تتركه مذهولاً.. فمأخوذاً يثني
عليها.

إنها ممثلة بارعة، تبذل الخدمة لقومها على صورة «سيدة البيت» التي
تعد الشاي والقهوة.

فلسطين في مؤتمر جنيف

وما لي أستعجل، أكتب عن مؤتمر جنيف، تم انعقاده بقرار من هيئة الأمم وتحت رعايتها ولما يصدر القرار من هذا المؤتمر؟

إن الإجابة على هذا السؤال هي في توضيح العراقيل والمعوقات التي حاولت دول شتى ألا يعقد هذا المؤتمر، كما أنني أعتبر أن المؤتمر أصدر قراره حيث إنه قد أعطى منظمة التحرير صفة العضو من بين أعضاء المؤتمر فمحا عنها صفة المراقب ويعني ذلك أنه اعترف ضمني بأنها «دولة» داخل المؤتمر وقد يلزمها ذلك أن تعلن تأسيس الحكومة الفلسطينية في المنفى!

كأنما هذا القرار من المؤتمر أعطى لفلسطين مكانتها وطلب منها أن تعلن إمكانها وليس هناك ما يأتي من قرارات بعد أقوى من هذا القرار، اعترف بمنظمة التحرير عضواً كأى دولة عضو في هذا المؤتمر.

إن هذا المؤتمر في جنيف كان امتحاناً للدول التي حاولت ألا يعقد؛ لأن مائة وثلاثين دولة أي مائة وثلاثين شعباً، أكثرية ساحقة وضعت الدول التي مانعت في أن يكون وامتنعت أن تكون عضواً في موضع قد لا تحمده هي لنفسها لأنه وصمها بوصمة التبعية لليهود، كما أنه وصمها بكذبة الصداقة للعرب. كما أنه قد وصمها بطابع الانخزال أمام الاتحاد السوفياتي تعطيه مكرهة أو طائعة مكاناً خفياً لدى العرب، فهل هناك عطاء للاتحاد

السوفياتي من خلال هذا العطاء منهم لليهود أكثر من هذا الموقف المتخاذل من أجل اليهود؟

إن فرنسا التي ذرف العرب كثيراً من الدموع يوم وطأتها جحافل النازية هدمت خط «مجينو» وأظلمت بعنفوان النازية مدينة النور.

إن فرنسا التي عظمت إمبراطوريتها باستعمار الكثير من الشعوب العربية قد نسيت عطاء هذه الشعوب لها، كما نسيت غضبة هذه الشعوب عليها؛ لأن فرنسا التي رضيت أول الأمر أن يعقد هذا المؤتمر في باريس رفضت انعقاده لديها حين أخضعها اليهود أو مارست الولايات المتحدة بأسلوب الرجاء الضغط عليها، رفضت فرنسا أن يعقد هذا المؤتمر وكادت سويسرا أن تتلكأ تحاول أن لا يعقد في جنيف.

ولكن الحيطة الصادقة في سويسرا وصدافة سويسرا مع الأرصدة العربية التي غصت بها بنوك سويسرا وتحركت بها إلى فوق قد أرضت سويسرا أن يعقد فيها هذا المؤتمر من جل فلسطين، كأنما هي قالت لليهود: لقد اتسعت لكم سويسرا أن يعقد فيها مؤتمر «بال» فينبغي أن تتسع سويسرا كما اتسعت لكم فلا ترفض في جنيف أن يعقد هذا المؤتمر من أجل فلسطين.

والامتحان أيضاً قد انصب على الدول الغربية صاحبة البيانات المشتركة وصاحبة التصريح تلو التصريح، تعلن فيها كلها أنها النصير للعرب، كان الامتحان «فضيحة خلقية»، فقد امتنعت أن تكون من أعضاء هذا المؤتمر فأرسلت من يمثلها بصفة المراقب.

إن هذه الجفوة أتلقفها شاكراً لهذا الدول؛ لأنها أوضحت موقفها ولأنها قد أعطت المؤتمر السلامة من موقف المعارض، فما أقل ما نصرت به

اليهود حيث حجرت نفسها عن موقف المعارض وما أجل ما أعطت العرب حيث ابتعدت عن المعارضة، إنها رقيب مشاهد وذلك عجز سلطة اليهود عليها وتعجيز من سلطان العرب في هذا المؤتمر.

أما الولايات المتحدة فمواقفها مع إسرائيل تحت ضغط اليهودية العالمية لا تحتاج إلى تعليق، لكنني وعن طريق الفقه للتاريخ ولما يصدر من هذا المؤتمر أنطوع بالشكر للولايات المتحدة أيضاً، لأن فقه التاريخ لهذا الموقف فيه العطاء للصورة الواضحة عن مواقف الولايات المتحدة وهي أنها لم تعد تطيق سقوط هيبتها أكثر مما جرى فامتنت عن الحضور لئلا تتورط بالمعارضة أو أن تتورط بالموافقة، تجنبت المعارضة من أجل هيبتها وتجنبت الموافقة من أجل هيبتها أيضاً وذلك منتهى «الخرج» لإمبراطورية عظمى تستطيع بقوة ما تملك أن تصنع السلام حين تمتنع عن عطاء ما تملك لليهود حرباً على السلام.. فشكراً للولايات المتحدة؛ لأن في هذه السلبية عطاء للمؤتمر أن تنتصر فيه المبادئ حين ابتعدت عنه ضغوط ومواقف المغرضين.

وحين ألقى فاروق قدومي خطابه رجوت ألا يطلب تطبيق العقوبات؛ لأن ذلك لن يتحقق بل هو قد لا يميل إليه كثير من أعضاء المؤتمر، لكنه في كل هذا الخطاب قال المعلقون إن فاروق قدومي كان رجل دولة حدد المطالب بوضوح دون تشدد فكانت الثمرة أن يقرر المؤتمر في أول يوم اعتبار فلسطين عضواً كامل العضوية، دولة من دول هذا المؤتمر وإن لم يكن لها مظهر الدولة.

إن مائة وثلاثين دولة قد قارب عددها أن يكون ثلاثة أضعاف الدول

التي صوتت فصدر قرار تأسيس الدولة الإسرائيلية، كأنما هذه الدول المائة والثلاثون قد نسفت قرار هيئة الأمم الأول الذي صدر بأكثرية قليلة، تأسست بموجبه دولة إسرائيل، فقرار الأقلية لم يكن قوة يتم فيه تنفيذ القرار لتأسيس الدولة وإنما كانت القوة في يد ترومن واستالين، في يد الإمبراطوريتين جعلتا هيئة الأمم كعصبة الأمم الأولى فليس هناك فرق بين هتلر وموسوليني وبين ترومن واستالين.

فالأولان حطما عصبة الأمم والتاليان استغلا هيئة الأمم فهي إن لم تتحطم أصبحت بالإمبراطوريتين إدارة التحطيم.

استقالة بيجن

ومالي أستعجل، أكتب عن استقالة بيجن ولم يقدمها حين أكتب هذه الكلمة، لقد أذاعوا أنه «يستقيل» ولكنه لم يبت إلى الآن. مالي أكتب عن ذلك أستعجل التعليق؟

إن الإجابة أستوضحها لأوضحها كالتالي:

- أولاً: إنني أطرح سؤالاً هل سئم بيجن سلطان الحكم؟ أم أنه قد خضع لقرار الكهنوت اليهودي في نيويورك، يأمره بالاستقالة؟ أم أنه أراد إحراج الولايات المتحدة في لبنان؟

- ثانياً: إن الطاغية اليهودي لا يسأم سلطان الحكم ولكنه أراد أن يخرج محتفظاً بما صنع لإسرائيل، خشية أن يتورط في لبنان أكثر فيفقد صداقته الخفية للاتحاد السوفياتي.

إن بيجن وقبله جولدا مائير وابن غوريون وغيرهم وكل المؤسسة العسكرية ما هي إلا توظيف لمخططات كهنوت اليهودية العالمية، فلا

تحسبوا أن كلاً من هؤلاء يستطيع أن يفعل ما يريد وإنما هو يفعل ما يأمره به هؤلاء الدهاقين .

فالقوة بما فعلوا ما هي إلا من أوامر الكهنوت اليهودي، فلعلّ هذا الكهنوت أراد أن يغير وجهاً طاعياً كمخدر مؤقت يتناسى العرب به طغيان بيجن وينسى العالم موافقه في هايدبارك على كل المنابر .

فالكهنوت اليهودي ذو نفس طويل يسترخي بعض الوقت ليجد الفرصة في وقت آخر وإخراج بيجن عملية استرخاء .

- ثالثاً: إما أن مناحم بيجن والكهنوت اليهودي، كل منهما يريد إحراج الولايات المتحدة في لبنان وإخراجها من مبادرة الرئيس ريجان .

قد ظهرت البوادر حين أرادت إسرائيل أن تنسحب إلى الجنوب الذي لن تنسحب منه قط . أرادوا أن تتسع الحرب الأهلية في لبنان وأن تتورط الولايات المتحدة فيها كعملية اعتذار من بيجن واليهودية العالمية للاتحاد السوفياتي ومن إليه .

فإسرائيل لا تريد أن تتورط في لبنان أكثر بل إنها تجني الثمرات من خلال تورط الولايات المتحدة وتسلم من غضب الاتحاد السوفياتي . حتى إنها وقد بدأت تنسحب من الجبل وبيروت تقدم الرئيس ريجان برجاء أن تبقى لتكون قوة ضاغطة على لبنان تستطيع بها الولايات المتحدة الحيلولة دون اتساع الهجمات عليها .

أنا كمعلق أفقه التاريخ، أجدني مع هذا الاستنتاج ألا وهو أن استقالة مناحم بيجن تكسب منها إسرائيل توريط الولايات المتحدة وتعطيل مبادرة ريجان .

وليست إسرائيل في حاجة إلى بطل، فكل الأبطال في إسرائيل يقتلون تاريخاً، وكل رجل في إسرائيل يستطيع أن يكون مناحم بيجن، فالعجوز الشمطاء جولدا مائير كانت البطل ليس هو الظاهر في تنفيذ السياسة الإسرائيلية وإنما البطل هو الكهنوت اليهودي والدهاقين في نيويورك. وكان في إمكاني أن أستأخر ولكن مقال الأسبوع لا يساعد في التأخير.

صورة:

مسكين شاعر العروبة فؤاد الخطيب حينما تفاعل بأمتة العربية يوم أنشد قصيدته:

لمن المضارب في ظلال الوادي ريانة العرصات بالرواد
اللّه أكبر تلك أمة يعرب نفرت من الأغوار والأنجاد

ثم تفاعل أكثر فقال:

تعس العداة فما يفرق شملنا متفرق السماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم شعباً وإن الله بالمرصاد

ما ظلمنا أعداؤنا يا فؤاد وإنما نحن الظالمون لأنفسنا!!

تزينت اليمامة واشمخرت

تزينت اليمامة واشمخرت، وتألقت حجر اليمامة شاكرًا فاخرًا.

تزينت اليمامة لمن؟ لولدها، سيدها الملك فهد بن عبد العزيز.

وتألقت حجر اليمامة بمن؟ بشعبها كله، يمثلها في هذا التألق سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض.

واشمخرت اليمامة لماذا؟ لأن ولدها ملكه، أصبح في عداد المجمعين، واهب العطاء دون من، ليس هو عطاء المال فحسب، وإنما عطاء الصبر، لنيل النصر، عطاء الأخ لأخيه، كان واحداً يشار إليه بالبنان، في قمة الخليج، لأنه لا يريد أن يكون وحيداً، وإن أعطاه المكان هذه القيمة، بكل القيم التي تزينت بها اليمامة.

- أهو التزين بالأنوار والكهرباء؟ أم هو التزين بنازع الحب والولاء؟

- لئن قال ابن الجند «عمرو بن كلثوم»:

تعرضت اليمامة فاشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

فإن الحفيد، ابن عبد العزيز ينشد هذا البيت الفاخر باليمامة الذي جغرفها، على صورة أخرى ليغترفها فيقول:

تزينت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

إن الأعمال البيض، تبيضُّ بها الوجوه، حتى شع نور البياض، يتألاً في سماء الرياض وأرضها وقلوب شعبها، كأن شماریخ اليمامة قد ابيضت فأرسلت هذا النور، فإذا الأعالي في عليّة، وإذا قصور المربع كلها تنشد، أن أبنائي من آل سعود، هم الأجدر بوصف «حسان» لأبناء جفنه، فأبنائي هم:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

- لقد كان «حسان» بارعاً في وصف ممدوحه، فالنسب معروف لآل جفنة، ملوك غسان، فمدح الحسب، الزينة للنسب.

- وهكذا آل سعود، النسب معروف، من «وائل» إلى «ربيعة الفرس» إلى «عدنان»، فكل العروبة في هذا الكيان الكبير، تنضم إلى هذا الاحتفال بقدم الملك إلى الرياض، كأنما «مضر الحمراء» على «وادي الرمة» عانقت «ربيعة الفرس» على «وادي حنيفة» وكأنما هما قد تعانقتا مع كل «قحطان» على شماریخ «السراة» و «رضوى» حتى السفح في «وادي الحمض» حتى النهلة الصافية من «وادي الصفراء». أما «العقيق» فقد شبع من رؤية الملك فهد، حين أشبعه بكل الرعاية، يوم زار المدينة المنورة. وكأنما هذه الوديان كلها قد ساءلت تقول لقبائلها:

- إن الخير قد عم، ذلك فال حسن، لميمون النقيبة، فهد بن عبد

العزیز.

- وهل هناك خير أعم، من أن يصل ماء الخليج، إلى حجر اليمامة

بينما حجر اليمامة هو الذي تدفق، يسير نحو الخليج، ليكون «مجمع

البحرين» العذب الفرات من شماریخ الیمامة، تحت باطن الأرض، فإذا الخلیج یرد الجمیل، یعطي الماء العذب لإنسان الیمامة، كأنما «الجبیل» أحد شماریخ الیمامة، وأي خیر أعم، من وصول النور، إلى ساحل البحر الحمر، نور النفط، علی مصفاة «ینبع».

- إن احتفال الریاض، لیس هو احتفالها وحدها، وإنما هو احتفال شعبنا العربی كله، فی هذا الكیان الكبیر، ولئن احتفلت الریاض وحدها فإنها العاصمة، كأنما هی تنوب عن كل مدینة وقرية وبيت شعر، ذلك حقها، والواجب علیها، فالوحدة فی الكیان الكبیر، كل مدینة، كل قرية فیه، لا تكن إلا الولاء والحب والإخلاص، فالملك القمة، وكل الشعب قاعدة، ذلك مقياس النجاح، لیکون التفاؤل به، إن ما سعی إليه، ویسعی به، الملك فهد، ما هو إلا قرار حکیم، ونصر مبین، لیس أوله مؤتمر القمة فی فاس، ولیس آخره مؤتمر القمة فی المنامة.

- سعی مشکوراً أصغت له آذان الدنیا، وشرحت له صدور العرب والمسلمین، لیکون النجاح حلیف المساعي الحميدة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فی مرادها الأجسام

من شاعر الربابة إلى الإذاعة

هكذا العربي.. لم تتغير حماسته نحو الأبطال، ولا يعني أن يكون البطل من صناع تاريخه، فقد أصبح «البطل» في مشاعر العربي اليوم هو هادم تاريخه!

أيام شاعر الربابة.. كانت الحماسة تغمر مشاعر العربي لأبطال الملاحم في تاريخنا، شاعر الربابة هو المخرج، والممثل، أما المسرح فهو المقهى.. بفلوس قليلة يدخل العربي إلى المسرح، فريق مع أبي زيد الهلالي، والآخرون مع ذياب بن غانم، وفريق مع «خليفة الزناتي».. حتى يصبح المسرح حلبة صراع بين زغابه، وزناته وهلال!

ولعلّ في تمثيلية أخرى عن «عنترة» أو «ذات الهمة» أو غيرها تتوزع الحماسة كما توزعت في ملحمة بني هلال.

* * *

كان ذلك حياة في وجدان العربي، ولكن شاعر الربابة قد انتهى، وكاتب القصة اليوم ليس عربياً.. يكتبها كل برلمان في الديموقراطيات أيام الانتخابات. كل العالم العربي اليوم يسمر أذنه على المذيع.. بعضهم يريد أن يبقى «بيغن» ومنهم: ياسر عرفات. وبعضهم يريد «بيريز»، كما كان

العرب من قبل . . أي بعد الحرب العامة الأولى: منهم من أنصار حزب المحافظين، وفريق يعلن آماله في حل القضية على حزب العمال، كما هو الشأن في فرنسا: الراديكاليون . . اليساريون . . إلى الديجوليين . والاشتراكيين، فحين نجح حزب العمال برئاسة «رمساي ماكدونالد» في العشرينيات . . فرح كثير من الزعماء العرب لأن تغييراً في السياسة البريطانية سيحدث، وتفاءل الذين تستعمرهم فرنسا بأن أي خطوة إيجابية من حزب العمال ستتبعها خطوة إيجابية من فرنسا . . حتى أن سعد زغلول يرحمه الله، كان لديه هذا التفاؤل بحزب العمال، فذهب يفاوض . . حتى إذا عاد قال: (خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز)! . . وخصوم سعد يتهمونه بأنه لم يخسر صداقة الإنجليز في يوم ما!

هكذا العرب . . مع شاعر الرّبابة كانوا يفتشون عن بطلهم، أما الآن فينتظرون بأسلوب التفاؤل، أو على طريقة (القعدية) من الخوارج أن يأتيهم الإنصاف والعدل من إحدى الإمبراطوريتين!

* * *

لقد كنت مع «ياسر عرفات» ومع كل الذين يحبذون بقاء «بيجن» رئيساً لوزراء إسرائيل لأنه قد أوصل الوضع في الشرق الأوسط كله إلى ذروة الشر، ولا أقول إلى حافة الهاوية، فحافة الهاوية مطلب الإمبراطوريتين، أما ذروة الشر فمخافة الإمبراطوريتين .

ثم . . إن «بيجن» بكل ما صنع في لبنان، وفي بغداد، وبكل السخرية أو التسخير لإطار «كامب ديفيد» قد أخرج أصدقاءه وأخرج أصفياه . . فالولايات المتحدة قد وضعها في الموقف الحرج . . إذا كان ما نظنه فيها

صحيحاً، أو أنه، ولا أدري، قد أوصلها إلى الطريق التي تخرج به.. تعلن أنه لا أصدقاء غير إسرائيل.. تعلن بصراحة - التي اضطرها إليها مناحيم بيغن - أنها مع إسرائيل ولو اقترفت إسرائيل إسقاط معاهدة السلام. ليقول ناطق أمريكي: إسرائيل قد حجزناها عن مصر، وحجزنا مصر عن إسرائيل، وكلاهما معنا.. بل إن منطق الاستحواذ عليهما أن يكون هناك بعض التفريق بينهما، ليكون كل من إسرائيل ومصر في حاجة إلينا!!

حين تكون النتيجة على هذه الصورة من مناحيم بيغن، فهو في اختيار الثائر العربي: أن يبقى رئيساً لحكومة إسرائيل.

* * *

أما «بيريز» فسيحاول التحذير بأسلوب وآخر.. يمد حبل المفاوضات.. يسترخي عضلات الطغيان في لبنان.. يكيل الوعود للحكم الذاتي، كأنه يعطي العرب جرعة مسكنة، ويعطي بيغن فرصة ممكنة.. و«بيريز» يعمل لـ «بيغن» كما أن بيغن قد عمل لبيريز، فهذا التساوي في نتيجة الانتخابات هل هو عمل برلماني حر، أم هو توزيع المقاعد لتوزيع التصرفات.. تفعله هذه العصابة اليهودية؟!

إن من الحماسة أن تتعامل الدول، وأخص منها الغربية التي تلقى بعض زعمائها الصفعات من مناحيم بيغن، مع إسرائيل على أنها دولة.. مع إنها عصابة!

إن الرواية لم تتم فصولها.. وقد يبدأ الفصل الثاني بعد الخامس من أغسطس في كامب ديفيد، أو في أي «كمب» آخر!

صورة:

الأستاذ «رجاء النقاش» أعطانا صورة جسد فيها المأساة.. زعم أنه يحذر الأدباء، مع أنني أتهمه أنه أراد أن يغري هؤلاء الأدباء ليفضحهم، فرجاء النقاش ينتهج أحياناً في أسلوبه الإغراء بالخلفيات، فالنتيجة التي يريدها ليست في ظاهر الأسلوب، وإنما في ما يخفي!

أعجبني هذا المقال لأنه أعلن أن «رجاء» يستطيع أن يكون كاتباً حرّاً، فحينما وجد الحرية التقطها، فأريد أن أحاوره على صورتين:

- الصورة الأولى: عن حسين فوزي - السندباد - الذي لا يعرف أن ثمانين في المائة من المصريين لا يعرفونه، ولكن ٩٠٪ من العالم العربي يعرفونه. إن «حسين فوزي» حين ذكر الحضارة العبرية كان خائفاً من المجازفة يسير بها الباطل، فلم يقل اليهودية مع أن العبرانيين بعد أن كانوا بدوا أصحاب العير والبعير لم يعرف لهم شأن إلا لأنهم اليهود، فإطلاق العبرانية عليهم أو العبرية نظرية يختفي في ظلالها «حسين فوزي»!

* * *

ثم.. أني أسأله: أين حضارة اليهود أو العبرانيين.. في أي مكان أقيمت.. في أي زمن نشأت؟ أتحداه أن يحدد الزمن أو المكان، فالحضارة إنسان وثقافة ووجدان ومكان، واليهود لم يمتد بهم زمان كزمن الفراعنة، أو عاد، أو ثمود، أو الكلدان أو غيرهم من أممك العربية يا حسين فوزي. إن اليهود ليس لهم حضارة.. هم كالبوهيميين رحالة، سواء برغبتهم في الرحيل أو بطردهم، لو قرأ «حسين فوزي» التاريخ جيداً لعرف أن هيكل

سليمان لم يشارك في بنائه يهودي واحد، وإنما هم «فعلة» مستأجرون أو
مردة مسخرون!

لا حضارة لليهود، ولكن.. . بعض هؤلاء: توفيق الحكيم أو حسين
فوزي.. . ردوا إلى أرذل العمر، أما جائزة نوبل فأبشر الأستاذ «رجاء» أنها
ستعطى لأنيس منصور قبل حسين فوزي!!

- الصورة الأخرى: ذكرت الأستاذ الإمام صاحب الجواهر (طنطاوي
جوهرى) كأنك تبكيه.. . تبصق على ضحكات بعض الساخرين منه. أتعرف
أول من سخر منه؟ كثير من الأزهريين والجامعيين، وأولهم أستاذك الدكتور
طه حسين.. . لعلّه قد تعرض لطنطاوي جوهرى - إن لم أكن نسيت - في
كتابه «أديب» حين قال ساخراً: إن بعض الناس يكلف القرآن بما لا
يحتمل. ولا أدري عن موقف العقاد من الجوهرى. فلعلّه يوم خرج هذا
التفسير كان العقاد مشغولاً بشوقي وبسعد زغلول.

تداعي الأكلة على القصعة!

- في حديث حفظناه عن موحد الأمة العربية بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة: رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة)، فقال الصحاب: من قلة يا رسول الله؟.. فقال: بل كثرة كغناء السيل.. إنما يدرككم الوهن، حب الحياة وكرهة الموت!

أليس في هذا الحديث صورة جسدت واقع العالم العربي؟ كثرة في العدد وقلة في المدد، فالعربي اليوم بمشرقه ومغربه يهلك نفسه بالقوة التي يملكها من خلال الضعف الذي يملكه، فالقوة مادة تصنع الهلاك لصاحبها إذا لم تكن هناك قوة يزخر بها الوجدان!

* * *

مقدمة لا بد منها.. أتبعها بفقرات كأنها الصور لبعض المواقف من هؤلاء الذين يتآكل الكلام على ألسنتهم كأنها الوسائل يمدون بها الأيدي إلى القصعة، فالقصعة ليست هي الخليج وحده.. بل كل العالم العربي هو القصعة: أرضه قوة الدفاع عن حلف الأطلسي، أو قوة الاندفاع ضد الأطلسي، أو بعبارة أصرح: أصبح العرب هم القوة الأولى في يد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة!

ولأشرح ذلك: فالاتحاد السوفياتي الذي أمد سوريا بصواريخ سام ويتظاهر بأنه يؤيد منظمة التحرير، ويقوم بمناورات الأسطول على الساحل السوري.. تحدته الولايات المتحدة بأن أشعلت الضوء الأخضر لإسرائيل تدمر الأرض والإنسان في لبنان، فإذا الصواريخ لم تفعل شيئاً، فلعلها في نطاق محدود الامتداد لا تصل إلى الدفاع عن بيروت، أو لعل الأمد حدد لها.. فإن الاتحاد السوفياتي لم يعلن موقفه في حماية معاهدة الصداقة السورية، كما لم يعلن الوفاء بما التزم به لمنظمة التحرير، فلا بد أن هناك التزاماً تعرفه المنظمة، وإلا فهي أشد إدراكاً وإخلاصاً من أن يغرر بها!!

فالاتحاد السوفياتي كل ما أعلنه أنه اتخذ لنفسه أن يكون كأى دولة من دول العالم الثالث حين دعا العالم كله أن يقاطع إسرائيل.

أهذا موقف دولة عظمى ولها في العرب أصدقاء.. بعضهم أعلن أنه لن يقف وحده ولم تعلن هذا الموقف بالنسبة لسوريا، فمن زمن غير بعيد صرحت أن الجنوب اليمني لن يقف وحده. وبالأمس القريب أكد ذلك رئيس اليمن الجنوبي حين قال في معرض كلامه عن الباكستان كوريث لشاه إيران، فقد قال: إن اليمن الجنوبية لن تقف وحدها!

فلماذا لم يعلن الاتحاد السوفياتي مثل هذا الموقف لمناصرة سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية؟!

والإجابة تقول: ليس ذلك خوفاً من الولايات المتحدة وإنما هو العون - كل العون - من الاتحاد السوفياتي لإسرائيل!

- الفقرة الثانية: هي في التعليق والتحليل للكلمة التي حمل بها وزير دفاع الولايات المتحدة على «مناحيم بيغن»، فقد تبرع بأن طائرات «أف -

١٦» المقرر إرسالها إلى إسرائيل قد تأجل إرسالها لأن إسرائيل ضربت
المفاعل الذري وتشن حرباً سافرة على لبنان!!

عبارة ليست إلا جرعة تخدير، وإلا.. لماذا لم يطالب إسرائيل بالتعهد
الذي قالوا إنه مأخوذ عليها بأنه لا يجوز لها أن تستعمل سلاح الولايات
المتحدة في العدوان على جيرانها؟!

إن إسرائيل لا تملك أي سلاح غير سلاح الولايات المتحدة، وهي قد
أشعلت الحرب سافرة على العالم العربي كله، فبغداد هي كل العالم العربي
لو عرف العرب ذلك، وبيروت هي كل الدنيا العربية لو اقتنع اللبناني
بذلك!!

إن تأخير صفقة عشر طائرات لعبة لصالح إسرائيل، وهي في غنى عنها
الآن ولكن.. هكذا قهر السياسة بعهر العقول في السياسة.

لو طالبوا إسرائيل بأن لا تضرب بيروت بسلاح الولايات المتحدة،
لأصبحت إسرائيل تطيع هيئة الولايات المتحدة، فالهرجلة التي يعيش في
دوامتها فيليب حبيب إما أنها إسقاط لهيئة الولايات المتحدة، أو أنها تمهيد
لتنفيذ خطة بعيدة المدى يتزعمها السيناتور جاكسون.. هي في تصعيد
الموقف في الشرق الأوسط لإرغام شعوبه على أن يكونوا وإسرائيل في
سلام تصنعه الولايات المتحدة كما إطار كامب ديفيد، ولعلّ هذا الاحتمال
هو الأقرب!

- والفقرة الثالثة: وبطريق المصادفة سمعت فقرات من مقال كتبه
مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر «بريجينسكي»، فقد أذاعت محطة لندن

ما هو أشبه بالتحذير أو التخدير للولايات المتحدة.. يتحسر أنها في الشرق الوسط في موقف ضعيف أمام الاتحاد السوفيتي، قال ذلك حينما أصبح خارج البيت الأبيض، فهل أجد أمريكياً يقول له: ألسنت أنت أحد صناع هذا الواقع الذي تتحسر منه حينما كنت ترسم الخطوط العريضة لسياسة البيت الأبيض؟!!

لكنها ازدواجية السلوك، فهو في البيت الأبيض يخضع سياسة الولايات المتحدة حسب رغبة اليهود، وأكبر رغبة له أن تصانع الولايات المتحدة الاتحاد السوفياتي وحين يخرج من إملاء الوظيفة يصبح أمريكياً مستقلاً لتكتب عنه كلمة بيضاء لعلها تطمس كلمات سوداء.

ومثله - حذوك النعل بالنعل - كيسنجر، فإنه الآن كأنه تحت جسر التنهدات يتنهد.. يعلن الحسرات على وضع هو صانعه.

صورة:

في كل الأعمال الفدائية التي تتفجر فيها القنابل داخل إسرائيل، أو التي تحدث من خلال الضرب بصواريخ الفدائيين على «كريات شمونة».. كل هذه الأعمال في السنوات الماضية إذا ما أذاعت إسرائيل خبراً عنها لا تذكر الإصابات ولا تصرخ بغوث الضحايا، كأنها أرادت أنه لا شيء في الميدان.. لا تبالي بما يصنعه الفدائيون.

أما في هذه الأيام، وقد أرسلت عدوانها وطغيانها على لبنان، أصبحت تذيع: الملاجئ قد امتلأت. القتلى من اليهود لن يذهب دمهم دون عقاب. شرد اليهود من الحدود. كل ذلك يفعلها الفدائيون. إنها بذلك لم تضيف

مجداً على الفدائيين وقد تعتمد المبالغة في ذلك.. تصنع التبرير لما تفعل .
هكذا طريقة اليهود: البكاء، والصرخات، من الظلم لتخدع المتهوسين، أو
لتعطي الصليبيين فرصة الانتقام.

إنها تتذرع بهذا التضخيم للأخبار.. ليس للاعتذار وإنما هو أن تجيزها
الولايات المتحدة لتصنع الطغيان والعدوان وهلاك الإنسان.

* * *

كنا حول التلفاز، وجاءت فتاة لم تكن معنا حين بدأنا نشاهد برامجه،
وإذا هي ترى على الشاشة تلفزة لبرنامج عراقي، فقالت: ماذا حدث..
لماذا هذا البرنامج؟!

- قلنا لها: إنه عيد تموز.. عيد الثورة، أنسيت ثورة العراق؟!!

- قالت: لا أستطيع أن أتذكر عدد الثورات في العالم العربي، حتى
استكملوا العدد الكبير بالثورات في العالم الإسلامي.

- قلت لها: هذا عجز في الثقافة!

- قالت: ولكنها قوة النفس.. تستطيع أن تنسى المرهقات!

- قلت: النسيان نعمة، ولكن التذكر تحرك لحياة الإنسان، فالإنسان بلا
تذكر وذكريات يعيش الجمود.. يتحرك آلة بلا عاطفة.

- قالت: دعني أستريح.

مبادرة أم . . مناورة؟

بعد خطوة أو خطوتين من احتلال الاتحاد السوفياتي للأفغان، وإبان بؤادر الوضع المتأزم في إيران، وما يذاع عن ما هو متوقع للخليج . . سواء عن مطامع الاتحاد السوفياتي، أو ما يذاع عن موقف دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة من العزم على توزيع القوة سريعة الانتشار للدفاع عن الخليج . فأمام هذا الواقع، أو هو من إحياءاته . . دعا الاتحاد السوفياتي، وبلسان الرئيس بريجنيف وحين زيارته للهند، إلى عقد مؤتمر لمناقشة القضية الفلسطينية تحضره جميع الأطراف المعنية، ومن بينهم: منظمة التحرير!

فهل هذه الدعوة من الرئيس بريجنيف مبادرة تتعاق مع تصديق الواقع لها، أو تستجيب لها الأطراف المعنية، بما فيها منظمة التحرير . . بما فيه إسرائيل، أم هي مناورة كعامل مخدر تتصرف به العواطف، أو تتحول به منابر «هايد بارك» العالمية عما صنع الاتحاد السوفياتي في الأفغان؟!!

فأغلب الظن أنها ليست مبادرة، فلا الواقع يؤيدها . . لأنها ليست في قوة مؤتمر جنيف الذي أزم مرضه، إذا كانت به بقية من حياة، أو الذي أصبح في الهالكين .

ولعلي أطرح سؤالاً أنتزعه من واقع الأطراف المعنية عرباً وإسرائيليين،

وكذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.. مجمعون على أن يكون هذا المؤتمر؟!

أكاد أشك في أن هناك إجماعاً، بل إن اليقين يعطي المعلق أن يقول كلمة يحدد فيها أن هذا المؤتمر مناورة لا مبادرة فهو لن يعقد، وما استجابت له كل الأطراف. صمت مطبق من أقاليم صديقة للاتحاد السوفياتي، ومن منظمة التحرير، ومن إسرائيل والولايات المتحدة.

غير أن بعض هؤلاء الأطراف، وقد زار كل منهم موسكو، أذاعوا التحبيذ لعقد مثل هذا المؤتمر في بيان مشترك أذيع من موسكو، ولكن طرفاً آخر قد زار موسكو بعد هؤلاء ولم نسمع أنه شارك في تحبيذ هذه الدعوة لعقد المؤتمر.. ذلكم هو الرئيس الشاذلي بن جديد، فبعد أن أذيع ما وافق عليه المحبذون وتلاههم في الزيارة: الشاذلي ابن جديد، فلم يكن مع أولئك المحبذين.

فهل هذا الصمت من الأقاليم الصديقة للاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير.. وضع قد خطط له لجس النبض؟ فإذا ما كان هناك إجماع للترحيب به كانوا مع المرحبين، وإن لم يكن أصبحوا من غير المتورطين! ولعلّ صمت الشاذلي بن جديد يحتمل أن يكون رفضاً منه، أو أن يكون إشارة لتحديد موقفه مع الذين لم يرحبوا به.. بينما هم في موقف واحد معه.

إن هذا المؤتمر مستحيل أن يعقد، فأول ما يتطلب له أن يتم التفاهم

على من سيكون حاضراً فيه، فلا إسرائيل ستحضره إذا ما حضرته منظمة التحرير، ولا منظمة التحرير ستحضره إذا ما حضرته إسرائيل.. بينما هذا المؤتمر هو لمناقشة الوضع بين إسرائيل والعرب عامة، وبين إسرائيل ومنظمة التحرير خاصة.. فأصبحت الدعوة لهذا المؤتمر غير ذات موضوع؛ لأن طرفي الخصام والحرب والنزاع لن يكونا على مائدة واحدة، وإنما الدعوة إليه هي استهلاك ليس محلياً في الاتحاد السوفياتي، وإنما هو «حلولي» في العالم العربي.. يتلقى هذه التصريحات، كأنما هي تعبير عن ردود الفعل منه، فالبعض حين قبلها.. قبل رد الفعل، والذين صمتوا أو الذين يرفضون تأخروا عن الفعل.. فالفعل مع هذا المؤتمر أو ضده ينبغي أن يكون إجماعياً إذا كان العرب أمة واحدة، وإذا كانت القضية قضية أمة واحدة!

* * *

- صور:

ناحوم جولدمان: من دهاقنة اليهود.. يلبس ثوب «هرتزل» و«وايزمان» وحتى «ابن جوريون» و«مناحيم بيجن».. يدعو في هذه الأيام إلى إعطاء الفلسطينيين حقهم ويتبرع بأنه مستعد لمقابلة ياسر عرفات!

ذلك شأنه، ولكن.. ما هو رد الفعل أمام هذا الخبر من العرب؟!!

إن بعض العرب أذاعه بأسلوب الترحيب، وبعضهم لم يحفل له.. شأنهم في كل أمر، لكنني سيء الظن بكل تصريح يهودي، فأزعم صادقاً أن «ناحوم جولدمان» أراد أن يخفف الضغط عن مناحين بيغن لا أن يصبه

عليه؛ لأنه كما يريد، يحاول صرف أصحاب القضية إلى أمل، مع أنه لا أمل يأتي عن طريق أي يهودي!

إنها عملية استرضاء يسترخي بها أعصاب المناوئين لمناحيم بيغن. أسلوب يهودي، ولا غير ذلك.

ومن ناحية أخرى.. أصر على أن لا أقول: الصهيونية، أو الصهاينة، وإنما أقول: اليهود، إن المادة الأولى في السياسة العربية، ومن قانونها غير المكتوب أنها لا تذكر كلمة اليهود تجنباً للاتهام، بأن ذلك تعصب ديني.. مع أنهم قد جندوا أكثرية من غير اليهود مع اليهود، فكل يهودي صهيوني، وليس كل صهيوني يهودياً، فجندوا هذه الأكثرية ضدهم، ولو قالوا: اليهود، لحصروا حربهم ضد من هم أقل من الصهيونية.

إن اليهود في الولايات المتحدة وفي دول أوروبا.. لا يبلغون الكثرة التي تبلغها الصهيونية، فعند بعض من يعتنقونها يزعمون أنها إيديولوجية، مع أنها عند أكثرهم عملية مستأجرة، فأكثر الصهيونيين مستأجرون لليهود. بتخدير العواطف، أو بدفع المال! قولوا: اليهود. فهم العدو التاريخي.. من فجر التاريخ، إلى دهر التاريخ.

* * *

- شاب تعلم في الولايات المتحدة يحب شعبه. له أصدقاء كثيرون. كان إذا انتقد أحدهم أمامه الولايات المتحدة أخذ يدافع عنها بحماسة شديدة!

ولكنه بالأمس، وحين قرأ تبرير الرئيس ريغان لضرب المفاعل الذري

في بغداد، وحين سمع تصريح السيناتور إدوارد كيندي.. صرخ يقول:
- ليذهب العرب إلى الاتحاد السوفياتي، ما دام الأمر قد وصل إلى هذا
الحد! وخسرت الموقف في أن أحاوره.. أردته إلى شيء من الصبر. فما
استطعت! كيف أردته، وقد غضب لأمته؟!!

كيف أردته، وهذا الطغيان مسلط على أهله وأرضه ومسجده؟
سكتُ، وما سكت هو فلا زال يعيش حماسته الغاضبة إلى الآن..

بكره السفر

وكنت في مكتبي أفتش عن أوراق ضائعة وما كنت أدري أنني سأجد نفسي أمام شاب بدأ يضيع، كان باب المكتب مغلقاً، ولكنني سمعت صوت من يغني (بكره السفر بكره) فناديت حتى إذا دخل علي رأيت كل عضلة في جسده تهتز راقصة كأنما الفرحة في وجدانه اهتزت بها أوصاله، وقدرت أنه جاء يبشرني بالنجاح، فاز في الامتحان، فالآباء والأمهات لا شغل لهم إلا وهم يترقبون نتائج الاختبارات.

قلت له: بشر..

فقال: علي إكمال في اللغة العربية..

قلت: إكمال وأنت تكاد تطير من الفرح.

قال: بكره السفر بكره.

قلت: إلى أين تسافر..

قال: إلى الغرب، فأنا أتبع كلمتك (غرب سنة، ولا تشرق يوم).

أنا راح أسافر، خيلنا يا عم نغسل نفسنا من الهم والغم، طوال السنة دراسة، طوال السنة من البيت إلى السوق، غبار وحر وتفحيط سيارات.

قلت: كم ستنفق في هذه السفرة؟

قال: ما هو أقل من خمسين ألف ريال لمدة شهر، وإن وجدت أن
السفرة تطول، برقية للبنك ويرسل لي فلوس، أنت ما أنت شايفني يا عمي
من أول الشهر، وأنا أحبش وأدبش الشنطة، لا بد أن آخذ هدايا
للأحباب..

قلت: أي أحباب..

قال: ما تخلي الطبق مستور، يعني أنا مسافر، رايح أشوف العمارات،
أنا ماني رايح إلا أتفسح، عصفور من شجرة لشجرة لا تظن يا عمي
الشجرة من الزرع.

قلت: وصوم رمضان.

قال: أنا مسافر، أفطر، فذلك مباح.

قلت: لو كنت أملك الفتوى، لما أبحت الفطر في سفر أمثالك، الفطر
مباح لأيام معدودة، ولكنك تأخذ بأنه طوال الشهر، طول مدة غيابك عن
الأهل، الفطر مباح لمن سافر.. طالب علم، جالب تجارة، مكلف بمهمة
رسمية، ما هو مباح للمتفرفين المتبطرين، الذين يسافرون يفتنون المال،
وتتفانى الصحة، وتسقط كرامة المواطن، إنهم في المدن التي تسافرون إليها
لا يعتبرون الأموال التي تنفقون واردات، وإنما هي صادرات لأنها لما
تستهلكون هناك هي نوع من الصادرات لتلك المدن، حتى أجرة الشقة،
حتى الصرمحة في الشوارع كلها تستنزف المال من جيوبكم، لو اذخرتموه
لكان في ذلك تنمية لرأس مال الوطن، ولكنكم تعطون التنمية لهؤلاء الذين
سلبوا العزة فيكم، وسلموا أوطانكم لأعدائكم، فلئن كان الاستعمار عملية
استغلال للاستنزاف فقد أرحتم هؤلاء من إرسال الأساطيل والجيوش،

لأنكم واسطة الاستنزاف، فهم يستنزفون ثرواتكم بأسلوب وبآخر وشر
الأسلوب ما تفعلونه، وما تفقونه..

وسألته: أتسافر وحدك..؟

فقال: الوحدة عبادة، الوحدة حرية.

قلت: وتترك أمك وأخواتك مع أخيك الطفل طوال مدة هذا السفر..

ليش ما تأخذهم معاك..؟

فقال: (من عتبة لدحديره يا قلب لا تحزن)، أنا أقول لك حتى لما
بدأت الملم عفشي ورفشي، أرتب الشنطتين وجدت كرفته غالية مفقودة،
صرخت يا هوه أنا ما قلت أكثر من مرة لا تلعبوا في حوائجي، فقالت
أمي: إيش ضاع لك، قلت: الكرفته الوردية، قالت: روح شوفها تحت
المخدة، مسكتني رأسي بصداع، فتشت عن منديل أعصب رأسي فوجدت
هذا المنديل الوردي، اللي تعلقه في رقبتك، وصرخت نحن مساكين، أمي
ما تعرف الفرق بين الكرفته والمنديل..

قلت: لقد سجلت أمك أنها تعرف كيف نشأتك، كيف حفظتك
وعلمتك، أما أنت فعلاقتك بالقشور حتى السفر الذي بعثتم به الأسرة،
وأحدثتم شرخاً في العلاقات وأفقرتم أنفسكم بالسرف، فكل ذلك قشور،
تطائر يوم تأتي مصفر اللون من طعام مسمم أكلته قبل سفرك بأيام، إن
همهم هناك أن تشتروا وأن تأكلوا وأن تعبثوا، فالعناية بالصحة تكلفهم كثيراً
وهم يريدون أن يكسبوا أكثر، حين تسممت فرح سماسرة المستشفيات،
أخذوك إلى المستشفى لتنفق الدولارات، حتى التسميم وسيلة من وسائل
السلب لكم أخشى عليك أنك تحمل مرضاً جديداً، فقبل أن تنام اذهب إلى

المستشفى واعمل تحاليل لتعرف هل أنت صحيح الجسم، ما أصابتك عدوى الأمراض الجديدة، إنكم بهذه البعثة تخسرون خسارتين المال والصحة، ففي بلدكم هذا على مشارف السراة أماكن للاصطياف تشبع منها برؤية الجمال يزيد به الحب لوطنك، فكل نفقة تنفقها في الطائف، أو في أبها وما حواليتها هي بذرة تنمية لوطنك وليس من الضروري أن تجري وراء (الكباريات) والأغاني الصارخة فإنك لن تلقى هناك إلا من يستقدرك، وإن أشبعك من الشهوات، فبذل الشهوات لك معناه أنها عملية سلب واستنزاف، في وطنك مصايف ولوطنك عليك حق، ولكن لا حياة لمن تنادي . .

صور من الكشكول!

والكشكول أجتز منه هذه الصور، ليس هو كشكول المتسولين حول الأضرحة، ولا هو كشكول الأباطرة والزعماء وبعيد أن يكون كشكول التلامذة، وإنما هو كشكولي الجديد، أشبه ما يكون بكشكول العلامة العامليّ يرحمه الله.

إن كشكولي يحوي مدخرات من الفكر ومن الذكريات، لا يمتلئ أبداً، فقد اتسع يلتهم أفكاراً جديدة يأخذها من الأخبار لتأخذ الأخبار، يستنطق الأحداث فأجد نفسي مشدوداً إلى هذه الحصيلة، أتخذ منها الوسيلة، أكتب عن الأيام.

فالخبر الطارئ هو عن ديمقراطية اليهود، مظهره في هذه النتيجة التي لم تكن متوقعة عند الذين خدعوا أنفسهم بأن حزب العمل هو مناط الأمل، فإذا كانت الديمقراطية تعني هذه الانتخابات الإسرائيلية يخوضها خمسة عشر حزباً ليكون المظهر ديمقراطياً في إباحة الحرية لهذه الأحزاب، بينما المخبر أن اليهود وإسرائيل بالذات ما كانت ولن تكون إلا حزباً واحداً إن أطلق عليها اسم الدولة فذلك عمل المغرضين، وإلا فهي عصابة يختلفون في المظهر وهم على وفاق في المخبر.

إن الحاخام اليهودي الذي يطلب طرد العرب من فلسطين لم يكن ذا

رأي شاذ، يختلف به عن إسحاق شامير وشيمون بيريز كلهم على رأي هذا الكاهن «كاهان» هو يريد طرد العرب بجرة قلم، وأولئك يطردون العرب بالطغيان المتدرج سرمدياً.

والانتخابات كأسلوب ديمقراطي سلاح ذو حدين، أو هو وضع على صورتين، فهو في صالح الشعب الذي يدعي أنه ديمقراطي، وهو في الوقت نفسه وسيلة الطغيان على الشعوب الأخرى.

وأحسبني ألزم نفسي بطرح أمثلة فالزعامة الفلسطينية أعلنت خيبة أملها حين لم ينجح حزب العمل بالأكثرية التي تخوله أن يؤلف الوزارة، فخبية الأمل هذه لم تكن إلا خيبة في التفكير، فأى أمل في هذا الحزب الذي رسّخ الطغيان ومارس التعذيب وتلاعب بكل القرارات؟

إن كتلة ليكود مظهر يتستر به حزب العمل، يغري الذين يأملون بأن نجاح حزب العمل سيرحم الفلسطينيين، أو يعمل على ترحيل اليهود من احتلال لبنان.

والمثل الثاني، حينما كان العرب في صراع مع بريطانيا، وفي مصر بالذات، شاع الأمل لدى زعامة مصر بأن نجاح حزب العمال برئاسة رامزي ماكدونالد في أواسط العشرينيات يحقق الأمل في نجاح المفاوضات، وذهب سعد زغلول إلى لندن يحدوه هذا الأمل، فإذا حزب العمال هو حزب الأحرار هو حزب المحافظين، وعاد سعد ليقول كلمته حلوة في مرارتها ومرة في حلاوتها: «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز».

والآملون الآن في بقاء الرئيس ريغان في كرسي الرئاسة يسرون على هذا الأمل، وحثتهم أن الرئيس ريغان في الفترة الثانية أقوى منه في الفترة الأولى، لعلّه يطور المبادرة أو يطوّع إسرائيل.

كل هذا من خداع الديمقراطية، لن يتأتى من ذلك إلا خيبة الأمل.
إن إسرائيل لن تطيع المفاوضات ولن ترضخ للسلام، ما دام الضوء
الأحمر لا يزال في يد إمبراطورية الكرملين يمنع الحرب ضدها، وما دام
الضوء الأخضر في يد إمبراطورية البيت الأبيض يمنحها كل فرص العدوان.

* * *

- ذو مرخ!

وتعوّدت أن أسمع برنامج «من القائل» يحبّره، يحرره، يتقنه، صديقنا
أستاذنا عبد الله ابن خميس، يذكرني بما نسيت، أحفظ ما لم أكن حفظت،
أطرب للشعر الشعبي، فأنا من الذين يفهمونه كبدوي تحضر.

وفي يوم الجمعة قبل الماضية قال أستاذنا يؤكد أن المكان المرخ ذو
مَرخ الذي ذكره الشاعر الحطيئة حين استعطف الفاروق عمر عبقرى هذه
الأمّة.

ماذا تقولوا لأفراخ بن ذي مَرخ زُغِبُ الحواصل لا ماء ولا شَجَرُ

أكد أستاذنا ابن خميس أن في أرضنا مَرخين، مرخ اليمامة ومرخ العالية
وقال إن الحطيئة هو من مرخ اليمامة.

فالحطيئة العبسي هو من مرخ القصيم، فعبس كأختها ذبيان وأختها
فزارة وكل الليف من غطفان، منازلهم شرق المدينة في عاليه نجد.

وأحسب أن الأستاذ ينيلني رضاه في هذا التذكير، وإلا فاليمامة
والحناكية والمدينة وأبها كلها وطن ابن خميس وكلها وطني!.. بصحة
الكيان الكبير، بل هي قبل ذلك ابتسامه كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

إن تُتهمي فتهمامة وطني أو تنجدي يكن الهوى نَجْدُ

- علوي الصافي :

- وفي ليلة مضت تلفن إليّ الابن الصديق الأستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة «الفيصل» فدهلز للتخطئة تأتي بعدُ يشني على الكلمة التي افتتحت بها العدد الأول من مجلة «الدارة» في سنتها العاشرة، كأنما أراد أن يتطرى بذلك، يحسبني لا أفرح بالتصويب، مع أنني لم أفرح بالثناء ساعتها قدر فرحي بأن وجدت قارئاً في وزن علوي الصافي يقرأني، يقبل الصواب ويبصرني بالخطأ.

قال.. قرأت الصورة التي نشرتها في مقالك «مع الأيام» يوم الأحد الماضي، ولقد نسبت بيت الشعر الذي استملحته إلى الشريف الرضي بينما هو للمعري واستطرد يذكر سنده في القصة التي جرت بين إنسان وإنسانة في بغداد، فالإنسان إذ رأى الجميلة ترحم على عليّ بن الجهم، يُسمع الفتاة، فأجابته الفتاة تترحم على المعري، فالفتى أراد قول ابن الجهم..

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
والفتاة عالية الثقافة أرادت قول المعري..

أيا دارها بالكرخ إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوال
ذكر هذه القصة سنداً له، فشكرته على هذا التصويب مع أن الخطأ ليس من حافظتي، ولكنه من مخزون محفوظي، فقد سمعت هذا البيت من بعض أشياخنا في المدينة المنورة..

- صورة:

الديمقراطي «جيرالدين فيرارو» فقد اتهمته «فيرارو» بأنه لا يعبأ بالفقراء لأنه ليس مسيحياً.

فرد الرئيس ريغان عليها بكلمة بارعة مجنحة.. قال:

«أما اتهامي بأني غير مسيحي فإني سأدير خدي الأيسر».

فما أبرع الجواب، استحضر به كلمة المسيح عليه السلام: «إذا ضربك الروماني على الخد الأيمن فادر له خدك الأيسر».

واعتذرت «فيرارو» ولكن كلمة ريغان طارت في الآفاق!

وأناديها - أعني الكلمة - تعالي.. أفلم يرد ريغان وصف «فيرارو» بأنها الرومانية التي صفت الخد الأيمن وأنها الكاثوليكية المتعصبة؟ فالوخزة من ريغان تلبسها هذه الإيطالية رومانية فاتيكانية.

إمبراطورية شوقي

ونال شوقي من «الحظوة» ما جعل أستاذاً آخر يحتفلون بذكراه في إحدى مدرجات الجامعة التي كان أحد أساتذتها وعميداً فيها.. هو الدكتور أحمد أمين.. صاحب ضحى الإسلام وفجر الإسلام.. يحرم من التكريم الذي يستأهله فلم يحضر حفل ذكراه إلا ثمانية.. بينما شوقي - لأنه الحظي طوال حياته - قد كبر الاحتفال به حتى سمعته الأذان العربية في كل مكان...

ذكرى شوقي... ذكرى شوقي

وحتى كان كل شاعر وكل أديب يرجو أن يكون حاضراً هذا الحفل.. يلقي كلمة.. يسمع كلمة.. شعراً أو نثراً.. إن الحظوة لشوقي واثته بها الظروف.. البيت الذي نشأ فيه.. شاعر الأمير.. وليس بالقليل ذا النسب.. والحظوة مرة أخرى أنه شبع من اللغة وأشبعته تربة مصر.. بيئته طبعته طبعة إسلامية ذات نسخ عربية.. إن المعابة لها من شعور العائب.. لا من وضع القصر.. يعيرون أنه شاعر القصر.. ومتى كانت القصور عيباً.

فما كان عائب يستطيع أن ينال بغيته حتى إذا خاض الفتنة وجد نفسه خائباً لم ينل شيئاً..

مصر بكل ما فيها من فرعونها الأول إلى آخر الفراعين.. ومن عزيزها الأول إلى كل عزيز.. كانت الإمبراطورية بلا إمبراطور..

الفراعين والأعزاء هم الذين بنوا مفاخر مصر..

إن حظوة شوقي وقد كان يعاصره شعراء في حجمه: بدوي الجبل، شفيق خيرى، فؤاد الخطيب، جميل صدقي الزهاوي.. الرصافي.. سمعتهم آذان عربية محدودة.. أما شوقي فسمعته الأذن العربية حتى في صحراء شنقيط.. ذلك أنه شاعر نفسه.. تزوج مع مشاعره الذاتية.. إنه شاعر الإسلام وشاعر العروبة.. وشاعر الأبطال.. فكم نظم لدمشق؟ وكم نظم عن النيل..

يا نيل أنت بطيب مانعة الهوى وبمدحه التوراة أحرى أخلق
تسود ديباجاً إذا فارقتها وإذا حضرت اخضوضر الإستبرق

وعندي أن سبب الحظوة هذه التي نالها شوقي وأخفق غيره.. لم تكن إلا لأن الاستعمار جمع القلب العربي والجهاد العربي والكفاح العربي.. وحين تلاحت سحب الاستقطاب.. تفرق كل شيء حتى أن القلب العربي ذاب في صراعات إقليمية وحتى أن الكفاح العربي تعطل بالمزيدات العربية.

فالحظوة لشوقي عطاء أمة.. من عطاء شاعرها لها.. والعيب على شوقي عطاء المتغيرين.. الذين لم يصبروا على التطور فقتلوا شعوبهم في حومة التغيير.. وانحرف معهم نقاد صكت آذانهم بالمذاهب الجديدة.. والآراء المستجدة.. والانفعال المطروح.. والفعل الذي لم يطرح بعد.

شوقي التركي . . صبغته تربة مصر عربياً كعروبة ابن الرومي وأبي نواس . . صبغته تربة مصر كما صبغت التونسي بيرم . . فمصر ليست مقبرة الغزاة كما قالوا . . بل إنها تنمية وتمصير الغزاة والوافدين إليها . . حتى أن بيروم اليوناني أصبح شاعر الحب في مصر . . وهكذا شوقي، إن الذين يعيرون شوقي نسوا . . . أنهم يحطمون الماضي في نفوسنا . . ولا مستقبل لأمة لا ماضي لها . . مالنا نتبع الزلات؟ .

إن الذين يفعلون ذلك . . يضعون شوقي فوق البشر . .

كان عندي في بيتي في مكة . . في الصيف وأهلنا في الطائف . . .
الأستاذ الشاعر الفحل حمزة شحاتة .

وصحونا من النوم صباحاً . . وعلى فنجان الشاي بدأ حمزة شحاتة على طريقته يثير المكايدة ليتكلم . . فحمزة شحاتة من أبرع المتكلمين،
قال:

إن شوقي ليس شاعراً .

قلت: لك رأيك . . فدعنا نشرب الشاي دون إثارة . . فأشد:

في الموت ما أعيا وفي أسبابه كل امرئ رهن بطي كتابه
ثم أنشد:

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحباً إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقري حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

فقال حمزة:

من يقول أن شوقي غير شاعر؟ من قال مثل هذا؟

قلت: كأنك وإسعاف النشاشيبي على نمط واحد.. فإسعاف قال في «يوييل شوقي» الشعراء ثلاثة: الأحمدون... أحمد المتنبي... أحمد المعري... أحمد شوقي..

(قال) رأي عالم.. فكرة فنان..

قلت: ولكنه نسي: أحمد الرابع ابن زيدون... حبيب شوقي..

(قال) ليس هو رابع الأحمدين.

وكنت في مكة.. وفي مكتبي في إدارة الحج فزارني عالم من شنقيط.. وجرى الحديث بيننا..

(فقلت له):

لقد حصرت أنفسكم في شعر الجاهليين والهمذليين وما أراكم احتفلتم بالمحدثين؟!!

(فقال) إذا قال محدث مثل هذا القول حفظنا له:

لكن أخو خيل حمى سهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

(قلت) هذا الشاعر محدث.. أحمد شوقي..

(قال) أو لا ترانا في شنقيط نحفظ لشوقي؟ كان هذا البيت من قصيدته في رثاء عمر المختار..

ومن حظوة شوقي أنا فقدناه في كل حدث عربي.. لو كان حيًّا لسمعتم عن لبنان ما لم يقله أحد..

فأين هو الذي حل مكان شوقي؟

ومات شوقي.. فإذا بي أقرأ في مجلة الفتح: صاحبها السيد محب

الدين الخطيب خال أستاذنا علي الطنطاوي.. القصيدة التائية في رثاء شوقي قرأتها وقرأتها وأريد أن يسمعها من يفهمها فذهبت إلى أستاذاً وشيخي عبد القادر التونسي المصري التركي اليوناني المدني.. ذهبت إلى غرفته في رباط مظهر لأنه كان يسكن الرباط كأحد الفقراء قلت له تعال واسمع شكيب أرسلان يرثي شوقي. قال دعني لا أسمع عن تركي ولا عن عربي حارب الثورة العربية.

قلت: أرجوك أن تسمع.. فقرأت عليه «التائية» حتى إذا سمع ترنح وقال: أحمد لك أن نزع ما في صدري من غل على شوقي.. ومن حفوة لشكيب أرسلان وبكى...

أحفظ منها هذا البيت:

كالسيف في إمضائه ووضائه والليث في وثباته ووثباته

وهكذا شوقي... ما زال يتمتع بالحظوة عند الذين يعرفون ماضيهم.. أما الذين يريدون أن يكونوا حاضراً.. لا غيره فذلك شأنهم.

ومرة أخرى أقول إن شوقي قد شح من اللغة العربية ومن التراث العربي، فهو لم يجد الصناعة عن موهبة فحسب، بل أنمى هذه الموهبة بالدراسة.

كنت راجعاً من المعادي وصحبنني في الرجوع الأستاذ العلامة كامل الكيلاني، رجعنا من زورة لمحمد سرور الصبان يرحمه الله، وفي الطريق جرى الحديث عن اللغة فقال الكيلاني: اللغة العربية هي الثلاثي، ومن لم يحط علماً بالثلاثي لا يتقن العربية، قلت ومن يتقن الثلاثي في مصر؟ قال ثلاثة. كامل كيلاني وصادق عنبر وشوقي.

(قلت أتعجب) هل يبلغ شوقي مبلغكما في اللغة؟ قال: بل يفوقنا.
وإذا ما نظرنا في شعر شوقي نجد أن قاموسه قاموس.. . بحر محيط،
لقد تعمد أن ينظم الضادية.
أيها المنتحي بأسوان داراً كالثريا يريد أن ينقضا
نجد أن الضاد صعبة في النظم، ثم نجد أن لا بُدَّ في القافية، سلاسة
ودقة تعبير وارتفاع عن الضحل والغسل، كان شاعراً أعد نفسه، فأعطته
الأمة العربية قيمة الصيرورة كأنه ثاني المتنبي، الدهر من رواة قصائده.
وأبت الحظوة أي حسن الحظ أن يطوي حافظ معه في احتفال واحد،
بينما حافظ شاعر النيل كان أقرب في أول الأمر إلى الوجدان المصري من
شوقي، ولكن طغيان الشهرة لشوقي أحال القريب إلى الوجدان إلى فخار
بالشاعر فجاء الفخار تتطوى به القرى حتى أصبح حافظ يعد بعده،
واقترحت على بعض أن يجمع ما نشر في مجلة «السياسة» عن يوبيل شوقي
في كتاب يقننيه العربي يقرأه الشباب، ولعله لم يفت المحتفلين به أن يفعلوا
ذلك، ولعل الذين اقترحت عليهم ذلك أن يفعلوه.

الحرب الباردة . . وقودها العرب!

وأرغم العرب أنفسهم أن يكونوا وقود الحرب الباردة بين الإمبراطوريتين العظميين، ذلك حين أرادوا أن يحاربوا الولايات المتحدة بالاتحاد السوفياتي، أو أن يحاربوا الاتحاد السوفياتي بالولايات المتحدة، ولو أنهم نظروا إلى أن الحرب الباردة بين الإمبراطوريتين ليست على أساس من وحدة الأيديولوجية من ناحية الخلاف في التطبيق والتنفيذ . . . فالخلاف بين الإمبراطوريتين ليس إلا على المصالح ومناطق النفوذ، وهذا ما تمكن المصالحة بينهما عليه، كما هو رأي الفيلسوف البريطاني «راسل».

وحين أصبحوا وقود الحرب الباردة بين الإمبراطوريتين اشتعلت الحرب الباردة بين العرب جميعاً . . . بل إنها استحوطت بين حين وآخر - أعني الحرب الباردة - إلى حرب ساخنة . . . فبين المغرب والجزائر وموريتانيا وشعب الصحراء: حرب ساخنة!

وبين سوريا والعراق: حرب ساخنة، ولا شك وإن كانت غير مباشرة وإنما العون السوري لإيران استحوطت به الحرب الباردة إلى حرب ساخنة .
كل ذلك أعطى لإسرائيل أن تشن حرباً ساخنة على المقاومة ومنظمة التحرير والصادقين من اللبنانيين!

إن كل فرد اليوم ليس همه إلا أن يقول: (أنا ومن بعدي الطوفان) سيجد نفسه فرحاً بعض الوقت.. ترحاً كل الزمن، فالتاريخ لا يرحم لأن الأرض قد ينسى إنسانها من أساء، ولكن في جوفها وعلى سطحها ذاكرة قوية... إذا ما رضيت عن الخيرين، فإنها الأشد غضباً على المتخاذلين الذين بين يديهم فرصة النصر على إسرائيل فأضاعوها.

إن (الصمود والتصدي) هو ما فعله ياسر عرفات ورفاقه..

أما الصمود المتخاذل، والتصدي المتردد والتردي.. فإنه قد أوضح أن بعض الشعارات زخرف ينطفئ لمعانه حين يصبح هذا الشعار كذبة على التاريخ!! كل يوم نكتب: إسرائيل، إسرائيل، أمريكا، أمريكا، كأنما تفرغ عواطفنا وانفعالاتنا في الهواء، بينما واقعنا كعرب ينبغي أن لا نكتب إلا عن هذا الواقع العربي!

وكما قال حافظ إبراهيم:

أنا لا ألوم المستشار إذا تعلق أو تصدى فسبيله أن يستبد وشأننا أن نستعدا

إن الحرب الباردة بين العرب تبرز بروزاً واضحاً في المؤتمرات إلى درجة أن الفضيحة في السلوك السياسي أبعدت المؤتمرين عن الكياسة والحصافة، ولا أقول الحب.. فالحب بين الزعامات العربية مفقود، ولعلمهم يحسنون إلى أنفسهم بأن لا تكبر المصائب، فلا يعودون يأترون.. لأن الخلاف إذا تجسد، وأصبح بارزاً بروزه اليوم، لعله يأتي بما هو جديد، كما أتت به حرب إسرائيل ضد الفلسطينيين واللبنانيين.

إن هذه الحرب التي اجتاحت إسرائيل بها لبنان فيها الشر الكبير،

والضيم والإذلال.. ليس للذين يقتلون في ميدان الجهاد وإنما للذين يتقاتلون بالكلمات!

لكن كل ذلك سيعطي الشعوب العربي وعياً جديداً تعرف من الذي تلاعب بمصيرها: أمريكا، أم هم الذين لا يسألون عن المصير في سبيل «المصري»؟!!

أعني من تخاذل. بل كل من تخاذل.

إن الحرب الباردة أصبحت ساخنة.. أعطت للإمبراطوريتين ولليهود ما أرادوا، وأخذت من العرب كل ما أعطاه العرب لهم!

- الفصام

ونسيت في مقالي السابق عن «الفصام والخصام» بين العربي والعربي أن أذكر هذه الحكاية التي تجسد هذا الفصام، وهذا الخصام:

فبعد أن انتهى مؤتمر الأدباء في تونس ركبنا الطائرة: الوفد المصري بكامله، والجواهري العراقي، وكاتب هذه السطور والأستاذ عبد الله بن خميس، ووجهتنا مصر عبر ليبيا.

ونزلنا في مطار طرابلس، وذهبنا إلى (البوفيه) كلنا جميعاً انحننا جميعاً إلى جانب من الصالون، والوفد المصري في جانب آخر، وطلبنا بارداً لنشرب فلم نعط، لأنهم رفضوا أن يقبلوا الثمن دولارات!

وبعد أكثر من ربع ساعة دخل إلى الصالة ضابط ليبي... أشار بإصبعه يدعو الجالسين إلى الخروج معه، ولعل الإشارة كانت إلى الوفد المصري خاصة... قاموا فقمنا وراءهم، وخارج صالة (البوفيه) فتح باب صالون

محترم.. وقف الضابط الليبي على الباب يدعو الوفد المصري للدخول، وبكل البراءة حسبنا أننا معهم.. فما كاد يدخل آخر عضو مصري حتى أغلق الباب دوننا!

وإذا «أبو فرات» الجواهري، وأنا وابن خميس نرد كاسفين فقلت للجواهري، وخشيت أن يظهر غضبه ولا نعرف بعدها النتيجة.. قلت له: إنه تكريم على مستوى دولتي الاتحاد - أيام كان القذافي والسادات في مسلخ واحد - إنه على مستوى دولتي الاتحاد لا على مستوى الأمة الواحدة!

فقال الجواهري: لا.. إنها نكسة حضارية يطول عمرها إلى ألف عام! أفبعد هذا خصام وفصام أكثر من ذلك؟!

لنفترض أن الضابط الليبي أخطأ.. أما كان ينبغي لواحد من الوفد المصري أن يصحح هذا الخطأ.. يرشد الضابط الليبي؟!!

- نزار

نزار قباني: كتب الحب بصورة لم يتوار فيها عن الحقيقة لمطلب الحب: الأنثى.. الجمال، ولم يتورع عن السب.. فالشاعر عاطفة، إن أحببت اعتلت، وإن غضبت تعالت ولو بأسلوب المغالاة، ولكنه بعد قتل بلقيس كتب عن الحب والغضب والحزن والمأساة.. كأنه قد استحال إلى نقطة يبتدىء منه الفرق بين شاعر الجمال والحب، وبين شاعر المأساة والكرب!

نزار... يضع علامة تاريخية حين يكتب عن الغضب، ولا يكتب عن السب!

إنه يجرم الجميع من أجل بلقيس، ولكنني أدله أن يذهب مرة أخرى إلى «بابل». . . لعله يجد «عشروت» قد استوحت هاروت وماروت. . . يتعلم منها السحر الجديد، فإني أخشى عليه الآن وهو في القاهرة أن يعشق (هاتور)!

ولكن هناك الفرق الكبير بين عشق الساحرة، وعشق المسحورة!!

أوروبا والعرب

وليست هذه حملة دعائية ضد أوروبا كما أنها ليست تحقيقاً تاريخياً يحيط بكل العلاقات الأوروبية العربية استشرافاً أو استعماراً بكل أنواعه.

وإنما هي نفثة مصدر كعربي ينتمي إلى أمة ذات شعوب ليس من طبيعتها الحقد، فقد أرهقت نفسها بكثير من التسامح.

فلا أدري أهو فرض الروحانية عليها أم هو فرض «أنا وحدي ومن بعدي الطوفان» بينما الأوروبيون فرضوا على أنفسهم أن يمارسوا الحقد سواء كان هذا الحقد فرنسياً على ألماني أو إنجليزياً على فرنسي، ليكون هذا السواء حقداً جماعياً أوروبياً على الشرق كله وعلى العرب خاصة، وعلى الإسلام بصورة أخص.

فأوروبا لا تعرف الوفاء، «بريطانيا ليس لها أصدقاء وإنما لها مصالح»، فالكل في هذا سواء.

إن الوفاء كان يفرض على أوروبا أن تحترم بحيث لا تحقد على أمومة آسيا لها، فالآريون آسيويون من العنصر القوقازي، ذهبوا يجرفون الثلج ويخوضون معركة الذئاب ليعمروا أوروبا.

وجاءت ولادة آسيوية ثانية بحملة المغولية تحت قيادة «أتيلا» فتركت أنسلاً عمروا جزءاً من أوروبا، في المجر وفرنلندا وما إليها.

ولا أهرب من أن أجعل للحرب البونية تأثيراً كنعانياً فينيقياً على قبائل جرمن بالذات، فنهر «التيبر» طبرية، وأسبانيا أرض الخمر، وبريطانيا بر التنك بصمات كنعانية فينيقية حتى الصليب المعقوف ورثه هتلر عن الشرق عربياً وهندياً وحتى النسر شعاراً قبل أن يكون ألمانياً كان ثمودياً.

كل هذا طحنه الحقد الذي رسخه سبيل العيش يطلب من آسيا وأفريقيا الزبد والقمح حتى جاء دور النفط.

- فماذا صنع الحقد الأوروبي؟

فالحروب الصليبية أولاً واستغلال الاستعمار ثانياً واستغلال الاستقطاب ثالثاً، وكانت الوسيلة التي تحقق بها الاستحواذ الأوروبي على العرب هي في حربها ضد التجمع والتكتل والتضامن، فأطاحت بالرجل المريض... الدولة العثمانية.

وكان عطاء هذا الحقد الأوروبي من اشتعال القوميات.. الأرمن، الطورانية، القومية العربية، فهذه القوميات أسقطت جامعة الإسلام لتتحرك كل قومية ضد الأخرى.

فلو أن الدولة العثمانية بقيادة الاتحاديين لم تعلن الطورانية وكلفت نفسها أن ترضى بأن لا مركزية تشكل بها ولايات إسلامية متحدة لتأخر الاستعمار ولذاب التفريق.

لكن الطورانية «تألمنت» والقومية العربية «تكلنزت» و«تفرنست»، فأخذت كل ذلك صراعاً داخلياً في أوروبا أقام الحرب العالمية الأولى، ثم أقام للاستعمار مراكز في أغلب الشعوب العربية.

ولولا خوف فرنسا وبريطانيا من الاتحاد السوفياتي الذي نشأ والذي

فضح المعاهدة السرية بين فرنسا وبريطانيا «سايكس بيكو» لما انتصر مصطفى كمال، بل إن الإبقاء على مصطفى كمال وسيلة من وسائل التفريق بين الترك والعرب، فبدلاً أن يكون الحقد مشتعلاً في الوجدان العربي على المستعمرين اشتعل بين العرب والشعوب الإسلامية.

فالهند المسلمة تأخذ على العرب حربهم ضد الدولة العثمانية، والترك يغضون أبصارهم عن تأثير الطورانية ليحملوا العرب إسقاط الدولة العثمانية.

هذا الاستعراض لا يجعلني ناقماً على أوروبا فلا أجعلها مشجياً نعلق عليه أخطاءنا وتقاوسنا وتلمسنا النجاة إقليمياً أو شعوبياً بالصدقة مع كل من الإمبراطوريتين المستعمرتين.

إن الكلمة الصريحة ينبغي أن نواجه بها أنفسنا، لأن خروجنا عن جامعة الإسلام وتطويحنا بالتضامن العربي وتسخيرنا للمؤتمر الإسلامي على الصورة التي نشتهيها ونبتعد عنه بكل الصور التي تشتهي تفريقنا، فإن أوروبا أرادت بكلمة «فرق تسد» أن تعيش ناعمة.

أما نحن العرب أو المسلمين فإننا قد تباطأنا وتواكلنا فأكلنا.

كلنا على القصة التي تداعت عليها الأمم «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصة»، فقال الصحاب «أمن قلة يا رسول الله؟» فقال عليه الصلاة والسلام: «لا، بل غناء كغناء السيل، إنما يدرككم الوهن» قال: «حب الدنيا وكرهية الآخرة»، أو حب الحياة وكرهية الموت»، أو كما قال.

إن أوروبا يجب ألا تكون المشجب نعلق عليها أخطاءنا، لكن معرفة

الحقد وتأثيره فينا ينبغي أن يزرع فينا الحقد ليكون لنا التأثير فيهم، ولن يتم ذلك إلا على مستوى أن نكون الأمة الواحدة وإلا فسنسقط إقليمياً بعد إقليم.

وها هي إسرائيل قد احتلت لبنان بعصيان الإقليمية على الأممية، ولعلها قد حشدت جيوشاً على إقليم وإقليم لتقول «ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض».

إن تعجيز المؤتمر الإسلامي عن حل للحرب العراقية - الإيرانية ضربة تصفق لها أوروبا من شرق الأورال إلى شرق المحيط الأطلسي.

- صورة

كثيراً ما رأيت يوم كنا نترك الزقاق إلى الحفل «لنأكل رطباً وعنباً»، فلقد رأيت أكثر من مرة «الحنش»، يمشي على الأرض أو يتسلق النخلة، فتتهاوى عليه العصافير، تريد أن تقتله، وليس لها قاتلة، تهاجمه بكثرة أمام فمه، فيلقمها واحداً واحداً.

إلا عصفوراً من نوع آخر أسود اللون نسميه نحن أهل الحقول «المجبية»، تعرفه حين يقع على الأرض يهز ذيله، هذا العصفور الأسود، «المجبية» تهوى على الحنش فوق رأسه تنقره بمنقارها، ترتفع وتهبط، كلما هبطت نقرته، يتلوى لا يلحقها، حتى إذا أكثرت نقرها في رأسه يتهاوى هالكاً؛ لأنها فتحت رأسه فانساح مخه، فالعصافير الهوجاء يأكلها الحنش والعصفور الحكيم يقتل الحنش.

لقد كانت «المجبية» ممثلة في الفدائي الفلسطيني، وكانت العصافير الأخرى مثلاً للآخرين!

في تاريخنا العربي واحد اسمه «عقه» رأساً في قبيلة تغلب النصرانية. تحالف مع طليحة الأسدي حين ادعى النبوة فانهزم طليحة أمام أبي سليمان سيف الله خالد بن الوليد، الذي قال له بعض أصحابه يطلبون منه إلى «مسلمى وأجا» جبلي طيِّ يريدون أن يهرب أبو سليمان، فقال سيف الله: «إلى الله الملجأ». . فانتصر!

وهرب «عقه» يقود التغلبيين يوالي الفرس، يجهز جيشاً، يواجه خالداً في حربه حين بدأ فتح أطراف العراق، فاحتضنه الفيروزان قائد الفرس وأمدّه بقوة السلاح وجعله يواجه خالد في «ذات الخنافس».

وبرز «عقه» على رأس جيشه العربي النصراني حليف فارس، وبرز أبو سليمان على جيش «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وما صبر أبو سليمان فهز «الأشقر» حصانه وسل سيفه يقفز البطل على «عقه» يختطفه من فوق سرج حصانه، يرضخه على الأرض رضخاً، يمزق أضلاعه، فإذا جيش «عقه» يولي هارباً.

ولم يلبث خالد فقد أسرع يلاحق الفلول، فإذا الفرس على طعام إفطارهم، فجلدهم أبو سليمان جلدأً وتناول جيش خالد من طعام الفرس، فقال خالد:

«لو لم نحاربهم على الدين، على كلمة الإسلام، لحاربناهم على رغيد العيش»، يجيب بها صحابي قال: «هذا رغيد العيش».

إن الفرس من كبار المرابزة لم يرضوا أن يتقدم «عقه» إلى خالد، ولكن الفيروزان أميرهم قال:

«إنه تابع لنا، فإن انتصر كان نصره لنا، وإن انهزم فقد يكون أنهك
خالدًا» ولكن خطفة البطل لهذا العاق أذاقته طعام العقوق.. . القتل.

رضي الله عن خالد كم أعطى الكلمة المسلمة نصرها!

وأقبلت البشرية على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فخرج يشكر نعمة
النصر، فقال لأهل المسجد يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فأجلاه
عن خراذيله، أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد؟

السلحفاة الحيزبون!

وحفظنا كلمة لأبي العلاء المعري حين وصفوا له عصفوراً يتمرق به، فأمسك المعري بالعصفور لا يراه بالباصرة، فكل البصر لدى المعري أنه كان بالبصيرة يرى وبالوجدان ينظر وبالعقل يحاكم ضعفاً يستكين به إنسانها وإنما هي مبعث قوة تعطي إنسانها أن يشقى بها وأن يسعد بها فشقاء المفكر سعادة الآخرين.

وأمسك المعري بالعصفور لا يروز ثقله، فجمال العصفور في يد المعري ليس له ثقل على اليد وإنما ثقله في الوجدان «وهو لم ير جماله وإنما مشاعره كانت مع الجمال الموصوف له». . . أمسك بالعصفور فقال:

«واستضعفوك فوصفوك، فهلا وصفوا شبل الأسد»؟!!

كلمة يطغى بها المعري على سلوك الإنسان يقهر الضعيف ويتقهقر أمام القوي «فالقوة في الإنسان انقهر بها لا تلبث أن تكون القاهرة له يوم يسترشد بكلمة مثل كلمة المعري».

والإنسان لا يعترف بالضعف مهما كان مسخراً للضعف، يصيد العصافير، يأكلها «يصيد الغزال، كأنما هو يصيد العصافير والغزلان لا يحفل بالجمال، فكل احتفاله أن يتظاهر بالقوة على المستضعفين» وهكذا في الأفراد كما في الجماعات، وفي السياسة وفي الحرب، كل ذلك إعلان

للقوة وكل ذلك سلطان على الضعف..

وذكرتني كلمة المعري بالسلحفاة.. إنها بكل القوة تنتصب أمام الإنسان واقفة تكايده، تسخر منه «هي الضعيفة الأقوى، قد يصيدها الإنسان ولكنها لا تزال واقفة تصيد مشاعره.. تتحدها، لا تكلفه طعامها، وإن كلف باقتنائها بعض الذين يسقطون مكايدها لهم باقتنائها تحفة حيوانية».

إن السلحفاة تسخر من الإنسان بطول عمرها، تعيش أكثر من ستمائة عام، يموت مقتنيها ويرثها بعده آخرون جيلاً بعد جيل لتبقى هي الوراثة لكلفهم بها أو للصبر على مكايدها لهم، إنهم يهلكون أمامها، فقد يبلغ الوارثون من هؤلاء الهالكين عشرة أجيال: والجيل هنا أشد به حين أجعله ستين عاماً أو سبعين عاماً.. عشرة أجداد وما أكثر الأحفاد يموتون هلكى أمام السلحفاة.. وهي حية تسعى!

حين رأيتهما تعيش سبعمائة عام فتشت عن تأثيرها في الحياة لأطرد مكايدها لي، فوجدتني أجد الهالكين الذين عاشوا معها خيراً منها.. إنها تعمر طويلاً فلا تعمر بها الحياة ولكن الهالكين من بني الإنسان مهما قصر بعضهم أو تقاصرت به الوسائل نجدهم وإن لم يعمرُوا حياة طويلة فإنهم يعمرُون في الحياة حياة جديدة بكل وسائل العمران.

إن طول العمر في السلحفاة هباء ينبغي أن لا نحسدها على ذلك، بل إننا لنغتبط بأنها المثل نعرف فيه عدم النفع إلا قليلاً ممّا أعطاه الله، فليس في مملكة الحيوان حيوان غير نافع.. أما الإنسان فكل النفع فيه كما كل المضرة منه، إن اعتدى نفع وإن ضل أضر! وإن عدل ساد وإن ظلم باد!

فالهلاك للإنسان لا يحسب بطول العمر وقصره، وإنما الحساب هو في عطائه وأثره، فالخالدون في التاريخ مهما طالت أعمارهم فإنها قصيرة

بالنسبة للسلحفاة، ولكنها طويلة بآثارهم وأفكارهم ومؤلفاتهم، وبناء دول أو محطمي دول «فالذكر للإنسان عمر ثان» وليس للسلحفاة عمر ثان... .

- حوار مع السلحفاة:

وتكلمت السلحفاة فقالت:

- أنا الكبت لغرور الإنسان، أنا الوحش بدون استيحاش وبدون افتراس، لكنني أفترس الإنسان حين علمته كيف يتقي بالدرقة السيف وبالدرع السهام والرماح «تساقط على الأحجار، يريد حيوان مفترس أن يبتلعني فما أقسى الدرقة التي اتقى بها العدوان» إنها غصة في حلق المفترس وزينة في صالون الإنسان، وما تركني الإنسان هملاً أعيش بل أخذ يتعرف علي، يتخذ من هذه المعرفة وسيلة الهلاك لي.. يقتلني ليعلب شحمي دواء للروماتيزم، كان ذلك في القديم.. .

قلت لها:

- وفي الجديد ماذا فعلوا؟!!

قالت:

- هؤلاء صناع الجديد سرقوا من القديم أحسنه، فصنعوه، يُعَلَّبُ مزخرفاً في علب تباع في الصيدليات، إنهم سرقوا القديم فأبدلوا أسماءه لتخفي السرقة، كثير منهم ليست لديهم أمانة العلم، هضموا الشرق حين استباحوه بالاستعمار والدمار.

عيب كل العيب على معاهد العلم والعلماء أن لا يقتبسوا وإنما هم سراق، لكن بعض المنصفين منهم قد أعلنوا السرقة والمواد المسروقة والنظريات المختلصة.

قلت :

- طبيعة الشرق فيك يا سلحفاتي جعلت منك أن تري في هؤلاء منصفين، مع أن الإنصاف منهم لم يكن إلا محاربة لادعاء فريق منهم بدافع الخصومة لبعضهم، يتعاملون مع الإنصاف حباً في الإجحاف ببعض قومهم، فالعنصرية لديهم تحكم سلوكهم، وهي التي أباحت لهم أن يسرقوا من الشرق أحسنه .

قالت السلحفاة :

- يزعم بعض الشرقيين أن من مغبة الخلاف بين المسلمين، إمبراطوريات ودويلات، انحسار الإسلام عن أوروبا.

قلت :

- لعل ذلك من حسن حظ المسلمين، لو أن أوروبا الجرمانية واللاتينية والسكسونية انتشر بينهم الإسلام لم تنهزم به العنصرية، ولم تعتدل به أخلاقهم، إنهم وقد حاربوا الشرق بالصليب والاستعمار والاستغلال والاستقطاب فإنهم سيتخذون من اعتناقهم الإسلام قوة قاهرة يستديم بها استعمارهم واستغلالهم واستقطابهم، فحربهم على الإسلام مصدر القوة لهذا الإسلام؛ لأن الإسلام يقوى بالحرب عليه، «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الكافر أو بالرجل الفاجر» لأن طغيان الكفر وشعار الفجور يحمل المسلمين على الوحدة يجابهون الحرب بالحرب .

قالت السلحفاة :

- إنك لا زلت إنساناً يفكر محلياً، أما أنا فحيوان أفكر عالمياً .

قلت :

إن العالمية للإسلام ستكون بعد، يوم يلتف رجال حول المسيح يملأ
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وقالت السلحفاة:

- أنت تؤمن بنزول المسيح؟!!

قلت:

- نعم... وإن من ينكره فاسق لا يحترم السنة وينحرف عن القرآن.

قالت السلحفاة:

- سبحان الله!!!

قلت:

- لقد أنعم الله عليك بأن تكوني من المسيحيين «وإن من شيء إلا
يسبح بحمده».

* * *

- شارون

وأذاعت إسرائيل تقرير لجنة التحقيق تطلب من أرييل شارون أن
يستقيل، فإن لم يستقل يقال، كما أنها شفعت لمناحيم بيجين تحمله
مسؤولية أدبية كما حملت بعض القادة العسكريين المسؤولية عن مذابح صبرا
وشاتيلا.

إن هذه اللجنة لم تكن لجنة تحقيق بقدر ما هي لجنة تلفيق، شكلها
مناحيم بيجن نفسه، وأقر تشكيلها مجلس الوزراء الإسرائيلي، وبارك ذلك
«الكنيسيت» فلماذا كان ذلك؟!!

لقد كان حين انطلقت السنة في أوروبا والولايات المتحدة تصف اليهود بالنازية؛ لأن القتل بالجملة هكذا مارسه هتلر مع اليهود، فإذا سلاح إسرائيل واليهود والصهيونية يكاد ينثلم فعلى الأقل يستفيق الشعب الألماني من عقدة الذنب وعلى الأكثر تعرف شعوب أوروبا والشعب الأمريكي مدى الظلم الذي شاركوا فيه بكل العون لإسرائيل، بكل الاستكانة لليهود، يحمل الطاعة للصهيونية، فإذا مناحيم بيجين يريد أن يمتص هذه النقمة فكون لجنة التحقيق، يقتل بها الوقت وإن لم يمحصها الزمن.

فلا شارون سيستقيل ولا مناحيم بيجين يعرف وخزة الضمير، لكن... هل شارون وحده أو مناحيم بيجين والقادة الآخرون هم القتلة أم أن هناك من شاركهم؟ بل ومن باشر القتل؟! سواء بهذا المثلث: السلاح ومن أعطاه والكتائب المنشقون الذين باشروا بالقتل، والأوروبيون حتى أن الجيوش التي أوجدوها قوة متعددة الجنسيات لحماية لبنان قد رحلوا مؤقتاً لتتم المجزرة... فوجدوا حجة أن يعيدوها، لا أريد أن أكون كالنعامة، فالذين اقترفوا الجريمة كثيرون أعطوا الفرصة لمناحيم بيجين أن يكون سفاح القرن العشرين، لا يعبأ بجائزة السلام ولا يعبأ بالدماء ولا يكثر بأي شيء... .

إن مناحيم بيجين هو المجرم الأول، أما شارون فكبش الفداء... .
المجرمون كثيرون، والمستكينون للجريمة يرتكبون الجريمة الأكبر تتبعها جرائم أكثر.

- صورة

قال لي: إنك تظلم الشعب الأمريكي.

قلت: ذلك عزيز لدي، ولكن الشعب الأمريكي بدأ يتآكل في ذاته،

من استحالة الطموح إلى جموح، بدكتاتورية الكونجرس يفرض سلطانه على الشعب، بينما سلطان الصهيونية يفرض عليه.

قال: والاتحاد السوفياتي؟

قلت: إن الاتحاد السوفياتي قوة عسكرية طغت على القوة المذهبية، فبدأت شعوب الاتحاد السوفياتي تتبلور تندمل جراحها بالطموح، فالمنجل ما زال عاجزاً عن اجتناب الجذور، فالجذور هي التي تدعو الاتحاد السوفياتي ليكون إمبراطورية عالمية لا تبالي بأي دم يسفك. فالأوروبيون ومن إليهم من شرق الأورال إلى غرب جبال روكي لا يحجزهم عن سفك الدماء بأسلوب أو بآخر حاجز حتى المحيط الأطلسي أصبح بحيرة سيتدفق حولها الدم إن لم يستفق الشعبان الأمريكي والسوفياتي ليتبلورا في حقيقة الإنسان لا في أكاذيب المذهب وفسوق الطموح.

المناورات في الخليج لجيش واحد

ومرحباً بالخطر يقوى به الحذر، ومرحباً بطغيان الأعداء يجمع الوحدة بين الإخوة والأصدقاء، فكل هذا أعطى العرب في جزيرتهم وخليجهم أن يصنعوا دعائم الوحدة بينهم، فأول الغيث قطر ثم ينهمر، فلئن تم مجلس التعاون بهذه التسمية الرقيقة فإنه يحتم الوقاية من الخطر والتوقي بالحذر سيدعو العرب في جزيرتهم وخليجهم لأن يكون مجلس التعاون قيادة موحدة، وردع الطغيان يدعو هؤلاء أن يتوحدوا في ظل العقيدة الواحدة.

فلندع الشكليات ونرتفع فوق المشكلات، فالمشكلة أمام الأعداء وهم كثر «إما أن نكون أو لا نكون». فالعربي على أي شبر من أرض العرب مسئول عن أمانة التراث والميراث والمصير.

إن مسئولية الزعامة أن تكون للحفاظ على الشعوب، فالخطر حين ينتصب له الزعيم ترتفع به حصافة الزعيم. أما إن كان غير ذلك فالله أسأل ونحن نرى هذه المناورة أن نبتعد عن كلمة «الأنا» التي لقينا منها الكثير من العنى لنعتنق كلمة الـ «نحن».

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإن افترقن تكسرت أحادا

فالدفاع عن الخليج أول خطوة في الدفاع عنه رفض العدوان عليه، فإذا ما رفضنا العدوان اشتد عضلنا بالتصدي، وارتفعت قوتنا بالتحدي لنجد النصير معينا على دحر التعدي.

قد يقول مغرض.. ليس لديكم القوة أن تردوا عدواناً، فلنقل له: أول القوة الرفض، ودعامة القوة الاستعداد، وسند القوة أن نجد النصير للحق. أما إذا لم نرفض بوعي فذلك الضعف، وذلك أول سلاح ينتصر به العدو. إن دعامة الرفض قبل كل شيء هي أن نكون بالتعاون «الواحد للجميع والجميع للواحد».

إن جزيرة العرب من خليجها إلى بحرهما لا ينبغي أن نجعل بينها وبين فكي الكماشة، كماشة يطبق بها من الشرق عدو لن ينالنا إلا بعون من الذين يستقطبهم. فالاستعمار كان قبلاً عجز أن يستقطب، ولكن الاستقطاب أصبح من السهل عليه أن يستعمر، ولن نردع الاستقطاب والاستعمار إلا إذا تعلمنا صناعة الموت «أحرص على الموت تكتب لك الحياة».

أو ليس من الفرحة تشتد بها عضلات الشعوب حين نتفوق بهذه المناورة على كل عوامل الوحشة ليكون ذلك اليوم يوم البسمات... يوم التهئات، فأمام هذا التفاؤل أبتسم وأنا أملّي هذه الكلمة ظهر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة، لعلي أصبحو على فجر يوم التمام لهذه المناورة.

فاللهم اجمع الكلمة لنصرة دينك وأرض إسلامك... والله ولي التوفيق.

- الخاصة والعامة

حين استقرأت مقال الدكتور عاطف العراقي نشره في «الأهرام» يفند بعض المزاعم التي طرحها الدكتور لويس عوض عن السيد جمال الدين الأفغاني، وجدت أنه لم يحاول أسلوب السباب والتجريح لفكر لويس عوض، فقد سار الهويينا بوقار العلماء كأنما هو أراد أن يعلم لويس عوض الأسلوب النظيف في الحوار. وفي هذا الفارق بين من كان الحق نصيره لا يأتي إلا هادئاً معتزاً وبين من كان ينصر الباطل فلا يجد سبيلاً لنصرة الباطل إلا بالتجريح، كأنما الباطل لا ينتصر إلا برديف من الباطل.

إن الدكتور العراقي قد احتج بأن التقسيم خاصة وعامة، وأن التفريق بين النبي والفيلسوف ليس قاصراً على مذهب الشيعة، بل إنه من مذهب السنة، واستدل بمقولات ابن رشد.

ولئن كنت مع الدكتور العراقي في هذا، فإنني أذكره بين التقسيم خاصة وعامة ورفع درجة النبي على درجة الفيلسوف ليس قاصراً على مذهب الشيعة كما قال، وليس مقتصرراً على مقولات ابن رشد، فإن ذلك من تعاليم الإسلام كلها، فالشيعة لم تبتدع في هذا، والسنة قد اتبعت الحق، فإن الخاصة قد جاءت من فضل الله على بعض من يختص من عباده ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣) . . ﴿فَضَّلَكُمُ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . . . فالتفاضل بين العباد قد جاءت به النصوص في تعاليم الإسلام. ومبدأ الشورى ليس هو عامّاً في جميع المسلمين وإنما هو في عليّة خاصة، ثم إن أهل الحل والعقد هم خاصة. أما تفضيل النبي على الفيلسوف فإن هذه المقارنة فيها جفوة للأدب واقتحام الهرطقة، فالنبي ليس فكراً مجتهداً ولا رغبات إنسان وإنما هو الوحي من الله، رسولاً يبلغ ما أمر به أو نبياً ياتمر

بما أمر ولا يفرض عليه التبليغ. فالإسلام واضح في هذه المفاضلة وبهذه الخصوصية المكرمة للنبي.

من هنا لم يكن جمال الدين إلا على المحجة البيضاء. غير أن السؤال أذكر به الدكتور العراقي وهو... لماذا تطرق لويس عوض إلى ذلك يعيب جمال الدين؟

فالإجابة عندي تقول... إن الدكتور لويس عوض وهو كمنقف لا بد أن يعرف هذا التفاضل في الإسلام، ولكن عقيدته الماركسية الشيوعية قد دار حولها يعيب جمال الدين، لأن التفاضل في الشيوعية كنظرية وحتى وجود النبي في الشيوعية كفكر ملحد لا تقره الشيوعية، بل هي الحرب وعلى النبي من خلال حربها على الدين وعلى وجود الإله، فنزعة التشيع في لويس عوض هي التي حملته أن يتهم الشيعة بذلك لعله يجد الطريق لمن ينخدعون بقوله، فيتكروا للتفاضل وللنبي.

إن الشيوعي لويس عوض قد خدرته النظرية، مع إنه لو نظر إلى واقع التطبيق للشيوعية الآن لوجدها تعتنق التفاضل، وتجعل من كارل ماركس ولينين وترايسكي وماوتسي تونج على صورة أكبر من الفيلسوف وإن لم تصفهم بالنبوة.

إن هؤلاء طبقة خاصة في الشيوعية، وإن مجلس السوفيت الأعلى طبقة خاصة في الشيوعية، فالنظرية المخدر لا زالت تبيض وتفرخ في ذهن لويس عوض وأمثاله، مع أن التطبيق العملي قد برز فيه التفاضل وبرزت فيه الخاصة وانتهت عملية الوحدة كغاية واحدة في الشيوعية الدولة في الاتحاد السوفياتي والصين ومن إليهما.

إن الحيوان كقنية وكداية فيه الخاص والعام، فيه المتميز وغير المتميز،

فهل التدجين للسلالات المتميزة إلا الاختبار للخاص والإبعاد للسلالات العامة؟

فهل إذا قدمنا طبقاً للويس عوض من شاة رآها هزيلة، وقدمنا إليه طبقاً من شاة سمنت، فمن أي الطبقين يأكل؟!

ضلالة في الفكر دفعته إليها نزعة مضللة، أو هي طفولة فكرية كان الطفل فيها أبا الرجل لويس عوض، فعقد الطفولة دائمة التأثير أكثر من ثقافة نالها الرجل .

أما إن كان يعني بالخاصة وجود بعض من يوصفون باللدنية والتنبؤات فذلك لا أحسب أن جمال الدين يعتقدده، وإنما ذلك عمل من يتخذون الاتباع ويحترفون السيادة عليهم بأسلوب الكهنوت.

* * *

- صورة

والإنسان حيوان لا يجتر طعامه، ولكنه بأحلام اليقظة يجتر أحلامه، فلا أدري كيف سقطت على هذه الصورة في لمحة خاطفة وجدتني أراها تضحك كلها، وما كنت في أيامي الأولى إلا واجداً الضحك ابتسامة تنفرج بها الشفتان، ولكنني في هذا الحلم جسده واقع، رأيتها كلها تضحك، فإذا بي أرى العينين تبسمان، فهل العيون تبسم؟!

نعم.. إن بريق الشعور بالجمال والشعور بالحب والأمل بالفرحة كل ذلك يعطي بريق العين قوة الابتسامة.

لم أر عيناً قبل عينيها يشع عليها نور البسمة، كأنما كل ذلك أصبح

الجديد في عاطفتي، أشعل الحريق في وجداني، أيقظ في الغفلة يوم كنت لا أعرف البسمة في العينين.

وأمسكت وأنا أجتز أحلامي أسأل بائع الرطب.. ما هذا؟!!

«إنه تمران» فقلت «لا... أقول تمر» فقالت: «أنا لست من الفصحاء». قلت «كل ما فيك فصاحة.. تتكلم بالصمت ليكون النطق خاتمة أحلام اليقظة التي أجتزها، تجرني إلى بعيد، فقد بعد علي أن أكون القريب».

فما أحلى أحلام اليقظة حين يستطيع المحترق أن يعبر بها عن الواقع!

وعاش الملك

مات الملك... عاش الملك، شعار له حكم القانون وسلطان التنفيذ...
كأنه المبدأ في الشعوب الديمقراطية التي احتفظت بالعرش سلطناً عليها...
وإذا ما قالوها اعتنقوها فنذوها؛ لأن القصد من ذلك ليس هو الحفاظ على
العرش فحسب، وإنما هو الحرص على بقائها واستمرارها... لأن بقاء
الدولة واستمرارها يعني الاستقرار للشعب، يستمر في مسيرته نحو أهدافه
وغاياته.

إن الشعوب التي حافظت على النظام الملكي لو قارناها بغيرها من تلك
الشعوب التي اختارت نظاماً جمهورياً على صور شتى لوجدنا أنها تعيش
الأمن من خوف التغيير... وتعيش التطور... تصنع لحياتها بقاءها...
الطمأنينة، بل وتصنع لأحيائها تنظيم المطاعم للرجال من خلال التنافس بين
الأحزاب أو في وسط العراك بين المذاهب؛ لأن سلطان الدولة حين بقي
ثابتاً «مات الملك، عاش الملك» قد منع أن تكون فتنة يحدثها من يتزعم
بأنه مبعوث العناية الإلهية للإصلاح... فالوضع في العالم العربي أستطيع به
إذا ما قارنت بين النظم الثابتة وبين النظم التي تتغير حيناً بعد حين كلما قفز
ثائر غير وبدل فإذا هو لا يصنع شيئاً لشعبه إلا فيما ندر، وإنما يصنع كل
الشيء للكلمة «أنا» أما الكلمة «نحن» فوضع آخر.

إن ثبات النظام عرشاً أو نظاماً جمهورياً في الشعوب الديمقراطية التي

جربت نزوات الأباطرة وامتنعت على مفاجآت العسكر قد أعطى لهذه الشعوب أن يستقر أمنها وأن ترعى مصالحها.

فهناك كلمة للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة تغمده الله برحمته . . قالها وقد تعرض لأن يفتن أو ليقود فتنة على أبي جعفر المنصور قال «فوضى ساعة شر من استبداد سنوات، أنا لن أخوض فتنة» فهذا الإمام الذي حسبه محدثاً وفقياً فقط قد جاء بأبرع كلمة يقولها زعيم ينكر ذاته لأنه يعترف بكل ذات من ذوات الشعب، لقد أنكر الشر من الفتنة وقد تنكر للشر من الاستبداد . . . فبين سمعنا وأبصارنا اليوم الوضع الذي يجري في إيران . . . ففيه التفسير الواضح لكلمة مالك بن أنس .

فحين توفى الله الملك خالد لم تكن هناك إلا رجفية الحزن في أفئدة الشعب، شعبنا في المملكة العربية السعودية . . . أما الإرجاف فلم يخطر على بال . . . وأما انتظار المفاجآت فلم يكن هناك، لأن الثقة في ثبات النظام الملكي لدينا والحرص على استمرار الدولة قد وضع الحد لكل ما يرجف ولأي ظن من سوء، فإذا النبأ يعلن «مات الملك عاش الملك، مات خالد . . . بويع فهد» .

في الدقيقة الأولى أعلن البيان استمرار الدولة وقوة النظام . . . فإذا الشعب وقد حزن قد لبسته الغبطة، لا يعبر عنها مستكناً في بيته أو في متجره وإنما كان التعبير عن الغبطة بهذه المشاعر الفياضة يزحف الرجال كل الرجال إلى الرياض، يقدمون التعازي ويعانقون البيعة . . . كأنما كل هذا الكيان الكبير أراد كل رجل فيه أن يزحف إلى الرياض، فإذا هو استفتاء إجماعي . . . فالعاصمة الرياض والعاصمة مكة والعاصمة الأولى المدينة وعواصم المناطق تستقبل أهلها . . . أبناءها . . . آباءها . . . يصافحون باليد

اليمنى أميرهم، كأنما كل يد صافحت يد أمير أرسلت برهان الطاعة ويقين السمع وعزيمة الجهاد... كلهم بايع الملك فهد... كلهم بايع ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

إن هذه البيعة التي تمت بأنظف المشاعر وأشرفها وأصدق الولاء أعطت لوجدان الملك وولي العهد حبها لأن الشعب على يقين من أن عطاءه للولاء والإخلاص والحب إنما هو تقييم لقيمة هذا العطاء من الملك وولي عهده.

لقد سمعت كلمات التقدير لهذا الموقف من الشعب حتى قالوا إن كل مشروع عمراني هو من عطاء الشعب لنفسه بما أفاء الله عليه من الخير... ويعني ذلك أن الملك وولي العهد والحكومة والشعب كلهم شعب واحد... كلهم أسرة واحدة، فأیما عطاء كان ويكون من شعب واحد... كلهم أسرة واحدة. فأیما عطاء كان ويكون من الدولة كيائها مؤلف من العرض والحكومة والمؤسسات والشعب والأرض فلم أقل الحكومة وإنما قلت الدولة.

إن استمرار الدولة هدف قد تحقق بالولاء للعرش من خلال الولاء للدولة كلها، ولعلي لا أختتم هذا المقال إلا واضعاً في كل أذن من آذان الشعب، بل في كل فؤاد كلمة الإمام ناصر السنة أحمد بن حنبل، فقد قال وهو في كرب عظيم من جور السلطان عليه «لو أن لي كلمة مدخرة مستجابة لصرفتها للسلطان» لأن أحمد بن حنبل ما شغله حب ذاته بل شغله حب أمته يوم كان الإسلام أمة واحدة تحت سلطان واحد... وكأنما مالك بن أنس وأحمد بن حنبل لم يفترق بهما طريق وإن عبر كل منهما عن الطريق الواحد بأسلوب إن اختلف في ألفاظه فقد اتحد في معانيه.. وعاش الملك.

ولا بد من تذكير الشعب ليعرف أن هذه المشاعر ما جاءت إلا من الوعي العميق الذي يدل على أنه يعرف تاريخه... فهذا البلد بلدكم الكيان الكبير.. المملكة العربية السعودية عاشت بعد عهد النبوة وسنين الخلافة، ومن الدقيقة الأولى التي قتل فيها عثمان ذو النورين رضي الله عنه... في الدقيقة التالية بعدها التي خرج الإمام علي فيها من المدينة المنورة لم يذق هذا البلد الطمأنينة، فقد عاش في الأمن المريب والخوف المستديم، فالأباطرة من أبنائه عافوه فعقوه وأصحاب القيم من أبنائه خاضوا الفتنة فكانت هي الفوضى التي عناها أباؤه عافوه فعقوه وأصحاب القيم من أبنائه خاضوا الفتنة فكانت هي الفوضى التي عناها مالك بن أنس... زمن طويل نحو ألف وثلاثمائة عام لم يأمن بلدكم هذا لحظة ولكنكم في هذا الكيان الكبير الآن قد رد لكم البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الإمام السلطان الملك الاعتبار وصان أباؤه هذا الاعتبار.. اذكروا ذلك جهراً، فاستمرار الدولة والولاء للعرش ينبغي أن يكون إثباتاً للوعي وثباتاً على قيم هي لكم وهي بكم، فأنتم المسلمون على الذروة والعرب على السنام، لا تبخلوا بالعطاء.. فقد تعودنا أن بلدكم هذا قد أعطى وأعطى... ولكنه المأخوذ والمجحد فليكن الأخذ رحمة منا وتوثيقاً لوحدة الأمة... وليكن الجحود عارضاً يمر... لا يفرض علينا أن نبخل.

رأي المراقب

صرح دين فيشر المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية مؤخراً بأن وزارته أعدت مذكرة سترسلها إلى الكونجرس الأمريكي توضح انتهاك إسرائيل لقانون مبيعات السلاح الأمريكية لعام ١٩٥٢م خلال غزوها للبنان... ذلك القانون الذي يحظر استخدام مبيعات السلاح الأمريكي إلا للدفاع عن النفس..

حول جدية هذا التصريح ودلالاته وسوابق العدوان الإسرائيلي ضد الأمة العربية أكتب اليوم «رأي المراقب» فأقول:-

لعل الولايات المتحدة الأمريكية الآن، تعيش أزمة العلاقات، بينها وبين حلفائها وأصدقائها، وتلك فرصة قد سنحت للكاتب، أن يجري حواراً مع المستر «دين فيشر» اللسان الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، وكل تصريح يدلي به، لم يكن ارتجالاً، ولا يصدر عن انفعال مؤقت، إنما هو إرسال الكلمة، التي قتلت درساً، ويراد منها الإيضاح لسياسة تلك الوزارة.

ومن معائب السياسة في الولايات المتحدة وفي غيرها، أنها سياسة وقت، أما التخطيط لسياسة الزمن، فذلك شيء لا يباح به.

إن «دين فيشر» صرح بالأمس القريب، أن وزارة الخارجية الأمريكية، قد أعدت بياناً بعثت به إلى الكونجرس، بينها وبين الولايات المتحدة، التي

تعهدت ألا تستعمل السلاح، الممنوح لها من الولايات المتحدة، للهجوم والعدوان، فلقد أعطي لها سلاحاً للدفاع. أفلا يجد العربي نفسه ملزماً لإجراء هذا الحوار، بينه وبين «دين فيشر» وهو في الوقت نفسه، حوار بين العرب وبين الولايات المتحدة؟ وعلى أساس من هذا التوضيح بعد.

١ - إذا كانت هناك معاهدة، من عام ١٩٥٢م، فإن مخالفة إسرائيل لها، لم تكن حديثة العهد الآن، وفي لبنان بالذات «مشاركة إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر، وعدوانها المباغت في ٥ يونيو ١٩٦٧م وغاراتها المتكررة على لبنان «الجنوب» وعلى منظمة التحرير، وضربها المفاعل الذري في بغداد، كل ذلك قد وقع ولم تتحرك وزارة الخارجية الأمريكية للاعتراض، ولم يتحرك الكونجرس للسؤال، بل إن المدد الأمريكي بالسلاح المتطور، المعد للهجوم وليس للدفاع، استمر بصورة مكثفة، يمنح لإسرائيل، بحجة التوازن بين ما تملك من سلاح، وبين ما يملك العرب جميعاً».

٢ - لو كان في نية الولايات المتحدة، أن تحترم معاهدة ١٩٥٢م لمنعت المدد بالسلاح، بعد تدمير المفاعل الذري في بغداد، مع أن الطائرات والقنابل والتخطيط، لتدمير هذا المفاعل، ما كان إلا أمريكياً، إن الولايات المتحدة، لا إسرائيل، هي التي خالفت معاهدة سنة ١٩٥٢م.

٣ - والقنابل العنقودية، ذات الشظايا المهلكة، وقد أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل، هل كانت هي للدفاع، أم هي خاصة لا تستعمل إلا في الهجوم، لعل وزارة الخارجية لا تعلم، فكان العطاء من وزارة الدفاع، فترسانة «البنتاغون» مفتوحة على مصراعيها لإسرائيل، والظن بأن وزارة الخارجية لا تعلم، قد لا أفترضه بأسلوب الجدل، ومع الحوار، وإنما

إطلاق الحرية للمؤسسات وقد أوجد حرية الفوضى، وعائق فوضى الحرية.
٤ - إن أغلب الظن، ولست أحتمل الإثم بهذا الظن، أن تصريح «فيشر» ما هو إلا جرعة مخدرة، يهدأ بها الانفعال العربي، فالغضب، والانفعال، وقت قصير ولا زال الزمن، في يد الولايات المتحدة، ترسل المخدر، تلو المخدر.

٥ - وبلا مغالطة، ولا تجنّ، فإن الولايات المتحدة، قد ألزمت نفسها بتصريح «دين فيشر» بأنها تعالج أزمة العلاقات، التي إن لم ينفع العلاج لها، بموقف حازم من الولايات المتحدة، يستديم بها موقف الصديق العربي، مع الصداقة، ويستقيم الوضع للحفاظ على هيئة الولايات المتحدة، وهي (أعني الولايات المتحدة) في موقف، ما أكثر ما يكسب الاتحاد السوفياتي منه، وما أكثر الخسارة للولايات المتحدة، ولن يستقيم الكسب للولايات المتحدة، إلا إذا سلك الرئيس «ريجان» مسلك الرئيس «أيزنهاور» يضع سمعة الولايات المتحدة ومصالحها، وقيمتها، ومستقبل علاقاتها مع العرب الأصدقاء، ويصون مصالحها، في موضع الاعتدال، تقول لإسرائيل، ولليهود في داخل الولايات المتحدة: إن الولايات المتحدة، قبل الحليف والصديق، ومع كل حليف، وكل صديق، تردع عنه طغيان حليف أو صديق، فإن إسرائيل الآن قد وضعت الولايات المتحدة، في موضع الاعتذار، ولو بتصريح «دين فيشر» وإنه لهوان على إمبراطورية كبرى أن تعتذر للحليف والصديق، من سخرية حليف وصديق لها، يكاد ينسف علاقات الصداقة، نسفاً.

الشعر لا ينظم بقانون!

وسمعت محاضراً أستاذاً جليلاً يحدد الصورة الشعرية تحديداً يجعل الشاعر خاضعاً لقانون، سمعت إليه فخرجت ولم أصطبغ بأي بصمة أراد أن يصبغها علينا نحن السامعين ثم إني شافهته بيسمة، أقول له:

الشعر كالحب، كالبغضاء، كأبي عاطفة، كل منها هو قانون نفسه. أرسلت علينا أحكام الآمدي والطببائي، ولم ترسل بنا بشيء من الشعر يوضح التقنين الذي سلطوا أحكامه على الشعر، فالجمال الصورة في الشعر لا بد أن يكون له أمثلة ترينا صورة الجمال ولا أستظرف قولنا «الصورة الجمالية»، فالصورة الجمال نجدتها في الأمثلة التي أوردها ابن رشيقي، وقد تجنبته، لأنه لا يساعد على التقنين، فكل الشعراء لم يخضعهم التقنين ولا كان بينهم القانون، قانونهم ما تجيش به العاطفة، ما تستسيغه الأذن من الجرس، حتى استمروا حين استمروا تقييد الجرس والرنين بتلك البحور التي لا يعرفونها قانوناً، وإنما هي تعارفت عليهم سماعاً بالأذن واستكناهاً بالمشاعر وإعراباً عن المشاعر بهذا الرنين الذي أسعفتهم به لغتهم «الشاعرة» فلست أعرف إلا هذه اللغات الثلاث ذات الجرس والرنين... اللغة العربية أولاً، والفارسية ثانياً، والفرنسية ثالثاً. تتمتع الأذن بما فيها من الجرس والرنين، ليس فيها غمغمة ولا تمتمة،

وضوح النغمة ظاهر ليأتي منها الشعر الباهر.

والخليل بن أحمد الفراهيدي حينما وضع الأوزان لم يجعلها تقنياً وإنما هو استقرأ بما ضغط.. لما سمع.. لما أطرب، فأتى بما أعجب، كأنما هو احتضن لغته الشاعرة في فؤاده وأذنه، كل ما صنع ليس قانوناً وإنما هو صفة حال، إبراز وضع كان عليه الشعر في هذه اللغة الشاعرة.

إن صانع الشعر قبل الشاعر هي المشاعر التي توحى بها البيئة، تلهمه العواطف ثروة بيئته، لتتأتى منه ثورة مشاعره، فالشعر ثوران عاطفة، لا يحمل طابع التغيير، وإنما فيه طبيعة التطور.

ثورة الشاعر ليست مدمرة وإنما هي قانون نفسها تصدق به حين يصدقها، ويصدق بها حين تصادقه.

إن شعراء الجاهلية جادت مشاعرهم بما أعجب وأطرب، لم يجفهم مشرقياً يوم كان المشاركة عرباً، واحتفى بهم المغاربة حين أصبحوا عرباً، أما حين خضعوا للآراء المستوردة فأحبوا أن يجعلوا للشعر قانوناً، فوجدوا «التكأة» في الأمدي ومن إليه، حتى قلت إن الأمدي مثلاً قد جعل أبا تمام والمتنبي سلطانيين على إمبراطورية الشعر في عصرهما، وجعلوا الشاعر البحترى، فهم بذلك قد أخرجوا المتنبي وأبا تمام من مملكة الشعر وجعلوا البحترى إن لم يكن السلطان فليكن الإمام، وذلك حين قالوا: «أبو تمام والمتنبي حكيمان.. والشاعر البحترى».

ولعلي أسوق مثلاً مقارناً إن برع فيه المتنبي فلم تتخل البراعة عن إسماعيل صبري، وإن كان ما جاء منه أقل من المتنبي في إطار الجمال الصورة.

قال إسماعيل صبري :

إذا خانني خلٌ قديمٌ وعقني وفوقْتُ يوماً في مَقَاتِلِهِ سهمي
تعرَّضَ طيفُ الود بيني وبينه فكسرت سهمي وانثيتُ ولم أرم

ولقد سبقه المتنبي بيت واحد كان هو الأجل والأكمل . . . إذ قال :

رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى هوى كاسرٌ كفي وقوسي وأسهمي

* * *

- البيان

واشتقت إلى البيان يرق به وجداني ويرقى به فكري فأخذت أسأل من أقرأ؟ هل أقرأ الجاحظ وابن المقفع وأبا بكر الخوارزمي وابن العميد والصاحب وابن زيدون وحفني ناصف في رسائلهم وترسلهم ثم توقفت قليلاً أقرأ «نهج البلاغة» كلام ذلك الإنسان الذي شبع من بيان القرآن وأشبعه الإيمان بالسحر من البيان فلم تجع الكلمة في بيانه وعلى لسانه، ذلكم الإمام على رضي الله عنه.

واستقرأت الكثير حتى وجدني أمام كلمته عن الجهاد كأنه قالها اليوم فحسبني أسجل مقتضى الحال بياناً من البيان أنشرها هكذا . .

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجمته الوثيقة^(١) فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، وديث بالصغار والقماء^(٢) وضرب على

(١) جنته: بالضم: وقايته.

(٢) ديث: مبني للمفعول من ديته أي: ذلله. وقمؤ الرجل، ككرم قمأة وقماءة أي: ذل وصغر.

قلبه بالأسداد^(١) وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف^(٢) ومنع النصف، إلا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم، وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم، وملكت عليكم الأوطان وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاها^(٣) ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام^(٤) ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أن أمراً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي به جديراً، فيا عجبا - والله - يमित القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمي يغار عليكم ولا تغيرون، ومنه تغزون ولا تَعْزُونَ، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم أيام الصيف قلت هذه حمارة القيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت، هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا

(١) الأسداد: جمع سد يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) ويروي بالإسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي: حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة.

(٢) أدبل الحق منه أي: صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أي: أولى الخسف وكلفه، والخسف، الذل والمشقة أيضاً والنصف بالكسر: العدل، ومنع مجهول أي: حرم العدل بأن يسלט الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه.

(٣) المعاهدة: الذميمة. والحجل: بالكسر خلخالها. والقلب: بالضم سوارها. والرعات: جمع رعة بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروي رعتها بضم الراء والعين جمع رعات جمع رعة.

(٤) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام أن تناشده الرحم.

رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم! معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً قاتلكم الله!! لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً وأفسدتم عَلَيَّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب».

الله أبوهم!! وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا قد ذرّفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع!!

- النرجسية

وحين كتبت عن النرجسية وضعت هذا العنوان «هيكل بين النرجسية والحق» نشرته في جريدة «الشرق الأوسط» فسألني كثيرون عن النرجسية، ماذا تعني مع أنني ذكرت أنها هي الأنانية المفرطة، أعني عبادة الذات، ولكن وجدتهم يسألون عن أصلها، فأخذت أقرأ حتى إذا وجدتها في «الموسوعة العربية الميسرة» فاقتطفت هذا النص، فليرجع إليه من شاء التوسع، هي في الميثولوجية اليونانية أي أساطير اليونان، أنشرها كالاتي:

نرجسية: حالة الشخص المستغرق في حب ذاته والإعجاب بها، وهذا المعنى مأخوذ من أسطورة «نارسيوس» الفتى اليوناني الجميل، الذي رفض أن يستجيب لحب آلهة المياه «إيكو» فعاقبته آلهة العدالة «نيميزيس» بإيقاعه في حب صورته المنعكسة على صفحة الماء.

تمر وجمر

أحمد عبد الغفار عطار

الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، «جار الله» متَّعه الله بالإقامة في البيت الحرام، له مقام عندنا، وما أكثر ما رغبت إليه، أرجوه - وقد بلغنا في الكبر عتياً - أن ننزع ما في صدورنا من غل، فعيب كبير أن نظل في حماقة المراهقة، ورعونة الكراهية، ولكنني عجزت أن يكون الأستاذ المجاور في البيت الحرام، الناشء بين أحضان مكة، أن يستجيب لرجائي.

فلقد قرأت له تصويماً ما أشد اغتباطي به، فأنا والله الحمد، أجد متعة في التصويب، فأرى أن الخطأ، هو جالب هذه المتعة.

ففي «لمساته» في جريدة البلاد، شنع على الذين يركبهم الخطأ، في اللغة الشاعرة، فأجاد وأحسن، ثم عرج على تذكيري بالخطأ، وقعت فيه، حين قلت «الشرعية الأكمل» وحين قلت أكثر من مرة «الدولتان الأعظم».

هذا التصويب أراه حقاً، ولكنني لم أقع في ذلك، أتعمد، أتجافى عن صواب اللغة، وإنما هو «سبق القلم» فأیما كاتب قد ينسى القاعدة ويترخص في مثل هذه الأخطاء، يجره إليها الشيوع والذبوع، فأنا لم أكتب تحقيقاً، ولم أترسل في حوار مع الأستاذ العطار، حتى أحرص على التجويد، فاللغة الشاعرة، وذلك تعريف أستاذك العقاد لها - يرحمه الله - شيبب عبد الله

الملك بن مروان، وقد كان أحد الرجال الأربعة، الذين صانوا ألسنتهم عن اللحن والخطأ في اللغة، في ذلك العصر، القريب عن عراقة الفصحى ورشاقة البيان وفصاحة اللسان.

ف «عبد الملك بن مروان» و«الشعبي - عامر بن شراحيل» و«ابن القرية» و«الحجاج» هم الذين كانوا لا يلحنون، فقد قال بعضهم لعبد الملك: قد علاك الشيب، فقال، لقد شيبتني المنابر..

شكراً لحرصك على اللغة، ولكنني أدعوك أن تكون أشد حرصاً على الصفاء، تسقط ما بيننا من جدال، تتصنع أن يكون فيما ذكرته عن «إخناتون» فأنا لم أضع بحثاً، أمجد فيه «إخناتون» وإنما ذكرت ذلك مع الثلاثة الآخرين، أتخيل أنهم - وإن فشلوا - فإن من حقنا أن نذكر هذا الفشل لهم، بما حققته عقيدة التوحيد، عقيدة الإسلام، سطع نورها على حراء، وشع برهانها على الصفاء، وانتصر الإيمان بهما في «بدر» وانتشر الإيمان بها في «الآفاق».

فما ذكرته كان طرفة ملحة، أتطرى بها ولا أتظرف، ثم لا أسأل بعدها عن تطرف.

إن الخطأ اللغوي، قد وقع فيه أستاذ «البيان والتبيين»، الجاحظ، فقد فسر «خير الكلام ما كان لحناً» بأنه اللحن في كلام «الغواني» ومن إليهن من أصحاب الظرف، فإذا صديق له ذواقة، يقول له «إن لحن القول ما كان تعريضاً ذا معاريف تورية أو كناية» فإذا الإمام الجاحظ، أحد شماريخ، من أئمة اللغة الشاعرة يقول: لقد شاع هذا الخطأ في الناس، أرسلته فلا أستطيع مقاومة هذا الشيع.

وفي الحديث الصحيح، كرد على «الجاحظ» (لعل أحدكم ألحن

بحجته) أو كما قال عليه الصلاة والسلام، ويعني ذلك قوة الاحتجاج،
ينتصر به الباطل.

وأذكرك بأن الأستاذ العلامة السلفي صاحب المنار «محمد رشيد رضا»
كتب «المثنى» فإذا هو منصوب بالألف، فذكره أحدهم بهذا الخطأ، فقال
السيد رشيد: هناك لغة تجيز ذلك. فأجابه الصديق: أسألك بحق هل حين
كتبت ذلك عمدت أن تسير على هذه اللغة؟ لماذا لا تقول سبق قلم؟

وبقيت كلمة استوحشت منها، وأنت تستعرض الاستعمال لاسم
التفضيل، تأتي بالمثنى «الزيدان» فتكتب «الزيدان أكذب الناس» أما كان
يسعك أن تقول: الزيدان أحب الناس إلي، أو أبغض الناس إلي، تخرج
من هذا التعريض بي، فالقارىء ينسى أنك وصفت المثنى، وإنما وصفت
«الزيدان» الذي هو لقبى واشتهرت به، وهذا ما يتبادر إلى ذهن القارىء.

وأذكرك مرة ثانية بأنك استعلمت «أو» بعد «أم» وهذا خطأ قد تعلمت
صوابه منك يوماً فكيف وقعت فيه؟ إن كلمة «أو» للتخيير أو التنويع..
«كل رطباً أو عنباً».. أما التفريق «الرطب أحسن أم العنب».

وأخيراً فإنني بعد هذا، لن أخوض جدلاً معك، ولو حثت التراب في
وجهي، ولو رميتني بكل ما أكره، وذلك أنني أريد أن أتقيد بالتوجيه
الكريم، من الإنسان العظيم، الملك فيصل يرحمه الله، فأذكرك بأنك في
السبعينات البحرية قد كتبت إليه «أعني الأمير فيصل حينذاك» تشكوني إليه،
تقول: إن الزيدان يتحامل علي، يلاحقني بالنقد، لأنه يكرهكم، ويكره أن
أمدحكم... للإذاعة والصحافة والنشر، فدعاني مدير المطبوعات
حينذاك، الأستاذ عبد الله الحصيني، يقرأ علي خطاب جلالته وفيه شكاوك
وبهتانك، فقد نبهتني تعرضني للتهلكة، فقلت للأستاذ الحصيني: أنا مستعد

للتحقيق ولتلقني الجزء إذا صح ذلك فقال: لا. الأمر أن تعلم ذلك لئلا يكون بينك وبين العطار ما جرى، فخطاب جلالته صادر من الديوان برقم وتاريخ، لعله محفوظ في الأرشيف.

أرجو أن تبعدني عن طريقك، فقد حاولت أن تصفو، ولكنك ما زالت تجفون.. وأسأل الله لك أن يقيك العثرات، وأن تكون في جوار البيت الحرام، في حرية من حسن الأخلاق.

فقيه الإسلام والعروبة

وبينما كنا نتحدث فإذا بنا نعيش الصمت لا ندري السبب! كأنما إشارة ضوئية تناولت أفئدتنا تزرع فيها حزناً قداماً ولم نلبث إلا وقد تلفنت إلينا إحدى الأمهات تقول: إن التلفاز يقرأ القرآن فإذا بنا جمعاً يرتجف، وتصبرنا نريد أن نسمع ونحن نسترجع «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وسمعنا البيان... مات! الملك خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، وأخذت أركض إلى بيتي فإذا الشارع الذي ملأته السيارات تسير الهوينا يتأني بها حزن صاحبها فلا تسمع إلا أصوات المذيع... قرأناً يرحم وبياناً يعلن النبأ الفاجع، فإذا القلوب.. قلوب الشعب العربي السعودي يكرهها حزن فلا تجد الملجأ من الله إلا إليه.

لقد مات الملك خالد ميتة الحياة في إنسان يمشي على الأرض، ولكنه عاش ويعيش ذكراً خالداً يمتد به الذكر الطيب الحسن لسلفه... آبائه وأجداده... ذكر قد ابيضت به صفحات التاريخ... تاريخ أبيه عبد العزيز المجمع الذي كون الوحدة الأنموذج في هذا الكيان الكبير تراث محمد نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام.

إن خالد بن عبد العزيز الملك قد صان هذا الكيان الكبير، حفظه الله بالأمن ومن هذه الصيانة لهذه المملكة أن كان شغل الملك خالد الشاغل أن

يتصدى يرد العدوان عن كل الأرض العربية وعن إنسانها ويمد بالعون الأرض المسلمة ومساجدها وإنسانها.

خالد بن عبد العزيز إذا ما رأته رأيت هيبة الملك بدون زهو: كان شديد الوطأة على الباطل يبطش به بإقامة الحد، وكان شديد النصر للحق يرتفع به بناء الصدق والصدقة، إن أزمة القلب التي مات بها لم تكن أزمة واحدة وإنما هي الأزمات. أزمة المرض الذي كان يعانيه، وأزمة الحزن والألم الذي كان من كل ما يعانيه فسهر ليله وعمل نهاره يطوق الحرب في لبنان أن لا تمتد، يعانقه ساعده أخوه وليّ عهده لحظة أن عاش والملك الخلف لخير سلف في آخر لحظة من حياته يحرك الذين استناموا عن نصره الحق والذين أناموا الشهداء والقتلى فإذا هم يستيقظون بصرخة الحق صرخها البطل. . فقد قال لهم: ارفعوا أيديكم عن لبنان. . . عن المنظمة، فاستجابوا لأنه قبل أن يكون الصديق لهم كان الصديق لفلسطين وللمقاومة وللصادقين من اللبنانيين.

لقد عرف الملك خالد قيمة التفوق للمملكة العربية السعودية فإذا هو لا يتعامل إلا به حتى إذا وافاه الأجل مات وهو قرير العين يحقن الدماء المسلمة في لبنان، فما أحسن خواتم أعماله!

فكل الأخبار في كل الإذاعات قالت: إن وقف إطلاق النار في لبنان كان بما سعت به المملكة العربية السعودية.

لو أن مرآة كشفت الستر في كل بيت من بيوت شعبه لوجدت الأمهات الباقيات، فما أكثر البواكي عليه وما أنا إلا عجوز على عتبة الموت إلا رافعاً أكف الضراعة أن يتغمده الله بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنته وأسأل الله سبحانه الذي عودنا الجميل كما هي كلمة الملك عبد العزيز يرحمه الله

- أن يمد جلاله الملك فهد بالنصر والتأييد والتوفيق كما أنني أرجو أن يصدر الأمر الكريم بأن تقام صلاة الغائب على روح الملك خالد في كل المساجد، ولن يخيب ظني في المساجد المسلمة في كل الأرض المسلمة إلا أنها بدأت تصلي على روحه صلاة الغائب في مساجد المغرب والمشارك التي كان لها الملك خالد ابناً باراً وأباً رحيماً.

لقد كان الفقيد... فقد الإسلام والعروبة.. فالعزاء أرسله على صفحة القرطاس للأسرة المالكة ولشعب الملك خالد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حديث إلى الرئيس

ليس من الصعب على كاتب يتهم نفسه أنه ينتمي إلى العالم الحر أن يمارس الحديث مع رئيس الولايات المتحدة المنتخب رونالد ريغان. . ذلك أنه لا يزال شعب الولايات المتحدة يتمتع بحرية التعبير سواء عنه أو عليه!

فلا حرج إذن من أن تتحرك الكلمة إلى الرئيس الجديد للولايات المتحدة لأسباب شتى، أولها: إني إنسان عربي لا بد أن يشعر الدنيا كلها بأن له حقوقاً تمارس الظلم لها والطغيان عليها سياسة أمريكية وأسلحة أمريكية. . . كأنما هو ازدواج السلوك في سياسة الولايات المتحدة. . . تعلن أن أول مبدأ لها هو الدفاع عن حقوق الإنسان، بينما أسلحتها وسياستها تهدد حقوق الإنسان العربي، فلم تعد الكلمة الصريحة توجه إلى إسرائيل أو اليهودية أو الصهيونية، فلو أنصف العربي نفسه لوجه الاتهام بتدمير حقوق الإنسان العربي إلى الولايات المتحدة!

فيعيب أن نتستر على الولايات المتحدة حين نضع المسؤولية في الشرق الأوسط على إسرائيل وحدها!

من هنا. . . أبدأ أتحدث إليك:

فأنت - أيها الرئيس - وقد نجحت في الانتخابات نجاحاً باهراً وقاهرأ. . . قد وضعت العالم أمام مواقف ثلاثة:

أولاً: حين أعلنت أنك لن تجدد ترشيحك للانتخابات للمرة الثانية .

ثانياً: أنك قابلت المستشار الألماني شميدت .

ثالثاً: أنك وإن لم تعلن رفض مقابلة بيغن بصراحة، فاتخذت موقفك

أن لا تقابله في هذه الفترة التي لم تدخل فيها البيت الأبيض بعد .

فأنت حين كنت تمثل على شاشة السينما . . كنت تلقي على النظارة كلاماً يكتب لك، و«يسيره» لك فنان . . بل وحتى منك لأداء المواقف يرسمه لك المخرج، أما اليوم - وأنت تدخل إمبراطوراً في البيت الأبيض، فقد أصبحت تكتب حلقة من تاريخ الولايات المتحدة، فإما أن تضاف إلى ثبت الرجال من أمثال: واشنطن، وجيفرسون، وإبرهام لنكولن، وحتى فرانكلين روزفلت . . الذين كتبوا صفحات بيضاء في تاريخ الولايات المتحدة، وإما أن لا تكتب أنت تاريخ هذه الحقبة وإنما التاريخ يكتب نفسه عنك كرجل تضاف إلى ترومان ومن إليه!

لكن المواقف الثلاثة، ولأنك جمهوري وارث للباسي القبعات العالية . . لا الطواقي المستخزية، والقمصان البيضاء المنشأة، تنزع إلى أعراق الرواد الأوائل من غرب أوروبا الذين نحتوا جبال روكي لأجل الذهب، وحفروا الأرض لأجل البترول، فلا تنتمي إلى الذين يمتصون دم الشعب الأمريكي . . يستهلكون الذهب ويستنزفون البترول!

من هؤلاء الذين ينتمون إلى شرق أوروبا . . سلافيين وخزريين ويهوداً، فوراثنك للحزب الجمهوري هي التي أملت عليك أن تعطي هذه المواقف قدراً كبيراً من رشد التصرف لترشيد العالم . . يعرفون أنك من أول الأمر تصرفت بحزم، فحين أعلنت أنك لن ترشح نفسك للانتخابات الثانية . . جعلت الذين يتلاعبون بالأصوات الناخبة لا يفكرون في إذلال

رئيس الولايات المتحدة، فقد فرضت العزة لك... لا يساومونك على صوت ولا تساومهم على التصويت... كأن أمامك الجنرال العظيم «أيزنهاور» حين ألغى الاتكال على أصوات اليهود!

وأنت - في الموقف الثاني - حين لم تحتجب عن المستشار الألماني الهر شميدت... أعلنت أنك ستكتب تاريخاً جديداً لعلاقاتك مع الحلفاء التي أحدثت فيها سياسة الولايات المتحدة من كيسنجر ومن إليه: شروخاً كادت تجعل حلف الأطلسي ينحدر إلى أزمة الأزمة... مما جعل صديقكم الجديد - أعني إمبراطورية الصين - تصرخ في أذن الحلفاء... تدعوهم إلى المصابرة على سياسة الولايات المتحدة، وأن لا تجرفهم موافقها إلى نوع من الاستسلام للاتحاد السوفياتي!

هذه الشروخ... لا بد أن المستشار الألماني عرضها أمامك بصراحة، ذلك أن بريطانيا لم تعد تملك الغضب وأن فرنسا قد أمسكت بكثير من الغضب، فبقي الدور على ألمانيا أن تطلب الندادة لئلا تضطر - وهي الميدان الأول ليدمرها حلف وارسو - إلى الغضب أو إلى التخلي طلباً للنجاة.

كما كان الهر شميدت حسن التصرف حين بادر في الأيام الأولى ببصرك بأخطاء الولايات المتحدة.

أخطاء... حملتم أوزارها، وأسقطت كثيراً من هيبة الولايات المتحدة، والسبب الأول والأخير: هو هذا الموقف من عهد ترومان إلى عهد كارتر مع إسرائيل ضد العرب، فالعرب لا يطلبون أن لا تحافظوا على أمن إسرائيل، وإنما العرب وحلفائكم في أوروبا، دول عدم الانحياز، والمؤتمر الإسلامي... كلها تطالب الولايات المتحدة أن لا تحمي طغيان إسرائيل -

تحتل الأرض وتدمر لبنان - كأنما سياسة الولايات المتحدة قبلك قد أهدرت مهابتها ومصالحها من أجل إسرائيل... يضغط اليهود الذين يحملون الولاءين: الولاء لإسرائيل قبلاً، ثم هم يدعون أنهم يحملون الولاء للولايات المتحدة... حتى قال بعض المفاوضين الإسرائيليين - يفاوض على صفقات الأسلحة رجالاً في البنتاغون - إن لم توافقوا على إعطائنا السلاح الذي نطلب، فإن الكونغرس سيأمر بإعطائه!

كأنما الحزب الديمقراطي، بأكثريته في الكونغرس، هو الممثل لدولة إسرائيل في الولايات المتحدة.

أما الموقف الثالث - حين لم تقابل مناحيم بيغن - الذي أسرع يعزي كارتر ليقابلك... حتى إذا خرج من مقابلته لك - لو لم ترفض - ليقول للدنيا: لئن ذهب كارتر فـ «ريغان» لا يزال كارتر بالنسبة لإسرائيل! يضغط على مفاوضات الحكم الذاتي، يدق إسفيناً في العلاقات العربية الأمريكية. وأكثر من ذلك يشير بإصبع السخرية إلى حلفائك من دول الغرب الذين يزعمون أن لهم مبادرة السلام.

التحايل على التحول!

ولا شك دون ما ريب، أن سلوك اليهود من أول تاريخهم وفي كل تاريخهم، وحتى الآن لا يكسبون المواقف ولا يمارسون الظلم، ولا يتعاملون بالمال إلا بأسلوب التحايل. . يتظلمون أحياناً حتى لو صنعوا السبب الذي يُظلمون من أجله، ويبكون أحياناً، فالدموع من أمضى أسلحتهم يسرقون بها عواطف الناس، كأنما الحبل من الناس يفتلونهُ فتلاً بالمسكنة، فإذا هم، وقد أخذوا من التحايل كل ما يريدون حتى إذا وصلوا إلى قوة يملكونها، أو قوة خدروها فأعانتهم، كانوا صناع الجبروت والطغيان.

وهكذا صنعوا في فلسطين، فقد اكتسبوا بالتحايل وعد بلفور، والاعتراف بالدولة اليهودية باسم إسرائيل. . مع أن إسرائيل الجد يعقوب الرسول النبي بريء من طغمة هؤلاء اليهود، بل المتهودين الذين هم ليسوا من نسل يعقوب، وإنما هم خرز أشكناز، تتريون وسلافيون، فإسرائيل بريء منهم. . . فإن هؤلاء اليهود بدأوا الآن المرحلة الثانية من مراحل التحايل حين شعروا بأن لدى الولايات المتحدة بعض التحول ليس لصالح العرب، وليس هو ضد إسرائيل، وإنما هو لصالح الولايات المتحدة بإسقاط الهيبة، ونفور الأصدقاء، وتعطل المصالح، والشك في الدول الغربية من

ناحية تذبذب السياسة الأمريكية، يظنون الآن التحايل اليهودي إذا ما استطاع أن يضعف من التحول أو يمنعه، فإن الغرب - كل الغرب - وحتى الولايات المتحدة، يجدون أنفسهم بلا أرض تصادفهم تكون ملجأاً للتسهيلات، ولا صديق ينتصر لهم ولو لم يكن معهم، وإنما ليس هو عليهم، كل ذلك يصنعه التحايل الإسرائيلي، كما هو صنيع التحامل الإسرائيلي طغياناً على العرب.

* * *

لقد بدأ هذا التحايل حين شعرت إسرائيل بأن الولايات المتحدة قد ضاقت بطغيانها على لبنان وعلى العراق كأنما سياسة الولايات المتحدة تسأل نفسها، أليس من الوفاء لإطار كامب ديفيد - أكسبها السلامة من مصر - أن لا تضع الولايات المتحدة ومصر في الموقف الحرج؟!!

لقد أبي مناحيم بيجن أن يذهب إلى الولايات المتحدة قبل أن تعيد إرسال الطائرات التي أوقفتها مؤخراً، وليس ذلك من عجرة الضعف، وإنما هو من قوة الإضعاف لسياسة الولايات المتحدة... تسلمت بها اليهودية العالمية الصهيونية داخل المؤسسات الديمقراطية، كأنما الديمقراطية في الولايات المتحدة أصبحت الدكتاتورية على الإدارة الأمريكية!

وأرسلوا الطائرات، وتقدم بيجن بجرعة التحايل... يتفضل ويمتن على الولايات المتحدة حين يجعل من الأرض التي احتلتها إسرائيل مستودعات لذخيرة الجيش الأمريكي، كأنه لا مكان للتسهيلات، ولا أرض لحلف الأطلسي تكون فيها المستودعات!

ما هو المهم لهذه المستودعات... يخزن فيها عتاد الجيش

الأمريكي... لماذا لا يكون العطاء الموافقة على وجود قواعد للجيش الأمريكي لدى إسرائيل؟!!

إن العون بالمستودعات كذبة على التاريخ، وتحايل على الإدارة الأمريكية، ليعطي الفرصة لأنصار إسرائيل في الولايات المتحدة أن يشتد ضغطهم على الإدارة الأمريكية، ولقد قلنا من قبل، وبصورة من التحدي إلى بيجن، وكل وزارة إسرائيلية لن يمنح الولايات المتحدة قاعدة لديه، فلذلك حرب ضد الاتحاد السوفياتي، كأى قاعدة في حلف الأطلسي، وإسرائيل لن تكون في موقف تنتصر به الولايات المتحدة ويغضب الاتحاد السوفياتي، فهي في فلسطين تطير بجناحين: جناح يتجه من واشنطن إلى تل أبيب، وجناح اتجه من موسكو إلى تل أبيب.

وهل هناك تحول في سياسة الولايات المتحدة؟!!

نعم، فإن بعض ما يذاع على لسان الرئيس ريجان، وما كتبه بعض المجلات، إشارة إلى وجود تحول ليس ضد إسرائيل، ولا لصالح العرب، وإنما هو لصالح الولايات المتحدة.

ولا أريد أن أبشر به، ولا أملك التحذير منه، وإنما كل ما أعرضه هو في ما تصنعه إسرائيل من التحايل، وما يذاع عن الولايات المتحدة من التحول.

* * *

وسؤال: من الذي صنع التحول؟!!

صنعه العرب الذين يملكون وضع الولايات المتحدة أمام حرمانها من المصالح، فقد قال الرئيس ريجان: إنه يشعر بتحسين العلاقات مع العرب

المعتدلين، ويصنع هذا التحول أيضاً: الموقف الضاغط على الغرب، والذي أوجب على الغرب أن يضغط به بصورة أو بأخرى على الولايات المتحدة، وقد أبرزت فرنسا هذا الضغط بصورة جلية حين قابل وزير خارجيتها «ياسر عرفات»، ويصنع هذا التحول أيضاً: الموقف الضاغط، بل والسافر على الولايات المتحدة ومن سياستها، وهو ما يمارسه الاتحاد السوفياتي... غرب الهيماليا، وشرق أفريقيا، وأوسطها، وحتى غربها وجنوبها الغربي...

كل هذه العوامل الضاغطة أحسب أن الولايات المتحدة مضطرة إلى أن تنفذ كلمة الرئيس ريجان: (لا ينبغي للولايات المتحدة أن تنحاز إلى إسرائيل، أو أن تنحاز إلى العرب)... هذه الكلمة من ريجان مفتاح التحول إن صحت، بل هي مفتاح جديد للحفاظ على صداقة العرب للولايات المتحدة، فكل ما يريده العرب أن تكون إسرائيل في موقف المطيع للولايات المتحدة، على أساس أن الولايات المتحدة لا تستعصي سياستها أمام إعطاء العرب الحماية من طغيان إسرائيل.. ليس بجيش أمريكي، وإنما بقوة سلاح يشتريه العرب بالمال الوفير... يعين الولايات المتحدة على اعتدال ميزانها التجاري لتكون قوة الدولار هي القوة الأقوى أكثر من الصواريخ، فإذا ما اعتدلت سياسة الولايات المتحدة، وأنكرت على إسرائيل تدخلها في سياستها... تفرض عليها أن لا تباع سلاحاً للعرب، فحين ذلك يمكن لأي عربي أن يصدق هذه الأنباء التي تقول: أن هناك في سياسة الولايات المتحدة تحولاً!

ولا أدري... هل ينجح التحايل، أم يستمر التحول!؟

ذلك ما يتضح بعد زيارة بيجن لريجان، وبعد أن تتم الزيارات الأخرى وإن غداً لناظره قريب!!

- صورة

إن الاتحاد السوفياتي بدأ رجعيًا يسير على نهج الاستعمار الأول، فقد أذاعوا أنه سينسحب من الأفغان، إذا ضمن عدم تدخل دول أخرى! أسلوب قديم، كأسلوب اللجان: لجن ميللر في مصر، لجنة بيل في فلسطين، الموائد المستديرة، المبعوثون لاستيفاء المعلومات... هذا الأسلوب لا تريد منه موسكو إلا تعطيل الجهاد في الأفغان وسحب السلاح من المجاهدين، وإلا فلا انسحاب! اللهم إنها القوة... ملكها بعض عبادك، وأنت مالك القوة كلها، فانصر المجاهدين عن دينك، وأرض مسجلك، وعبدك الإنسان المسلم.

* * *

قالت الثكلي... الأم الولود الودود: ما بال أبنائي يتهاكون بالفرقة، وينهزمون بالشقاق، حين كنت المقلاة النزور... إلا أوفاً... فتحوا الفتوح، ونشروا الهداية ودمروا الطغيان، وعمروا الأرض بالحضارة، تسلموا مفتاح الأسرار لحضارة الشرق، فسلموا للغرب هذا المفتاح حين كنت الأم المقلاة النزور، كنت شامخة، وحين أصبح أبنائي البغاث يعدون بالملايين أصبحت خافضة الرأس، ما بالهم هكذا، وقد كان الألوف سلاحهم حديدة، ومطاياهم جمال، وعيشهم تمر، أما اليوم فما أكثر القوة في أيديهم، لهذا بكيت... أجد القوة في اليد، ولا أجد القوة في القلب!!

غروميكو يستقبل شامير

بعض الذين سمعوا هذا الخبر عجبوا كيف يستقبل جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفياتي: شامير - وزير خارجية إسرائيل! واتجه العجب منهم يسألون: هل استأذن «شامير» الولايات المتحدة، أو هل عند منظمة التحرير الفلسطينية علم بهذا الاستقبال ونتيجة الاجتماع؟!

وفي يقيني أنه لا معنى لهذا العجب، لأن وزير خارجية الاتحاد السوفياتي بكل القوة التي تملكها إمبراطوريته لا يسأل عن من يرضى، أو من يغضب، فالإمبراطوريات أكبر من أن تستأذن الأصدقاء.

واليهودي «شامير» قد اتخذ هذا الموقف في أكثر من تصرف، فهو أيضاً لا يسأل عن رضا الصديق أو غضبه، بل ربما أراد بذلك إغاظه الصديق، وليس ذلك بالأسلوب الذي يتخذه بعض الساسة فيقولون: نصادق الاتحاد السوفياتي كأسلوب للحرب الباردة ضد الولايات المتحدة، أو يقول الآخرون: دعونا نصادق الولايات المتحدة لعلها تسانداً ضد الاتحاد السوفياتي!

* * *

فـ «شامير» ليس كذلك، بل ربما أنه سيقول للولايات المتحدة: أأست الحريصة على ضمان الأمن لإسرائيل، فمن السهل أن تصونيه ضد العرب،

وحين قابلت وزير خارجية الاتحاد السوفياتي أردت باسم إسرائيل أن نخفف العبء عنكم، لأن ضمان الأمن من الاتحاد السوفياتي ينبغي أن يكون من الاتحاد السوفياتي نفسه، فمن الصعب أن تمارسوا نوعاً من المواجهة ضد الكرملين لضمان أمننا!

وهذه الحجة قد لا تنطلي على الولايات المتحدة، ولكنها شديدة الرغبة إن كانت لأنه من الناحية الأخرى سيعطي العرب فرصة التفكير في مدى الصدق في موقف الاتحاد السوفياتي معهم.

وهكذا تتلاحق الأحداث مسرعة اليوم وستكون مذهلة غداً، فالكل يتحرك ويلهث.. لا سؤال عن الأخطاء، ولا إدراك للصواب، ولا معرفة يجد فيها الإنسان نفسه في مكانه يصارع الأحداث، قد يكون في لحظة مع الشرق، وفي لحظة مع الغرب، كأن العلاقة بين الإمبراطوريتين قد اتخذت أسلوب المكايذة... ذلك تصرف العاجزين، وذلك - مرة أخرى - سلطان الأقوياء!

* * *

إن استقبال جروميكو لشامير ليس فيه الجديد، لأن اعتراف إمبراطورية الكرملين بإسرائيل واقع كالالتزام، أما عودة العلاقات أو الإبقاء على قطعها فذلك إعلان... لعبة تلعب بها سياسة الأقوياء على الضعفاء، فالاعتراف التزام دولي، أما العلاقات فشيء آخر!

إن إمبراطورية الكرملين تعترف بإسرائيل، ولا يؤثر في ذلك قطع العلاقات.

وإمبراطورية الكرملين - مرة أخرى - موصولة العلاقات مع منظمة

التحرير الفلسطينية، ولكن دون اعتراف بدولة فلسطينية، أو حتى في تحديد معنى الوطن الفلسطيني!

ولعل تأخر إعلان دولة فلسطين قد تأتي من حسن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي!

سوء العلاقات مع الولايات المتحدة لا يعطل إعلان دولة فلسطين، ولكن بالتأكيد: حسن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي هو المعطل الأول والأخير.

ولقد قلنا من قبل: إن العالم الشيوعي بقيادة إمبراطورية الكرملين قد جامل العرب بلعبة قطع العلاقات مع إسرائيل، فالعرب قد خسروا بهذا الأسلوب، أما إسرائيل، والعالم الشيوعي فقد ربحا به ومنه، لأنه أسقط الأعباء، فلو كان لكل دولة من دول «وارسو» سفير في إسرائيل لكلفهم ذلك نوعاً من المشقة حين يحدث بعض الانشقاق بين أصدقاء هذا العالم الشيوعي من العرب.. حين يتصل تساوّلهم عن مواقف السفراء لدى إسرائيل.

أسقط الاتحاد السوفياتي هذا العبء فارتاح وأراح إسرائيل.

ولا يفوتني أن أذكر ما تحدث به الرئيس معمر القذافي يطلب من رومانيا حين زارها أن تقطع العلاقة مع إسرائيل تبعاً لحلفائها في العالم الشيوعي، كأن قطع رومانيا للعلاقات في تصور هذا الزعيم العربي ضربة قاصمة على إسرائيل، لكن رومانيا لا تريد أن تخسر ما كسبت، وليس ذلك كسبها وحدها وإنما سوء الظن يعطيني أن أقول: إن رومانيا بما كسبت... كان ذلك كسباً لحلفائها بصورة أو بأخرى...

حين تقطع رومانيا العلاقات، فإن إسرائيل ستكسب كثيراً، لأن بعض

مواقف الرئيس «شاوشيسكو» قد أقلقت إسرائيل، حتى أنها نظمتها في سلك واحد مع المستشار «كرايسكي»!!

- صور -

هل يصدق هذا الظن.. ذكرته من قبل، بأنه قد كتب على العرب يطغيان اليهود، أن يكونوا العامل الأول في تبصير العالم بخدع اليهود، وصلفهم وعدوانهم؟!

نعم... بدأ يصدق هذا الظن، حين أخذت أوروبا تتحرك، لا تعلن أنها ضد إسرائيل، وإنما أعلنت الضيق بها ومنها، ذلك لم يكن أيام وعد بلفور، ذلك لم يكن أمام قضية «دريفوس»، ذلك لم يكن أيام الحملة على النازية، ذلك لم يكن أيام الصرخة في الدفاع عن السامية، وحتى الولايات المتحدة المخدرة أو المسخرة باليهود ولليهود قد ارتفعت السنة تعلن الضيق حين بدأت أسلحة الاتحاد السوفياتي تلعب دورها غرب الهيمالايا، وفي المحيط الهندي، وشرق أفريقيا، وغرب أفريقيا.

من هنا... ارتفع صوت يهودي زعيم... لعله الثالث المقدس في كهنوت اليهود، بعد هرتزل ووايزمن، ذلك «ناحوم غولدمان» أعلن سخطه على اليهود في أمريكا... يضغظون على الولايات المتحدة، ولم يكن ذلك منه عقوقاً لليهودية وإنما خوفاً عليها، فحين يفقد اليهود عطف غرب أوروبا، وعاطفة الولايات المتحدة فإن ذلك لن ينفعهم بعده تعاطف الاتحاد السوفياتي.

وانتخب بالقرعة... فاز برئاسة هيئة الأمم الوزير العراقي السيد

«عصمت كتاني»، فإذا إسرائيل وإيران يغضبان، فإيران غاضبة لأن في ذلك انتصاراً للعراق، وإسرائيل أشد غضباً لأن في ذلك قيمة للعرب جميعاً. . حتى أنهم قالوا - أعني الإسرائيليين - أن انتخاب هذا العراقي قد أحال الميثاق إلى مهزلة، كأن الميثاق بقيت منه بقية لم تهزل به إسرائيل، فكل ما أصاب الميثاق من تعطيل كان فيه كل المهزلة والهزال، ولم يصنع ذلك أحد غير إسرائيل، لكن اليهود قوم بهت لا يعبأون بالكذب، لأنه لا خلاق لهم.

سَمِّمُوا البنات لتفريغ الأرض!

وتريثت قليلاً لا أملي على كاتبي أطرده الانفعال، فمن العجز أن يكون الانفعال دون فعل، ذلك أن الغضب والانفعال يتوتر به العصب ويفتر الدم وتتكرر النفس، فإذا العقل قد تسلط عليه العجز، وإذا الفعل قد ذهب حيث لا عصب.. لا دم.. لا عقل!

فلماذا كان ذلك؟ لقد كان حين أصبحت أسيراً لهذه الفجيعة في فلسطين في مدينة «جنين». فججيعة أخطر من «صبرا» و«شاتيلا».. لقد تخطت المأساة إلى أن أصبحت كارثة، فاسمعوا العجب!

فلقد سمموا التلميذات البنات في المدارس، بلغن نحو خمسمائة بنت، وحين سمعت الخبر قلت لمن حولي.. لقد طوروا القتل بهذا الطغيان الفظيع.

ما أرادوا قتل البنات، لئلا يكون قتلهن صورة ثالثة بعد «دير ياسين» و«صبرا وشاتيلا» لم يريدوا القتل وإنما أرادوا بهذا السم الزعاف أن يقتلوا الأمهات، قلت أنا لا أعرف في الكيمياء شيئاً ساعة أن سمعت الخبر، إن اليهود أرادوا بكل التصميم والطغيان ألا يكن البنات أمهات يلدن الذراري، فهي عملية تعقيم، قتل للأجنة في الأرحام قبل أن تستكمل الأرحام أنوثتها وأمومتها، إنهم يريدون تفريغ الأرض، فالمبادرات وعروض السلام قد

استعجلت بها كلها أن تذبح الفلسطينيين، ليس بالرصاص ولا بالقنابل وإنما بتسميم الأمهات.

أطرح على أساتذة الرياضة أن يعطونا النتيجة من هذه المتوالية الهندسية، خمسمائة بنت عندما يصبحن أمهات يلدن في المتوسط على أساس كل أم تلد أربعة أطفال، فيصبح العدد في الجيل الأول ألفين (٢٠٠٠)، وفي الجيل الثاني يتكون من الألفين ثمانية آلاف (٨٠٠٠)، وفي الجيل الثالث يتكون من الثمانية آلاف اثنان وثلاثون ألفاً (٣٢٠٠٠)، وهكذا يقتل الإسرائيليون هذه المتوالية الهندسية لتفريغ الأرض من إنسانها الفلسطيني، خمسمائة بنت تعقم أرحامها لئلا يلدن الألوف من الفلسطينيين.

وأغمضت الدنيا عينيها، كل الإذاعات العالمية أرسلته خبراً عادياً، حتى أن إسرائيل وجدت الفرصة فأضافت إلى تسميم البنات تسميم بعض الرجال لتقول أنه مرض عصبي، أي فجور في المنطق هذا؟! مرض عصبي هذا العدد من البنات؟ مع أنهم في أول الأمر قالوا إنه غاز سام انفجر من حيث لا يدرون، ثم قالوا إنه الغاز الأصفر يسبب العقم للأمهات.

إن بريطانيا قالت عن منظمة التحرير إنها إرهابية فلا تعترف بها، أفلم يكن وعد بلفور إرهاباً، أو لم تكن حرب السويس الأولى إرهاباً، وغزو لبنان أليس هو إرهاباً، وما يجري في الضفة الغربية من إغلاق الجامعات والمدارس والقتل والتشريد، وهذا التسميم، أليس كل ذلك إرهاباً؟

لكن قتل يهودي واحد إرهاب، واحتلال الأرض وقتل الألوف ليس إرهاباً، إن محاكم بريطانيا حكمت على مناحيم بيغن بالإعدام لأنه إرهابي قتل الجنود البريطانيين، وعلق الضباط في الأشجار، فكيف أصبح الآن غير إرهابي؟!

- وقاحة السياسة!! -

ويأتي الاتحاد السوفياتي وقد مضت على المواجهة بين إسرائيل وسوريا أشهر، يسكت الاتحاد السوفياتي طوال هذه المدة فلا يذيع بياناً عن أن إسرائيل تبيّت عدواناً على سوريا إلا حين شاع وذاع خبر التسمم للفتيات، إنه غطاء كثيف أسدلته موسكو على جريمة إسرائيل، لتشغل العرب والرأي العام العالمي عن تسميم الفتيات بالخبر عن إسرائيل تخطط للعدوان على سوريا، حتى أن هذا الخبر قد أمارط اللثام عن عون الاتحاد السوفياتي للإعلام الإسرائيلي.

والولايات المتحدة لم يشغلها خبر التسمم، ولكن كان شغلها الشاغل لو أن طائرة إسرائيلية قد اختطفها فلسطيني، أفبعد ذلك كله يحاول العرب أن يثقوا بهذا الاستقطاب عوناً لإسرائيل وتجديفاً على العرب؟
وقديماً قالت العرب:

ولا يقيم على ذل يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشجُّ فلا يرثي له أحد

كان ذلك في القديم، أما اليوم فقد أصبح العربي تحت وطأة الضيم،
باسم الاستقطاب - الصداقة أو باسم الصداقة - الاستقطاب.

ولعلي قد كتبت مرة أن المعسكر الشيوعي بقيادة موسكو قد خدع العرب الخدعة الكبرى حين أعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل؛ لأنه أصبح في حل من أي طلب يتقدم به أصدقاؤه لتتصل موسكو بإسرائيل دبلوماسياً تطلب منه ألا تطغى، أو أن تخضع للمفاوضات، فحين يطلب أصدقاؤه منه ذلك يعتذر الاتحاد السوفياتي ومن إليه بأنه يقيم علاقات

دبلوماسية مع إسرائيل، وكل القرارات التي وقعها حين صوت معها سواء من مجلس الأمن أو من هيئة الأمم لم يوقعها إلا وهو يعرف أن إسرائيل لا تنفذها، أو أن الولايات المتحدة ترفضها، لقد أراح نفسه من طلب الأصدقاء، فهل أرجو هؤلاء الأصدقاء أن يطلبوا من الاتحاد السوفياتي إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل لأنه لم يعد لها معنى ولم تعط أي قوة للعرب الأصدقاء له؟ بل أحسب أن إعادة العلاقات بين موسكو وتل أبيب قد توضح الموقف أو تفضحه، فهل يستجيب هؤلاء الأصدقاء الذين يلحون المرة تلو الأخرى على بعض العرب لينظموا علاقة دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي؟ فقبل أن يمارسوا ضغطاً على إخوانهم عليهم أن يتقدموا بهذا الطلب إلى موسكو تعيد العلاقات مع إسرائيل.

إن إسرائيل بهذه القطيعة الظاهرة بينها وبين الاتحاد السوفياتي تمتص العون من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية؛ لأنها في ظاهر الأمر مع الغرب ومع الولايات المتحدة حيث ليس لها علاقات مع موسكو مع أن في الزوايا خبايا، فأكاد أجزم بأن تل أبيب وإن كانت نيويورك الجديدة في فلسطين، فقوة السلاح الأمريكي والدولار الأمريكي أخطر منها المهجر اليهودي من الاتحاد السوفياتي.

وحبذا لو أن النداء الإنساني من الرئيس الأمريكي ريجان إلى الرئيس السوفياتي أندروبوف يطلب منه الجلاء عن الأفغان أن يضيف إليه نداءً إنسانياً آخر يطلب من مناحيم بيغن الجلاء عن لبنان، وينفذ قرارات مجلس الأمن، ولا يعود لتسميم البنات، إنه نداء إنساني من صميم الدفاع عن حقوق الإنسان!

- عن المسجد الأقصى

والشيء بالشيء يذكر، فقد نشرت الصحف خبراً أذاعته وكالة الأنباء القطرية خلاصته أنه قد تم تشكيل جمعية متطرفة من يهود إسرائيل وولاية كاليفورنيا الأمريكية باسم «صندوق جيل البيت» تستهدف أساساً هدم المسجد الأقصى المبارك وإقامة معبد يهودي مكانه يسمى بالبيت الثالث، وأن هذه الجمعية تسعى لجمع ما يزيد على مائة مليون دولار لتمويل نشاطاتها للعام الحالي، وأنها تنوي أيضاً القيام بحفريات داخل الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل باستخدام أجهزة إلكترونية متقدمة.

إن هذا الخبر نشرته لجنة إنقاذ القدس لم يثر بعد مشاعر العالم الإسلامي والأمة العربية، كما أننا لم نسمع بردود فعل من الشعب الأمريكي، فإن اليهود في الولايات المتحدة لن يتبرعوا لهذا المشروع، وإنما سيجمعون هذا المبلغ الكبير من الشعب الأمريكي دافع الضريبة، وباذل الدم في الجيش الأمريكي، فأى خدعة لشعب الولايات المتحدة أكبر من هذه؟

لا بد أنه سيصحو يوماً ما، إذا كان هناك رجال يرفضون أن يسلب اليهود قوة الولايات المتحدة في ممارسة الطغيان وهدم المسجد الأقصى وإباحة الناصرة وبيت لحم موطن السيد المسيح عليه السلام.

هل نامت العقيدة المسيحية فلا تصحو على ما يفعله اليهود في موطن الديانات، موطن الحواريين الذين نشروا المسيحية في أوروبا لتنتشر في أمريكا؟

فأللهمَّ عجل بإنقاذ مسجدك الأقصى تصب على اليهود عذاباً، فأنت

القاهر فوق عبادك، لقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، فلا ملجأ إلا إليك
وإلا بك، وإلا منك.

* * *

وأمنيات الشباب متعة ولو كانت من أحلام اليقظة، فقد تقسو المادة
حتى تقهر الحب، لا يصل إليه حين يظل في برج غير عاجي يبهرج حياته
بالأماني. وتمضي هذه المتعة حتى إذا اكتهل أو شاخ تجمعت لديه كل
الفرص يستحوذ على هذه الأماني حقيقة بين يديه، فإذا هو لا يطيقها
يرفضها، لأنها فقدت المتعة ولو أصبحت حقيقة.

فلقد قلت في «صورة» نشرت: «كنت أرجو أن تتحقق أماني، يلعب
بها على الطموح، ولو استطعت نيلها فلم أعد قادراً على التمتع، وهناك
مثله قاله «دزرائيلي»، اليهودي أحد صناع الإمبراطورية البريطانية، فحين
شاخ منحوه اللقب الكبير «لورد» فقال وهو يصعد الدرجات حين تعب: «

«الآن؟ ماذا يفيد هذا اللقب؟ لماذا لم يكن وأنا في شرح الشباب»؟! .

وأخيراً وليس آخراً فقد استبدلت وكالات الأنباء الخبر عن البنات
الطالبات اللاتي سمموهن بالغاز الأصفر فأرسلت الخبر باسم الطلاب، يعني
أن الطالبة أصبحت طالباً، لأن الغضب من أجل البنات شعروا بأنه أشد من
الغضب لأجل الطلاب، فقد حرفوا برقية وزير الصحة الأردني، أبرق إلى
المنظمات الصحية يناشدهم الكشف على الطالبات، فإذا وكالات الأنباء
تقول الطلاب وإذا «صوت العرب» يأخذ رسالة الوكالة فيقول الطلاب!

وإذا إذاعتنا تنحو هذا النحو حين أخذت خبر وكالات الأنباء على

علاته، فأذاعت أنهم الطلاب في النشرة الإخبارية للساعة الثانية والنصف من يوم الجمعة «أمس الأول».

أفما كان من الصحافة والرصانة واليقظة أن لا تترجم من وكالات الأنباء حرفياً تحطب في حبل إسرائيل مسخرة لليهود، فإن أرادت إذاعة الخبر ينبغي أن «يصنفر» ويهذب لا يذاع بترجمة حرفية، يكفينا أن الزلازل أصبحت هزات! وغير ذلك.

وإن خبر الطالبات اللاتي تسممن لم يكن خبراً من بلاد تركب الأفيال أو جزائر واق الواق أو عن السلفادور، وإنما هو عن الرقيات والزينات والفواطم والعاتكات من بناتنا وأمهاتنا. شيء من اليقظة يكفي وكالات الأنباء أن ترسل هذه الكثرة من الأخبار عن السلفادور ولا علاقة لنا بها وندفع الثمن غالياً، مالاً وتجديفاً لإسرائيل!

ثلاثون شهراً . . . ثلاثون عاماً؟!!

ويفوت القارىء الكثير من فقه ما يقرأ، فقد أدمنت القراءة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتهيئته كثيراً حين أحببته أكثر، ولكني لم أفطن إلى الشيء كل الشيء في هذا الإنسان العظيم.

إذا ذكره المؤمنون قالوا «الصديق» وإذا ذكره الفاخرون بأنسابهم أو المنتحرون في مذاهبهم قالوا «ابن أبي فحافة»، وتقولوا..

هذا الإنسان لم يكن عارماً وإنما كان صارماً، فالعرامة قوة بدن، والصرامة قوة وجدان، فكيف تسنى لهذا الإنسان الضعيف جسماً أن يكون كل الإسلام بعد رسول الله ﷺ؟ فلئن قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب حين برز على الإمام، كرم الله وجهه، لعمر بن ود العامري:

«لقد برز الإسلام كله للكفر كله، فكيف لا نقول في وقت أن أبا بكر كان الإسلام كله برز للكفر كله يجمع العرب في وحدة بعد الردة يجهز جيش أسامة، يرسل أربعة جيوش إلى الشام وجيشاً بقائدين إلى العراق، فإذا هو وفي ثلاثين شهراً يضع الأسس انتصاراً على الروم . . . انتصاراً على الفرس!»!

ثلاثون شهراً؟! سنتان ونصف؟! يصنع الله فيها هذه الأعاجيب على يد عبده الصديق أبي بكر؟ متى وصلت الألوية؟ متى عادت؟ متى وصلوا إلى الشام؟ متى وصلوا إلى العراق؟ مسافات طويلة لا أدري ما هي البركة في

هذه الثلاثين شهراً كل ما أدريه أنه التوفيق.

إنه الإيمان... إنه أبو بكر «لو وزن إيمان الناس بإيمان أبي بكر لرجح»!

ثلاثون شهراً؟ ما أقلها زمناً... ما أكثرها.. ما أطولها تاريخاً، لماذا أكتب ذلك؟ لأضع الثلاثين شهراً في ميزان المقارنة مع الثلاثين سنة... تسلب الأرض ويذبح الإنسان والعرب ليسوا هم في ردة عن إسلامهم وإنما هم في ردة عن شجاعتهم.. عن وحدتهم...

ثلاثون سنة... ما أطولها! ولكن ما أكثر الرزايا التي ذقناها من أجل فلسطين... علموا أطفالنا المقارنة بين الثلاثين شهراً والثلاثين سنة. رضي الله عن أبي بكر، وأخزي الله من أبغضه لسبب أو لآخر.

- رد العجز على الصدر

ولست من المجاذيب، وإن كان الجنون فنوناً، أو ليس الحب «الجنّة النعيم» هو نوعاً من الجنون؟! تذكر نجداً والحديث شجونٌ وجن اشتياقاً والجنون فنونٌ

فالجنون الذي أنا فيه لم يكن عرضاً في الحسد، وإنما هو هذه الأعراض التي أصبحت أمراض النفس، كأنما صحوة الوجدان مبعثها النكسة في الوجود، فأى نكسة في وجود الأمة العربية اليوم أشدُّ وطأة من هذه الردة الشعبوية، توزعت الأمة العربية فيها إلى أقاليم، لم تصنعها الشعوب وإنما صنعتها الزعامات، حتى أن السنين ذهبت فاستحالت الأعراض إلى أمراض، واستحالت الأغراض المثالية إلا عرض الأمثلة الجنائية.

ذكرني ذلك كله ما كتبتة - بعاليه - عن «الثلاثين شهراً» التي عمرت

أربعة عشر قرناً وسيزيد عمارها إلى يوم يبعثون.

عمارها أن وجدت العرب وأن توحدت دنيا الإسلام بالتوحيد من
كاشغر إلى قرطبة.

وزاد هذه الذكرى أو هذا التذكير هذان البيتان أنشدهما الدكتور عبد الله
الغذامي في تحيته للشاعر الكبير، بقية الناس، عمر أبو ريشة، وكان لهما
تأثير في نفسي، حتى إذا أعاد إنشادها صاحبها عمر أبو ريشة في حفل
تكريمه في بيت الابن عبد المقصود خوجه ليلة الثلاثاء الماضية كان جرس
البيان من عمر أبو ريشة شعراً في الشعر، فإذا بي وقد طفح الكيل لا أكاد
أقوى على الصبر، قد استحال العرض إلى مرض، والغرض إلى عدم،
أنهض بعدها أعود إلى البيت ولا زال جرسها تضيق به أنفاسي، وتصمت
أجراسي؛ لأن العرب اليوم كما تقول العامة أصبحوا في «جُرْسَة» يأكلهم
التجريس من فعالهم في كل مكان، حتى طمع فيهم شذاذ الآفاق والأوغاد،
مع أنهم لو كفروا بالردة الشعوبية وآمنوا بالوحدة القومية والجامعة الإسلامية
لأنقذوا أنفسهم.

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه البنات اليُتم
لامست أسماعهم كأنها لم تلامس نخوة المعتصم

ودعوني أذكرهم يوم كانت الشام والعراق في وحدة، كيف أن شاعرين
شاميين هما حبيب بن أوس الطائي «أبو تمام» الرأس الثاني في المحدثين،
وعمر أبو ريشة بقية الناس الذي لم ينفصل عن القدامى وساد في المحدثين
المعاصرين.

شاميان يكبران عراقياً عباسياً كأنما هما قد انسلخا عن الأموية،
وأسقطا الإقليمية، فعمر أبو ريشة هذا الشامي يحب «زمزم» كحبه

«بردى»، يحب «النيل» كحبه «الفرات»، يحب الربوة ذات القرار والمعين
كما يحب الكثيب الأحمر في نجد، كل شبر من الأرض العربية وطنه،
فلئن أضيع هناك فلن يلقي الضيم هنا!

فأمومة الشعر واللغة قالت له، تعال إلى أحضان الأم.

أين نخوة المعتصم؟! أين أبو تمام؟!

لقد بُحَّ صوت شوقي وهو يقول:

فمُ نادٍ جَلَقَ وانذب رسم من بانوا مشت على الرسم أحداثٌ وأزمانُ
فلا الأذان أذانٌ في منارته وقد تعالَى ولا الآذان آذانُ

ولا أريد أن أطرح كربى على القارىء!!

- صورة

وكانت ردة القبائل العربية قد اتخذت مظهراً أنها الارتداد عن الدين،
والعودة إلى الشرك، والكفر برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وما كان
ذلك يعني الارتداد عن الدين فحسب، وإنما كانت ردة إلى شعوية القبلية،
فأراد المرتدون أن تستقل قبائلهم وأن يسودهم زعيم منهم، حتى قالوا:
«كاذب ربيعة خير من صادق مُضَر». ويثبت ذلك أن هؤلاء الذين ارتدوا لم
يجتمعوا جيشاً واحداً، أي أنه لم يتوحد، بل كان كل قبيل على حدة،
وأنهم حين تابوا إلى رشدهم وذهب الزعماء المفرقون رجعوا إلى وحدة
الإسلام تحت راية التوحيد، فإذا هم بعد أن كانوا جنود الفتح المبين صاروا
جنود الفتح العظيم.

أوروبا وأفريقيا

وتوالت الأخبار يوماً بعد يوم عن المؤتمر، يعقد عن هيئة الأمم لمناقشة القضية الفلسطينية أو ما إلى ذلك، وكان العزم كما جاء في الأخبار أن يتم انعقاد هذا المؤتمر في ظل هيئة الأمم وبكل الذين ينتسبون إليه، ومع الذين يدعون إليه، في باريس.

وجاءت أخبار تالية ترسل الجرعة تلو الجرعة، تزرع الشك في ألا يعقد في باريس، حتى إذا أخذ الشك بعضاً من الرسوخ أعلنت فرنسا رفضها لعقد هذا المؤتمر في باريس، وطلبوا أن يعقد في جنيف، فإذا سويسرا ترفض عقده، فهل يمر هذا الخبر دون أن تطرح الأسئلة، توضح أسباب ذلك؟

أو هي تضع النقاط على الحروف، جرعة يتقطر من قطراتها اليأس من أوروبا كلها؟

فلماذا رفضت فرنسا ذلك؟!

هل هو الخضوع لخطرسة إسرائيل، ولسلطان اليهود، ولضغط القوى المعينة لإسرائيل؟

قد يكون ذلك، أم أن العاطفة الإفريقية تمد يد المجاملة للعرب، حتى إذا خدعوا بهذه المجاملة أعلنت العاطفة الإفريقية مع اليهود أنها لا تناصر العرب إلى هذا الحد؟

إن فرنسا قد شرّحها اليهود حين اتهموها بالحرب على السامية أيام

قضية «دريفوس» اليهودي الذي ثبتت خيانتة للجيش الفرنسي، فزرعوا فيها شيئاً من عقدة الذنب، كأنها المرحلة الأولى من الضغط بهذه العقدة التي استخزوا بها الشعب الألماني، فبلغت عقدة الذنب في ألمانيا مبلغ العقاب الذريع، فإذا فرنسا تحسب حساباً لحملات اليهود عليها فتذرعت بها، بينما أن فرنسا ما زالت وارثة الإمبراطورية القديمة لم تجد من ناصبها الحرب على الاستعمار كالعرب في شرق السويس أو غرب السويس، فوجدت الفرصة أن تجامل إسرائيل إن لم نقل تناصرها.

نَصَحْتُكَ لَا تَمُدُّ إِلَى أBRص يداً وإن أمطرت كَفَّاهِ دُرّاً وعسجداً
لأمر يلاقيك الفرنجي باسماً فزد حذراً ما زاد ذئب توذُداً
تراه صحيح الود وهو سقيمه كما تكسب الحمى الخدود تورداً

أما سويسرا فهي الدولة المحايدة، فتذرعت بأن هذا المؤتمر في جنيف بينما هذا الحياد قد اتسع لمؤتمر باليه، رفعت الصهيونية فيه رأسها، ووجد «هرتزل» كل ما يبغيه، حتى البروتوكولات كانت فيه. وقد اتسع هذا الحياد للزعيم الشيوعي «لينين» يقفز على إمبراطورية القيصر، كل هذا كان لأن الأوروبيين لا ينظرون إلى آسيا وأفريقيا والعرب إلا نظرة حاقدة.

ولكن، لماذا ألوم فرنسا وسويسرا؟

فقد يتعداهما اللوم إذا ما نظرنا إلى الخلفيات، كأن فرنسا وسويسرا بهذا الرفض يضعان نصيحة أمام العرب، ذلك أنهما يقولان بالمفهوم لا بالمنطوق.. أيها العرب.. إذا لم تستفيدوا من قرارات هيئة الأمم وقرارات مجلس الأمن، فما هي الفائدة من هذا المؤتمر؟

خطباء يتشدقون على منابر هايدبارك، يستحلبون منكم بالكلام بعض الزرع وما يحلبه الضرع من الخيرات العربية، مع أنه لا فائدة تعود عليكم

من ذلك، بل إنكم ستتجرعون المخدر تلو المخدر، ينتحر به الوقت ليسترق الزمن مع اليهود.

- إفريقيا

وانعقد مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا، يصبح بعد الرئيس الأثيوبي رئيساً للأفارقة جميعاً.

وإن أفريقيا - لن أكون مبالغاً حين أحسن الظن - بأنها بيئة مسلمة وإن تنصر كثيرون من أهلها، وبيئة تتعاطف مع العروبة وإن استعجم كثير من أهلها.

ذلك أن هذا المؤتمر قد أصدر قراراً يناصر القضية الفلسطينية وقد لا يفيد هذا القرار في الضغط على إسرائيل، ولكن أحسبه المفيد كل الفائدة إذا ما أصبح ضغطاً على الرؤساء الذين وقعوا عليه، فهم ملزمون بهذا القرار ألا يحدوا عنه، وأن يظلوا مع العرب، فلا ينسلخ بعضهم بعودة العلاقات مع إسرائيل، لأن إسرائيل والعنصريين في أفريقيا عون واحد ضد أفريقيا.

ولئن قلت إن القارة السمراء بيئة مسلمة تتعاطف مع العرب، رغم الكثرة من المسيحيين، فإن برهاني على ذلك أن سياسة أوروبا التي تؤيد العنصرية وتتنصر لأبنائها البيض هي التي أعجزت المسيحي الأفريقي عن أن يكون ذا عاطفة نحو أوروبا، فالتبشير كانت الغاية منه أن يكون المسيحيون في أفريقيا في عاطفة لأوروبا لا يحارب استعمارها وليكون عوناً لها في حربها، كما فعلت فرنسا حين جندت البنغاليين، ولكن ضراوة الاستعمار أضرت بالعاطفة المسيحية في أفريقيا، وأكثر ما ضر الاستعمار أنهم خططوا لياخذوا شباباً أفريقياً ومسيحياً يتعلم لديه، فإذا هؤلاء الشباب «ينكرون» و«سنجور» ومن إليهما، كانوا هم الحرب على الاستعمار رغم أنهم مسيحيون ورغم أنهم تعلموا هناك.

كما الأمر في آسيا، فالذين تعلموا في بريطانيا مثلاً كغاندي ونهرو ومن إليهما في الهند هم الذين أخذوا الاستقلال قسراً من بريطانيا. فالوطن وقوة العيش في ظل الاستعمار حملاً كلاً من الآسيوي والأفريقي أن ينتزع الاستقلال من الاستعمار.

إن الرئيس الأثيوبي منغستو هيللا مريام قد رفع صوته يطالب بالأ تعطي الولايات المتحدة قواعد، وما تذكر أن في أفريقيا أكثر من كاسترو هم في ذاتهم وسلوكهم قواعد للاتحاد السوفياتي في أفريقيا.

ولقد أصدر مؤتمر القمة الإفريقي قراراً بشأن قضية الصحراء ولم يتعرض عضو واحد ليسأل عن العلاقة بين أرتيريا وأثيوبيا وبين أثيوبيا والصومال.

سؤال لا أجد الإجابة عليه، فهو يطرح الإجابة غنياً عن إجابتي.

* * *

- صورة

وهزم حزب العمال البريطاني في الانتخابات، فإذا خلق «الجنّلمان» يحتم على رئيسه «مايكل فوت» أن يستقيل، ذلك من تقاليد الشعب البريطاني أن من يحوز انتصاراً عظيماً ينبغي له أن يستقيل ليحفظ بالقيمة التي فاز بها، يخشى إن استمر أن يكون في الأحداث ما يشوه ذلك النصر.

وكذلك إن حاقت الهزيمة بالزعيم لحزب من الأحزاب فإنه احتراماً لشعبه وصوناً لحزبه أن لا يستمر في زعامة الحزب، لأن الشعب والحزب أكبر من الزعيم، أما في غير بريطانيا فما أكثر الذين تتسرق زعامتهم للأحزاب، حتى لو انهزموا!

صولجان التغيير . . لا سلطان التدمير

وأمسك إمبراطور الكرملن ميخائيل جورباتشوف بصولجان التغيير مذهبيًا واقتصاديًا. . وسياسيًا وعسكريًا، فإذا هو قد أمسك بين يديه سياسة الدنيا كلها يسوسها بالضغط على سلطان التدمير. . فوضع إمبراطورية البيت الأبيض الثانية بعد أن كانت الأولى؛ لأن ما أعلنه إمبراطور «الكرملين» أخضع الأمن الخائف إلى شيء من الطمأنينة وضمن الخوف الأمن بكل الطمأنينة. . فالاتحاد السوفيتي نفسه والولايات المتحدة وحلف الأطلسي وحلف وارسو. . كل هؤلاء عاشوا قبل التغيير في سلة الأمن الخائف. . فإذا هم وبهذا التغيير قد غيروا في أنفسهم أمنهم الخائف إلى الثقة في أنفسهم وفي الاتحاد السوفياتي.

أما الإنسان الآخر في القارتين آسيا وإفريقيا. . فقد كان يعيش الأمن الخائف. . فإذا هو يلبس الثقتين: ثقته في نفسه، وثقته في الاتحاد السوفياتي. . فلم يعد ميخائيل جورباتشوف الزعيم الباكي الذي يضحك «لينين» والذي انتصر باليمين المتطرف ليقود شعب الاتحاد السوفياتي إلى اليسار المتطرف. . فمن حقائق التاريخ أن كل يسار متطرف لم ينتصر إلا باليمين المتطرف. . لأن سأم الشعوب من التزمتم يحملها إلى التغيير ولو كان إلى الأسوأ. . كما هو المثل العامي: (نحس داير ولا نحس مستمر).

وجاء ستالين فإذا هو العنفوان . . لا على الخوف الآمن، وإنما هو الأفعوان على الأمن الخائف . . يسلب أوروبا نصفها فلا تجد إدارة البيت الأبيض وأيام رئيسها العظيم روزفلت إلا وهي راضية بهذا التقسيم؛ لأنه بصورة أخرى منح الولايات المتحدة السلام من طغيان أوروبا وحروبها المستمرة . . رضيت بنصفها «حلف الأطلسي» واقتنص الكرملين النصف الآخر.

وجاء صولجان التغيير في يد ميخائيل جورباتشوف، لي طرح التعاون مع إمبراطورية البيت الأبيض في خفض الأسلحة من كل نوع . . فإذا أوروبا شرقها وغربها يفرحان بالأمن المقبل . . كأنما ميخائيل جورباتشوف بهذا الصولجان وضع أوروبا كلها بين يديه ليصافح بيديه إمبراطور البيت الأبيض . . لأن الإدارة الأمريكية بما خاضت من حروب أعجزها ذلك أن تكون كإدارة روزفلت يضغط على ستالين ليسحب جيشه من شمال إيران . . فهل هذا يعطي الاتحاد السوفياتي نفوذاً ما استطاع ستالين أن يأخذه.

وليس هنا مكان للتنبؤ فالليالي من الزمان حبالى . . ولدت هذا الصولجان وتواءمت بالوفاق المقبل بين الصين والاتحاد السوفياتي فإذا نبوءة «برتراند راسل» أنه لن تكون حرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حيث لا خلاف على المصالح فمن الممكن التصالح بينهما. وإنما الحرب ستكون بين الصين وروسيا؛ لأنه صراع أيديولوجي.

وما يدري «راسل» حين ذاك أن الأيديولوجية التي زعم أنها داعية الحرب انتهت في الصين حين بدأ التغيير في موسكو؛ بل قولوا حين انتهت نظريات الفكر وتسلط سلطان الجوع فهو الذي عدل هؤلاء ليخرجوا من الأيديولوجية إلى إعطاء الشعب أن يجد الرغبة وما إلى ذلك . . فالجوع وهو يعني الاقتصاد هو الصولجان الأول وهو السلطان الأول.

صورة

وما دام الشيء بالشيء يذكر، فإنه ليحملنا الزلزال الذي ضرب جبال القفقاس أو أرمينيا بالذات أن نغازل التاريخ، فأرمينيا لنا فيها دماء سواء كان دم العبشمي؛ عبد الله بن عامر وجيشه يوم غزا أرمينيا، أو كان دم بكر بن وائل حين انساحوا في سواد العراق (ديار بكر) وساحوا إلى أرمينيا.. كما أن لأرمينيا في العالم العربي دماء؛ فما أكثر الشركس والداغستان ليس أولهم الظاهر بيبرس وليس آخرهم محمود شوكت باشا بطل الانقلاب العثماني، وأخوه حكمت سليمان قائد ثورة العراق.. فهما شركسيان ولدا في العراق، يوم كان سيدهم داود باشا صاحب السلطان في العراق وما أكثر الداغستانيين من بيوت كبيرة لدينا وهذه ملحمة تتحلى بها هذه الصورة..

فقد حدثني صديقنا الوفي لبلده وحكومته إبراهيم سلسلة يرحمه الله قال:

كنت في كندا ممثلاً للحكومة العربية السعودية في مؤتمر البريد.. فإذا الوزير الكندي يقف أمامي ينظر إليّ يقول: أنت مندوب أي دولة؟ قلت: أنا مندوب المملكة العربية السعودية.. فقال: كيف؟ إنك أمامي الآن وكأنك لينين.. فالشبه بينكما كبير.. فقال إبراهيم سلسلة: لا تعجب فأنا قفقاسي كما لينين وضحك الوزير الكندي. لا أكتب هذا مغرضاً وإنما هي حيلة التاريخ.

فضيحة الطغيان . . فرقت الأعوان

وفضيحة الطغيان هذه التي فرقت الأعوان ليست إلا فضيحة اليهود أمام الرأي العام العالمي، بل وفي قصر الإمبراطور شرقياً وغربياً، وبل في كوخ العم سام. فاليهود لا يركبون مراكب الطغيان إلا بهذا الحبل من الناس . . حبل الذي يمدّها بالعون وحبل الذين يتقطع بين يدي اليهود لا ينتصرون لأنفسهم. وأعني الذين يخضعون للطغيان . . لا عن قلة في الرجال والمال، وإنما هي القلة حيث أصبح العرب يتأقلمون وهم حول فلسطين.

ولكن فتیان الحجارة والأجنة التي أجهضوها والدماء التي أسالوها أفرخت الحجر في الأرض، لأن الأرض المباركة في صمتها نداء وعلى سميتها وفاء.

إن اليهود اليوم أدخلوا أنفسهم في عنق الزجاجة . . فقد أصبحوا في ضيق من إعلان الدولة الفلسطينية على الورق . . فإذا هو التضييق عليهم حيث انقلب كثير من الأعوان يلومون اليهود كأنهم يتلاومون على أنفسهم . . فما كادت دولة فلسطين يعلنها العجوز الذي فاز أبو عمار حتى توالى الاعترافات، دولتان من أصحاب الفيتو أعلنت كل منهما الاعتراف ويعني ذلك أن مجلس الأمن تعادلت فيه الكفتان: إذا ما كان فيتو على العرب فسيكون الفيتو على اليهود . . أو لن يكون قرار من مجلس الأمن إلا ما مضى من قرارات اعترفت بها الدولة الفلسطينية.

وأحسبني لا أجازف برأيي: إن إعلان الدولة الفلسطينية وله أثره العالمي هو الذي ضيق الأمر على اليهود، بل هو اعتدال قرارات المجلس الوطني: تدعو إلى السلام وتعترف بالقرارات.

فقرارات مجلس الأمن هي التي هزت كيان اليهود.. لأن ميثاق هيئة الأمم لم يعد لعبة يلعب بها معين لليهود.. فالذين وضعوا بصماتهم عليه أصبحوا يعلنون مسئوليتهم عنه.. فكل الدول الأوروبية احترفت الترحيب بالدولة الفلسطينية، ولم يكن ذلك تنصلاً من اليهود ولا هو الوصال للعرب، وإنما هو الحفاظ على الأرض العربية شرق السويس لئلا يضطرها طغيان اليهود أن تمنح الاتحاد السوفيتي أكثر مما منحه حكومة تل أبيب.. فكل طغيانها يسرق من الولايات المتحدة نفوذها، ويمنح الاتحاد السوفياتي بعض النفوذ.. فحلف الأطلسي يخاف من ضياع الجناح الأيمن لحلف الأطلسي.. من مضيق البسفور ومضيق هرمز إلى مضيق جبل طارق.

هذا الخوف أزال خوفاً سابقاً.. فإذا السيد جيفري هاو وزير خارجية بريطانيا.. يندد بطغيان اليهود في فلسطين.. كأنما هو قال لنفسه: نحن حاربنا النازية وتقلصت الإمبراطورية.. فكيف نبقى على عون النازية الجديدة في فلسطين، وزاد قوله: قد نكون نحن نحمل عبء المسئولية عن وعد بلفور لكننا ما صنعناه من أجل اليهود فحسب، وإنما صنعناه من أجل طريق الهند.. هزمنا التكتل الإسلامي وهزمنا التكتل العربي، ولكي تدوم هزيمة العرب فلا يجتمعون كان وضع اليهود في فلسطين أسفيناً مفرقاً للعرب شرق السويس، وحاجزاً للعرب غرب السويس، فلم نفتنح بالكلمة «فرق تسد وإنما حتم علينا الوضع أن تسود دولة اليهود في فلسطين ليكون التفريق عملاً لا قولاً».

فالكلمة من جيفري هاو لم تضق بها تل أبيب بل ضاقت بها نيويورك
تل أبيب الغرب . . فهم وبلسان تل أبيب يطلبون أن لا يصل ياسر عرفات
إلى نيويورك . . كأنما مقر هيئة الأمم جزء من الإدارة الأمريكية مع أنه
المكان العالمي بعالمية الميثاق، أبيع لكاسترو أن يصل إليه يوم كانت أزمة
الصواريخ حادة، واستباح شيفنسكي مندوب الاتحاد السوفيتي كل القوى في
أزمة الصواريخ وهو على مقعده في هيئة الأمم المتحدة.

لكنه الضيق أباح لتناول اليهود أن يطلبوا منع ياسر عرفات من الوصول
إلى هيئة الأمم . . لئلا يصرخ صوت الحق في وجه صوت الباطل . . فلو
لم يعرفوا بأنهم طغاة لما أرجفت بهم كلمة من ياسر عرفات في هيئة
الأمم .

وغضب اليهود في تل أبيب من كل الذين اعترفوا بدولة فلسطين لكن
غضبهم قد اشتعل من اعتراف مصر بالدولة الفلسطينية . . كأنما مصر بهذا
الاعتراف قد هزت أعصاب شامير، فإذا نفر من اليهود يعتدون على سفارة
مصر في تل أبيب، وما سمعت الخبر ولا استقرأته وإنما هي العجوز السيدة
الأولى في البيت تلفنت إليّ تقول: - إسمع . . أنا فرحانة، اليهود اعتدوا
على سفارة مصر في تل أبيب، أنا فرحانة لأن الأمر أصبح (دقة بدقة . .
سدّ كليب في الناقة) ضربت سفارة تل أبيب في القاهرة وضربت سفارة
القاهرة في تل أبيب صرنا خالصين . . فقلت لها: بأنها فرصة تل أبيب ما
غضبت من أجل الاعتراف وإنما كان غضبها من أجل الصيد في الماء
العكر، تتواتر العلاقات مع مصر فتتنكر لحكم قضاة جنيف من أجل طابا
صنعت الأزمة لتماطل في طابا.

ولكنها مصر، ولكنهم العرب أمسكوا برجحان الكفة فلئن كانت طابة

غالية عند مصر فإن كل شبر في فلسطين هو الأعلى والأعلى .
وطلب اليهود في تل أبيب من يهود نيويورك أن لا يكون حاكم الولاية
(جورج سنو) عضواً في إدارة الرئيس بوش لا لم يوقع على طلب اليهود
يطالبون هيئة الأمم أن تمحوا قرارها ضد الصهيونية كأنما حكام الولايات
الذين وقعوا أهدروا حرية الشعب الأمريكي، أما جورج سنو فصان حرية
الشعب الأمريكي.. فالحق معه ولكن اليهود لا يعرفون الحق.. بل
وأهدروا حق الولايات المتحدة بهذا الطغيان.
لئن تباعد بعض العرب أمس فقد اقتربت بهم دولة فلسطين.. وهكذا
فرحت العجوز وفاز العجوز حين صنع الفوز فتيان الحجارة!!

النقد لم يأكل التراث

واستقبل نادي جدة الأدبي نخبة من العلماء المثقفين يحتفل بهم حيث أنهم تكتلوا تحت اسم هذه الندوة كناقدين للذين ظنوا أنهم أكلوا التراث فما أكلوه وما تأكل بهم وإنما هم أكلوا به ومنه فإذا هم وغيرهم ممن هم أقدم تراثاً على هامش التراث . . أحبوا «أن يأكلوا التراث أكلاً لماً» فإذا التراث حين نقده المورثون له يأكلونه ثمن ما كتبوا عنه ما لا أحبوه حباً جماً.

فالتراث هو الميراث . . بعض الوارثين أكلوا عنه ما هو كالحلال، وبعضهم أكلوا به حين أتخذوا التنقص نقداً والنقد تنقصاً فالعيب أن يكون الناقد ينتقص من انتقد يفتش عن الأخطاء حتى إذا لم يجد ما يكفيه أخذ يتهم المتنبي مثلاً بأن كل شعر الحكمة سطا عليه المتنبي من فلسفة أرسطو فأبو علي الحاكمي انتقد المتنبي ينتقصه يزعم أن شعر الحكمة في ديوان المتنبي أحمد بن الحسين مسروق من كلمة أرسطو والشريف المرتضي صاحب الأمانى نقيب الأشراف أخوه الشريف الرضي حمل على المتنبي يوم زاره أحمد المعري، فالبغضاء المذهبية سواء كانت على المتنبي أو على المعري أباحت للشريف المرتضى أن يسخر من شعر المتنبي فلم يسكت المعري لأنه يفخر بأنه الأعمى الذي أشار إليه المتنبي ينظر إلى أدبه إلى شعره فإذا هو يثني على المتنبي بالقصيدة مطلعها:

«لك منازل في القلوب منازل»

والمرتضى نم على نفسه فإذا هو يحفظ شعر المتنبي حين عرف الرمز الذي أراده المعري لأن في هذه القصيدة هذا البيت:

وإذا أتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

فطاش حلم المرتضى لا يحترم المعري فإذا هي تحسب عليه زلة وتحسب للمعري مفخرة.

ويعجبني ما سمعته من أستاذنا كامل الكيلاني حيث طال الحديث معه عن الثلاثي والعارفين له صادق عنبر، شوقي، وكامل الكيلاني نفسه، كان ناقداً في هذا القول بأسلوب الثناء على صادق عنبر وشوقي وبأسلوب الفخر يفخر بنفسه من حيث أنه أحد الذين أحاطوا بالكلمة الثلاثية.

قلت له وهل شوقي كصادق عنبر وكان قال: لعله أفضلنا. . . وتطرق الحديث أرهف أذني كتلميذ يتعلم من الأستاذ فإذا هو يرمي نسيج شوقي وكأنه من نسيج المتنبي لا يدعي أنه التقليد ولا السطو وإنما هي الموهبة «وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد» وجاء ذكر الحاتمي على المتنبي حين اتهمه بأنه سطا على أرسطو ذلك لا يخلو من أمرين فإما أن يكون المتنبي قد اتسعت ثقافته فاستوعب فلسفة اليونان واحتفى بأرسطو فهضم الحكمة ثم مثلها يتماثل بها في شعره الحكيم.

وهو بهذا يستأهل درجة الدكتوراه من حيث أنه استوعب الفلسفة فعبأها كلمة في شعره، لو أن أحد طلاب الجامعة أعد رسالة دكتوراه عن فلسفة أرسطو لنال الشهادة. . . والأمر الثاني لماذا لا يكون المتنبي صاحب موهبة التهمت تجاربه حين عرف هذا الزمان فصاغ الحكمة يعرب بها عن ما جرى

على الآخرين . . فلو نسينا كل كلمة للمتنبئ فإننا لا نستطيع أن ننسى هذا البيت .

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

فما من اختراع اراد صاحبه الخير إلا وانقلب بصنع الناس إلى تعامل بالشر .

إن الذين يأكلون التراث عجزوا أن يتأكل بهم التراث، أكلوا منه وعنه وبه بينما هو في سجل القراطيس هو الذي أكلهم حيث كانوا بالأمس عليه واليوم هم منه وإليه .

لقد حضرت استقبال المنتدين وليس في وسعي أن أشارك معهم لعجز العضل ولتعاضل النظر لكنني أطرح فكرة في صورة سؤال فهؤلاء الذين تمذهبوا بمذاهب الغرب يُنكرون على اللغة الشاعرة أن أدبها لم يحفل بالقصة . فقط لهم هذا على مقاييس مستوردة وإلا أين هم من معلقة امرئ القيس ومعلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة زهير وقصيدة الحارث بن عباد التي لم تكن معلقة أو قصيدة أبي طالب أفليست كل هذه القصائد تحوي قصة؟ . . غرام امرئ القيس . زعامة تغلب . الاحتفال بداحس والغبراء يمدح من أطفأ نارها . موقف النصر لبكر، موقف الانتصار لأبي طالب . . كل من هذه القصائد وما أشبهها فيها القصة بأسلوب اللغة الشاعرة التي ما عجزت أن يكون هؤلاء جاء في شعرهم القصة والتي أعطت لمصطفى المنفلوطي أن يسمع ما يترجم له فإذا هو باللغة الشاعرة لا أقول إنه ترجم القصة الغربية وإنما هي التي ترجمته كاتب بيان صَفَّقَتْ له اللغة الشاعرة .

ونأتي إلى الحداثة الدمثة ولعلّ بعضها غثاثة فما أظنها قد خرجت على اللغة الشاعرة إلا بأسلوب اللغة الشاعرة، اتسعت فإذا هذا الضيق من قلة

المحفوظ أو من صعوبته أحدثت جديداً ولا أقول التجديد فكل تطور به قالب الشعر من هذا الجديد ليس هو التجديد وإنما هو الحدث الجديد يكتبه المحدثون وهكذا فإني كمعاصر لشوقي والرافعي والمنفلوطي وطه حسين لا أعد وارثاً وإنما المحدثون بعدي هم الذين بما يكتبون يأكلون من التراث فلا يتآكل بهم ولا هم يتهالكون من الذين يغضبهم هذا الجديد.. فالعبرة بالكيف والعبرة من عين دامعة حين يكثر الكم بزيف الكيف.

إن اللغة الشاعرة سرمدية البقاء مادام هذا القرآن وليس هذا كلامي وإنما هو كلام الدكتور طه حسين.. يرد على شوقي حين قال: «أخشى على الفصحى من عامية بيرم» ولعلي أسترشد بأن اللغة العامية أكثرها فصيح في أداء المعنى وإن كان عوج اللسان قد أخرجها من نص الفصحى إلى هذا التنصيص بلغة العامية.. فلفظة «بعدين» هي (بعد أن) و«دحين» هي ذا الحين لفظة ولفظة «يستأهل» كتبها المازني يفحصها يستأهل وهكذا يمكن إرجاع الكلمة العامية إلى أصلها حين يجند أستاذ اللغة نفسه لهذه المقارنة توضيحاً وتفصيلاً.

الوطنية . . أرض وأخلاق

ولعلّ القارئ يعجب إذا ما قلت له إنني كتبت الفقرات . . دعائم هذا المقال في المنام . . كأنما عشق الوطن صحوة النائم . . وعقوق الوطن نومة الصاحي! كما أن الاحتراف يتسلط على صاحبه إذا لم يغترف في الصحوة . . يفرض عليه صحوة الاغتراف وهو نائم! فالاحتراف مرة أخرى عرفت تأثيره في أحد أساتذتي . . وكان رياضياً بارعاً - وهو السيد: حسين طه . . كان يحل المعادلة الجبرية وهو نائم . . من قوة الاهتمام، كما أن بعض الشعراء إذا استعصى عليه بيت وسط قصيدة ينظمه وهو نائم!

وأغرب من ذلك أن سيداً كريماً قد تعلق بالقرآن . . ولكنه ينام فإذا بعض من حوله من أهله أو أصحابه يسمعه يتلو سورة كاملة ما كان يحفظها في الصحوة . . ولكن تعلقه بالقرآن وهو يتلوه متّعه أن يحفظ سورة يقرأها في المنام، وما عرف عنه أنها كانت من الذي يحفظه في الصحو فاحتراف الكتابة مقالاً تلو مقال سخرنني أن أزور في الصحوة ما أكتب ليزورني في المنام ليسخرنني ما سأكتبه حين أصحو . . وهكذا كان هذا المقال . .

وإليكم القصة كمقدمة قبل أن أشرح ما أحب شرحه عن الوطنية . . الأرض والأخلاق .

رأيتني أحلم تسير بجانب فتاة مثقفة أمشي بها وتمشي معي لتصل إلى حفل عشاء أعده صاحب مقام في العلم والمكانة والإمكان . . وتحدثت إليها

عن الوطن والوطنية فإذا بي أقول لها: الوطن هو الأرض.. أو كما قال ابن الرومي: «أول أرض مس جلدي ترابها» لكن هذا الوطن الآن.. لا نستطيع أن نسمي ساكنيه.. ولو كانوا الذين ولدوا فيه «وطنيين» فالتسمية التي ينبغي أن تطلق عليهم أنهم المواطنون.. لا الوطنيين، فالمواطنة متعة بالسكنى.. واستغلال للسكينة.. لكنها أكثر ما تكون باعثة الفرار من توطين النفس على التضحية في سبيل الوطن.. فما أكثر الذين يفرون من مسؤولية الوطنية.. وهم الكثر الذين يتغنون بالوطنية.. حرفتهم الغناء لكن الوطن لم يَغْن بهم.. أي أنهم ما كانوا ثروة له.. أو أنه لا يطرب بهم.. فقالت: أتعرف الوطن كله؟ قلت: أعرف جلّه.. مذ رحلت إلى أكثر أرضه.. وأحبه كله حين أصبحت مطيته، فضعف الجهد لا يأخذ شيئاً من الاجتهاد والجهاد، وسرت معها إلى الحفل.. فلم نجد صاحب الدعوة.. قال حراسه: لقد سافر، فقالت الفتاة: وأين الوعد؟! قلت لها: قولي أين العهد! تعاهدنا أن نستجيب.. فإذا بنا لا نجد صدق وعد ولا صداقة عهد.. فقالت: لعلّ الحفل في مكتبه.. وأطعت أسير معها إلى المكتب.. فإذا ابنه يقول: لقد ألغي الحفل: لأن والدي سافر إلى نزهة.. جرّه إليها صاحب. فقالت الفتاة: إن هذه الصورة تعلمت منها أن الوطنية أخلاق.. منها احترام الوطني لأخيه. لقد كان في إمكان هذا الداعي أن «يتلفن» لمن دعاهم. قلت لها: بعض الذين يستكبرون بما أوتوا.. يركبهم مركب النقص بالتعالي.. أو مركب الكمال بالتعالي. فمركب النقص تصور كاذب لمركب الكمال.

وتركتني الفتاة مودعة.. حتى إذا كنت وحدي تذكرتها من هي.. فإذا هي تلك التي كانت تلعب معي حول بيت الشعر الذي نشأنا فيه وصحوت

لأكتب عن هذه المفارقة عن الوطنية وعن الجهاد لرد العدوان عن الوطن، فليس الجهاد الآن عن وطن المسجد المسلم هو ما وصف به «قزمان» يوم «أحد» حين حارب حمية . . لا عن عقيدة، فلقد كان قزمان قد حدد موقفه وطنياً لا عقيدة . . أما اليوم . . فالدفاع عن وطن السجدة حرب ضد مستعمر يهودي وغير يهودي . فإن ذلك ليس قرمانياً: فالأرض المسلمة أعطت المدافع عنها حق الدفاع عن الوطن المسلم . . وفي هذا العصر سابقة . . فبعض الذين كانوا يتفرنسون . . يحيطون في جبل فرنسا التي جعلت الجزائر أرضاً فرنسية . . هؤلاء من أجل فرنسا . . قالوا عن جهاد الجزائر أنها حرب قزمان . . كأنما بن باديس والمليون شهيد قزمانيون، ورأيتني أقول لهم: لا . . إنهم حنظليون حاربوا لتخليص أرض المسجد من المستعمر . . أن الوطنية . . الأرض والأخلاق، فمن الانصراف عن هذه الوطنية ألا يعرف من يدعيها إلا وطنية الحارة أو القرية أو الناحية . . أو حتى الإقليم . إن أخلاق الوطنية تفرض علينا اليوم أن يكون كل شبر من أرض العربي في أي إقليم . وكل شبر من وطن المسلم وطن لكل مسلم .

ويرحم الله ابن الرومي إذ يقول:

ولي وطن أليت ألا أبيعه
عمرت به شرخ الشباب منعما
إذا ذكروا أوطانهم . . ذكّرتمهو
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
عهد الصبا فيها فحنوا لذلكا

اليهود يتسترون . . فلماذا؟

واليهود في أول يوم تعصبوا فيه ليكونوا وحدهم فوق الناس كانوا يعرفون أن هذه الفوقية تجعل الناس يكرهونهم. فحينما كانوا بدأوا أهل غير لم يغضب منهم الذين كانوا جيراناً لهم. أو الذين رحلوا يستجرون بهم، فإذا هم لا يحترمون الجوار، ويتبطرون على من استجاروا به. كل هذا ألزمهم أن يتستروا وهم اليهود تحت اسم جدهم الرسول النبي عليه السلام يعقوب «إسرائيل» لا يريدون أن يظهروا باسم اليهود، لأنه اسم يحدد عقيدته ويوضح تصرفه فيضطروهم إلى الانعزال فهم دائماً يتكتلون معتذرين في كل بلد حلوا فيه.

وبعد اسم إسرائيل، أوجدوا ستراً آخر «الماسونية» فقد استطاعوا بما ملكوا من ثراء، وما يتظاهرون به من تفوق أن يجلبوا بعض الذين أحبوا لأنفسهم أن يكونوا من أهل الفوق فأصبحوا ماسونيين، بينما الماسونية كانت لجماعة من العمال الفحامين أو الأحرار الذين سخروا للبناء بناء الهيكل، ومن الغريب وقد أصبح لهم سلطان في فلسطين أيام ملك النبي الرسول داوود، وابنه صاحب الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده سليمان عليهما السلام. . فقد كان هذا ملكهم، بل هو علوهم الأول، ومع هذا لم يكونوا بنائين، ولا ماسونيين، لأنهم وإن كان دين التوراة التوحيد، إن اليهودي لم

يكن وثنياً كدين للجماعة وإنما هو الوثني إله نفسه، لا يعذب، لا يرجو الثواب، لا يخاف العقاب، لأنه قد اتخذ من عقيدة التوحيد أن يكون الواحد الأحد جل شأنه هو لهم وحدهم، وحين لم ينفعهم التستر بالماسونية جعلوا سترهم بدعوى السامية، صحيح أنهم عابرون كلدانيون، وساميون فلم يكن يدعون من قبل بهذه السامية لأنهم من ولد سام، يصبون الغضب ويعيبون أوروبا سواء في إسبانيا أو فرنسا، لأن الأوروبيين آريون يقتلون الساميين، وبرزت هذه الدعوة حين اتهم الفرنسيون اليهودي «دريفوس» بالخيانة والتجسس، وفتن الأوروبيون إلى ذلك فلم يعد ينتفعون - أعني اليهود - بالانتساب إلى السامية لأن الأكثرية من اليهود في أوروبا لم يكونوا ساميين عرقاً، بل أكثرهم ليسوا من بني إسرائيل وإنما هم من الخزر «اشكناز» فهم الآن قتلة الساميين العرب، وانهوا من السامية، فلجأوا إلى شر أخير هو «الصهيونية» فكل يهودي صهيوني، وليس كل صهيوني يهودياً. فالنسبة إلى صهيون الجبل في فلسطين ذريعة خدروا بها الذين يسترونهم أو هم الذين ينتصرون لبغضائهم الصليبية التي ورثوها. فإذا اليهود يتسلحون بالصهيونية وإذا الصهيونية تتسلح باليهود طغياناً على العرب حرباً على الإسلام. . من هنا أسأل: لماذا نحن العرب نقول الصهيونية ولا نقول اليهودية، أنخاف من تهمة التعصب، بينما اليهود لا يخافون أم أنا نحن العرب نريد دون قصد أن نكثر السواد من أنصار اليهود. كأنما نجد هذه الكثرة نضعها سلاحاً في يد اليهود. . فالتفرض سياسة الزعامة لأي دولة عربية أن تقول الصهيونية، ولكن لماذا يفرض الفلسطيني على نفسه أن يقول الصهيونية، ويتحاشى أن يقول اليهودية فأیما صهيوني في الغرب لا يريد أن تكون له مستعمرة في فلسطين وإن ناصر اليهود على ذلك. . وإنما هم اليهود الذين يحرقون المساجد ويخربون الكنائس، ويبنون المستعمرات. .

فمن الهزيمة المعنوية أن لا نقول اليهود.. ففي تاريخنا الأول، وفي رد الظلم عليهم نقول بنو إسرائيل، أما اليوم وهم الظالمون الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا فهم اليهود، أفلم تقرأوا القرآن.. إن السبي لا أقول أفسدهم، كما هو رأي أمير المؤمنين في حديث شيخ الإمام البخاري.. أمانا «سفيان بن عيينة» فقد قال: أن السبي أفسد عقيدة التوراة، لا أقول أنهم لم يصلحوا يوماً واحداً ليحملوا التوراة، حملوها فحرفوها، والفرس لم يأمرهم بذلك بل هو التلمود صنعوه تحريفاً للتوراة، والبروتوكولات تحريضاً على أن يكونوا أهل الطغيان فلا أحسبهم بذلك كله إلا التمهيد لظهور «الذجال» اليهودي الذي هو الكافر بالله المؤمن بتحريض البروتوكولات فعلى العرب أن يتركوا الصهيونية والإسرائيلية وليقولوا اليهود أعداء الذين آمنوا وهم المسلمون، عرباً وأعاجم.

ندوة الزقازيق

وأصغيت إلى تلفازنا أسمعه يذيع خبراً عن ندوة أقيمت معالمها بالحوار مع أعلامها كان الحوار فيها ليس عن نشر الأخبار أو التعليق على أي خبر وإنما كان الحديث يتنادى به المنتدون من علماء الجامعة في محافظة الشرقية عاصمتها الزقازيق وليس غريباً أن تكون هذه الندوة عن المملكة العربية السعودية حرماً وسياجاً أرضاً وإنساناً تاريخاً وبطلاً في مصر وفي أي مكان منه فلا يحجم عنها الأزهر ولا تتعد عنها أي جامعة من جامعات الكنانة.

وإنما العجيب أن تكون في محافظة الشرقية عن بُعد نجدها وحجازها عن تاريخ العلاقة الخاص بين الشرقية وتجار الإبل والخيول من عالية نجد خاصة «العقيم» ومن تجار الفحم والحطب من قضاة (جهينة وبلي) ومن إليها فالغربة أن تكون الاستجابة من محافظة الشرقية التي هي المحط الأول لعقيل والتجار كأنما الشرقية أخذت هذا الاسم من شرق الجزيرة العربية «نجد» فلقد كنا في الحجاز وفي المدينة المنورة ونطلق على نجد الشرق وعلى أهلها شروق فالحمد لله الذي أذاب الفروق وجعل هذه المملكة «دولة» واحدة عقيدة واحدة أرضاً واحدة شعباً واحداً.

وندوة الشرقية يجري فيها الحوار وكأنما هو إصدار القرار عن مكانة المملكة اليوم المستمد من مكانتها أمس. فمصر لا تنسى الفسطاط وصاحبه عمرو بن العاص ولا تنسى الحميري في الجزيرة ولا تنسى الهلالي

والسليمي والعلوي والجهني في صعيد مصر فالعروبة لمصر إن كانت من الأول فإنها باقية ولم تزل ما دام الإسلام ما دام القرآن غير أنني لا أريد الكلام عن الندوة خاصاً بها وإنما أستقرئ التاريخ عن علاقة مصر بجزيرة العرب .

أولها علاقة الفتح وثانيها علاقة عام الرمادة يوم أدهر العرب فقدموا على عمر ابن الخطاب إلى المدينة يقتاتون حين قل القوت يوم لم تمطر السماء فعبقري هذه الأمة عمر بن الخطاب كان يغيث بعون الله له هؤلاء الجياع يأكل معهم زيتاً وخبزاً وملحاً فإذا هو يوم قبل أن يستغيث كتب إلى ابن العاص أمير مصر يقول له: «يا لكع ابن لكع تأبى إلا أن تعيش أنت ومن معك وتريد أن أهلك أنا ومن معي» .

وكتب عمرو إلى عمر «لبيك ثم لبيك هذه العير أولها عندك وآخرها عندي» تمر العير عبر البرزخ عبر سيناء عبر الأردن عبر جهينة حتى تصل إلى المدينة أيام ما أطولها كأنما: عام الرمادة قد طال وأغيث الجياع بمدد عمرو ولا أدري هل هناك مدد من العراق هل هناك مدد من الشام قد أكون جاهلاً أو أن التاريخ جهل العلم .

واستغاث عمر فلم يجد كما قال يوماً ما أنه لم يكن بدعاء ربه شقياً وأمطرت السماء فإذا الرمادة عشب وإذا المرمدون قد اخضرت أرضهم فقال عمر «عودوا إلى بواديكم» لم يطردهم عمر من المدينة وإنما طاردهم ليتردوا إلى مواطن العشب والكأل ليكون منهم الغوث بعد الغوث وخطأ من الذين تغطرسوا فقالوا لبعض الناس أخرجوا من أرضنا فما خرج الناس وإنما هم الذين خرجوا .

إن علاقة مصر كانت سيئة الشكل بحملة محمد علي ولم تكن سيئة الموضوع وإنما هي حملة من الطرفين والبكتاشيين دفعوا السلطان محمود

أن يكلف محمد علي وصادف ذلك هوى في أن يكون محمد علي الإمبراطور في مصر مع أن مصر هي الإمبراطورية في العالم العربي حين لا يكون على رأسها إمبراطور قلت لأستاذنا عباس محمود العقاد يوم زرته في فندق بنك مصر في جياذ حين كان عضو بعثة الشرف لمصاحبة الملك عبد العزيز في رحلته إلى مصر قلت للعقاد ما بال مصر يجفوها العرب لرأي السياسي وسلطان الحاكم ويحتفون بها من أجل الأديب والشاعر والموسيقار والممثل والعالم فقال يختلف العرب في السياسة ويرفضون الإمبراطور ولكن وجدانهم قد امتلأ باللغة الشاعرة لهذا هم مع أدبها وشعرها وعالمها وموسيقاها ويختلفون مع آراء ساستها.

والخلاصة إن أمر الحاكم في مصر قد اعتدل حين اختلف إبراهيم بن محمد علي مع الدولة العثمانية فإذا أبناءه الخديويون يتقربون إلى آل سعود ويقترب لهم آل سعود ونجاة الإمام فيصل من مصر ليعود إلى نجد ولتعود نجد ذات السلطان في جزيرة العرب كانت نجاة فيصل الإمام وهو ابن الإمام تركي بعون واتفاق مع الخديوي حينذاك وقالها الملك عبد العزيز بعد لمحمد نجيب وجمال عبد الناصر في الطائف يوم زاره قال أنا لا يهمني أن يحكم مصر فاروق أو أنتم كل ما يهمني هو مصر وكان العبور فإذا الملك فيصل العابر فوق نصر العبور لأنه كان للعبور واليوم وباختصار طابت العلاقة على أحسن صورة بين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وبين رئيس جمهورية مصر العربية محمد حسني مبارك فالعلاقة مع مصر ما تعكرت لحظات ذات وقت ألا وهي الصافية على طول الزمن ولولا التطويل لكتبنا عن الأيوبيين والمماليك وحتى الفاطميين أحسن مما نستطيع أن تكتبه عن من كان قبلهم فصفحات التاريخ تضحك حيناً لنضحك وتبكي أحياناً فلا نستطيع البكاء.

الدولار . . القيمة والتقويم

والعربي اليوم وهو يعيش هذا الواقع ما أشد مرارته ليس من اليهود في فلسطين فحسب وليس من فرقة العرب في شعوبية الأقاليم فقط . . بل إن المرارة شديدة الضغط على أصدقاء الولايات المتحدة من العرب بل هو الشديد أيضاً الذين كانت مواقف الولايات المتحدة مع طغيان اليهود قد أوجد لها بين العرب أعداء .

فلعلّ سياسة الولايات المتحدة حين برزت هذه العداوة بدأت تسترضيهم بينما هي ما زالت تغضب الأصدقاء .

كل هذا الموقف المتشعب الأطراف جاء اليوم بأن نسمع من الإذاعة الأمريكية الصوت الجهير صريحاً واضحاً يضع ما سقط من هيبة الولايات المتحدة حين منعت بيع السلاح الأمريكي إلى أصدقائها العرب .

كان هذا التصريح من وزير الدفاع الأمريكي (كارلوتشي) مفاجأة الوقت كأنه التقويم لسياسة الولايات المتحدة يمتد به زمن .

كانت حملته على الكونغرس مباشرة مع إنها في الحقيقة حملة غير مباشرة على اليهود الذين أصبحوا يلعبون برجال في الكونغرس . لا أزعم أنها حماقة القوة وإنما الصحيح أن ذلك تحامق الذين يفترون بالقوة .

فهل قوة الولايات المتحدة هي في السلاح الذي أصبح معطلاً أم أنها

قوة الدولار..؟! فلقد كان الدولار فيما سبق قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل كان يسمى هكذا «الدولار مقدار الرجل».

قرأنا ذلك في كتاب ألفه الأستاذ «أمير بقطر» أعجبت به قوة الولايات المتحدة وحرية الشعب وشعار «البيزنس» أحدث قوة الدولار.

كان ذلك في الأمس أما اليوم وبعد تصريح وزير الدفاع الأمريكي لم يزل هو القوة ولكنه زاد على ذلك فأصبح المقوم والمعدّل لسياسة الولايات المتحدة فمنع بيع السلاح معناه تعطيل المصانع معناه خسارة الدولار فدولار الحنطة لا يكفي ثم هو قد حول العرب - أعني عدم بيع السلاح لهم - إلى حلفائنا من حلف الأطلسي لا يفرغنا أن يكسبوا ولكن أفرغنا أن خسرنا. فبيع الأسلحة من حلفائنا للعرب ينبغي أن يعرف الكونغرس أنه لم يشكل خطراً على اليهود في فلسطين بل هو قد شكل الخطر على ضياع نفوذنا ونفوذ حلف الأطلسي حين كنا بهذا التحامق منحنا الاتحاد السوفياتي أن يبيع السلاح فأول الصفقات منه فجعنا بأسر الطيار أسره صاروخ روسي بيد شامية بل واضطرتنا إلى الانسحاب من لبنان وإلى الذين لا زالوا أسرى لدى اللبنانيين لم يكن العرب ليصبروا على الحرمان من السلاح فلجأوا إلى غيرنا. حرمانا الدولار بل وحرمانا الاحترام.

وما أحسب أن وزير الدفاع نطق بهذا التصريح ضد الكونغرس بالأسلوب الديمقراطي فحسب بل وبقرار البيت الأبيض لأن ما نسميه الوزير هو في دستور الولايات المتحدة سكرتير لأن الرئيس هو كل الوزراء فلا يمكن لأي وزير أن يقف من الكونغرس هذا الموقف دون قرار من رئيس الولايات المتحدة.

ويعني هذا أنني ما زلت المتفائل بهذا العدول عن المواقف السلبية ضد

العرب والتعديل للموقف الإيجابي مع اليهود في تل أبيب الواجهة وفي نيويورك الاتجاه.

إن تل أبيب لن تفعل ما تفعله اليوم إلا بقرار اللوبي اليهودي الذي أصبح وزير الدفاع الأمريكي لا يخشاه.

ولعلّ لأي معلق على تصريح الوزير لا بد وأن يقول هو غورباتشوف حين أصبح إيجابياً فالإيجابية اليوم التي برع الاتحاد السوفيتي في سلوكها سلاح قوي أمسك به وزير الدفاع الأمريكي.

إن إيجابية الاتحاد السوفيتي ليست سلبية الاتجاه بل هي سلبية العمل ضد الولايات المتحدة. ولعلّ الشعب الأمريكي لا ينسى موقف التقسيم لأوروبا وكوريا ولضياح النصر في فيتنام ولضياح الشعوب الإفريقية حين أزيلت الصواريخ من كوبا انتصر كندي على خروتشوف ولكن النتيجة في فيتنام وبعثرة الشعوب الإفريقية والآسيوية كل ذلك أضاع حلم الاثنين الرئيس روزفلت قائد النصر في الحرب العامة الثانية والرئيس ونستون تشرشل مهندس النصر في الحرب الثانية كما هو اللقب منحه له شعبه بلسان المستر إتلي. فلقد قال تشرشل: «لم تعد بريطانيا تستطيع أن تحمي مصالحها عبر البحر الأبيض فأدخلنا الولايات المتحدة لحماية هذه المصالح».

وجاء اليهود يمسكون عصا الكونغرس لتضيع هذه المصالح.. إن تصريح وزير الدفاع ليس دعاية للانتخابات داخل الولايات المتحدة وإنما هو قد أتقن الدعاية ليطمئن الأصدقاء الذين فرغ صبرهم فاشتروا السلاح من غير الولايات المتحدة.

صورة

حين جلس المرشح الديمقراطي دوكايس أمام الصحفيين ليجيب على

أسألهم سألهم أحد الصحفيين وكأنه من أحفاد البناة للولايات المتحدة سأل يقول لدوكايس: أأست يونانياً أو ليست زوجتك يهودية وأردف الصحفي يلوح بيديه أأب على هذا السؤال قل للشعب الأمريكي من أنت؟!!

فقال دوكايس: نعم ولكنني أحب هذه الأرض أمريكا. لقد كان الصحفي يرتكز على أن التقليد الأمريكي لا يبيح لرئيس البيت الأبيض إلا أن يكون بروتستانتياً ودوكايس كيوناني العرق أرثوذكسي ثم لا يبيح البيت الأبيض أن تكون زوجة الرئيس يهودية.

لقد كان سؤال الصحفي كرة لعب بها بوش المرشح الجمهوري ولطمة لليهود لأنهم صنفوا حين تولى الرئاسة جون كندي الكاثوليكي الإيرلندي العرق. فرح اليهود بهذه السابقة لأن فيها الخروج عن البروتستانتية فهم اليوم أشد فرحاً بالمرشح الديمقراطي لأنه أرثوذكسي الصحفي الأمريكي قد أثار الشعب الأمريكي الذي يحافظ على التقاليد.

نجيب محفوظ . . وابن التلاميذ في السويد

وصفقت لغة العرب حين زغردت الكنانة في اللحظة الأولى التي أذيع فيها خبر الجائزة تتناولها يد النجابة . . يد نجيب محفوظ .

منحتها أكاديمية السويد ثلاثية الغرض . . ثلاثية العاطفة . . فالجائزة لنجيب محفوظ وإن كانت له حين استأهلها . . فإنها لمصر وإنها للعرب جميعاً .

فنجيب محفوظ الذي استأهل الجائزة . . فهو حين أخذها كان يهبها لمصر . . يهبها لأمته العربية . . فالعرب الأمة الواحدة تعودت من أول يوم في جاهليتها الجهلاء إلى كل يوم ينبع من أبنائها العلماء والأدباء . . تعودت أن يكون امرؤ القيس فخر العرب جميعاً، ولا ينكرون على بشار المستعرب أنه فخر العرب جميعاً .

أمة العرب من شاطئ الفرات إلى ساحل الأطلسي فاخرة اليوم بهذه الجائزة لا لأنها مادة يغني بها الحبيب بل لأنها وفاء الذين يحفظون الجميل لأمة العرب ولغة العرب . . صانعة الحضارة الوسيطة التي أشعلت نهضة أوروبا حين وصلتها من صقلية ومن الأندلس . .

ولم يكن نجيب محفوظ كما قالوا هو الأول الذي أخذ جائزة السويد بل أخذها قبله منذ سبعة وثمانين عاماً هجرية إمام عربي شنقيطي مدني

مصري وتركي اسمه محمد محمود التركي ابن التلاميذ . . الشيخ الأول لأحمد باشا تيمور . . بل هو الأول الذي أنطق الأزهرية بحب اللغة الشاعرة يسمو بها الأزهر الذي تسامت شهرته بالفقهاء .

ابن التلاميذ طبقت شهرته الآفاق . . لأن الرواية ما زالت حية وصلت أخباره وسما اشتهاره من قرية في شنقيط (إلى كل المشرق) بل وصلت شهرته إلى السويد إلى ملكهم العظيم (أوسكار) يدعوه الملك السويدي ليكون الطليعة العربية في المجمع العلمي السويدي فمن دقة الفهم للملك (أوسكار) أن لا يغيب الإسلام، ولا تحجب العروبة عن المجتمع العلمي في السويد . . فأرسل سفيره في مصر يلتمس من السلطان عبد الحميد أن يترضى الشيخ ذا العنفوان ابن التلاميذ التركي ليصل إلى (استوكهولم) يمثل المسلمين والأدباء على صورة لا تخرج عن النهج القديم . . فكلفه السلطان ويرسل معه التركي العظيم أبو الدستور «مدحت باشا» الذي نفي بعد ذلك إلى الطائف ومات فيه وقبر أمام باب الربيع في الطائف .

ووصل الشيخ فإذا التحية من الملك أوسكار يلقبها سفيره نيابة عنه . وكان هذا السفير بأسلوب كأسلوب الأعشى كأسلوب زهير . . كأنه من شعراء عكاظ، ويسمعه كل المجتمعين فإذا هو السفير لدى السويد . . عربي مسلم، وقد أخذته حماسته يستجيب لهذه الدعوة رغم أن ما طلبه من السلطان من شروط لا حاجة لذكرها لأنها عن موقفه في المدينة المنورة .

لم ينفذ السلطان ذلك ولكن الشيخ لم يتأخر عن الشرط الواحد الوجداني ألا وهو أن يكون ممثلاً لأُمَّته . . سلطاناً وشعباً ولغة وإسلاماً .

وهكذا فجائزة نجيب محفوظ هي كمثل جائزة ابن التلاميذ غير أن الوضع اختلف . . فنجيب محفوظ مُنحها وابن التلاميذ مَنحها فمُنحة ابن

التلاميذ لا يقل فخارنا بها عن فخارنا بنجيب محفوظ .

أما نجيب محفوظ الذي منح هذه الجائزة وما أجدره بها فهو كما قلنا من قبل كاتب مصري بَحْت قد يتنكر له بعض الذين لم ينحتوا لنفوسهم من حياة مصر .

إنه كاتب مصري بلغة عربية عربية بينما الدكتور هيكل في «زينب» وطه حسين في «الأيام» وتوفيق الحكيم في «يوميات نائب في الأرياف» قد كتبوا بلغة عربية مصرية.. فنجيب محفوظ كان بلدي النشأة لم يتفرج حتى يعود إلى مصريته بعد بينما الآخرون تأثروا بالفرنسية حتى إذا عادوا إلى مصر تعودوا أن يعرفوا ريف مصر.. وقد قال لنا ذلك الدكتور هيكل حين أجاب على كلمتي في حفل تكريمه.. قال:

- لقد رانت على قلوبنا ثقافة الغرب حتى إذا رجعنا إلى مصرنا وتراثنا كان ذلك الرجوع كالرياح السافية محت ما ران على أفئدتنا فعدنا إلى ما نحن عليه الآن.

وابن التلاميذ ما استطاع الإقامة في المدينة المنورة لأن الخلاف اشتد بينه وبين عالم المدينة حينذاك عبد الجليل برادة..

فابن التلاميذ كان يرى صرف «عمر» لأنه جمع عمرة لا إنه معدول عن عامر ويرى صرف «هريرة» لأن التصغير أخرجها من مانع الصرف ورحل ابن التلاميذ إلى السويد.. من استانبول ثم احتضنته مصر صديقاً لأحمد باشا تيمور.

أما القصيدة فسأشرها بعد لأنها تحفة.. وكذلك خطبة السفير والمرجع فيما ذكرت عن ابن التلاميذ كما هو نص العنوان:

الحماسة . . السنية الكاملة المزية . . في الرحلة العلمية الشنقيطية
التركزية لحضرة الأستاذ شيخنا العلامة ثقة الثقات وصفوة المحققين إمام
العلم بالحرمين الشريفين وخادمه بالمشرقين والمغربين الشيخ محمود بن
التلاميذ التركي الشنقيطي .

مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩هـ لصاحبها
إسماعيل حافظ .

ومؤلف هذا الكتاب هو الشيخ علي حسين الأزهري الحنفي .

ونجيب محفوظ أرّخ لمصر من خلال الرواية فبين المزايا وأوضح
الزايا - كأنما هو يرفض كل الزايا عن شعبه الذي لا يراه إلا وهو صاحب
المزايا .

فالرواية الآن في الأقلام تكتب التاريخ لأن المؤرخ حجزته الحواجز أن
يكتب تاريخ الواقع فيدور يؤرخ للقديم كأنما هو يرمز إلى الجديد .

من هنا كان نجيب محفوظ ليس كاتب الرواية فحسب . . وإنما هو
كاتب التاريخ المصري بأسلوب جديد كما كان الجبرتي كاتب التاريخ عن
واقعه بأسلوبه الذي كان مصرياً بحثاً وجديداً نحتاً .

قالت طابا . .

إن في جنيف حكماء . .

وفي نيويورك حاكمون . . !

وقالت طابا، وهي الأرض . . العرض والكرامة، إن في جنيف قضاة حكماء . . وقالت فلسطين . . الأرض والعرض، مازال في نيويورك حاكمون .

إن طابا أمتار من الأرض، ما باعها مصري؛ وما تركها مصري، مع أنها في الجغرفة ما كانت إلا كنعانية أرمية عدنانية، ولكن طابا مصرية التاريخ والسياسة، العروبة وهبتها لمصر . . لا، بل عروبة مصر استوهبتها لنفسها . . لا، بل إسلام مصر قال: (لا تتركوا شبراً من أرض المسجد لتبني فيها بيعة). وما بنت إسرائيل بيعة، وإنما بنت فيها وسيلة التماطل (الفندق) ليكون هذا الفندق موضوعاً لتكون المشكلة، وأول من رفع رأس المشكلة الذين قالوا وهم الحاكمون في نيويورك: لتبدأ المفاوضات .

فالأمتار من الأرض تفاءلت بالاسم طابا، لا لأنها اسم قلعة نصب عليها - بلغة الترك - (الطوب) أي المدفع تحرس الخليج . بل لأنها تفاءلت تتحلى بالانتساب لطيبة الفراعين الأحمسية، ولطيبة الإسلام المحمدية؛ أمتار من الأرض، ترابها وطن، أراد اليهود أن يكون ترابها تبراً، إن استمرت سياحية عندهم، وإلا فثمن الفندق تبر، وهكذا اليهود يعبدون الذهب .

ولكن قضاة جنيف أذهبوا عن اليهود أن تكون طابا مغتصبة لديهم.
وحين تحركت مصر تطالب بأرضها؛ فرضت على بني إسرائيل الرضوخ
لهيئة المحكمين. فلو لم تكن مصر قوية البنية؛ صادقة النية، لما رضخ
اليهود بقبول التحكيم. . هذا أول الغيث، فاتحة الغوث لفلسطين. . وأصدر
القضاة حكمهم بزفة عالمية لن تكون إلا في سويسرا التي لم تكن أرضها
إلا عرضاً إنسانياً، ملجأً للذين أضامهم الاستعمار، وللذين إن صدقت
نيااتهم أن يهربوا إليها من الاستقطاب.

سويدي لا يستكثر عليه قاضياً؛ لأن اسكندنافيا والسويد بالذات لم
تبتعد عن أن تكون سويسرا أخرى، وقالت لي طابا أسألك ألا تكون مع
بطرس غالي أحد أبنائي وأحد البنائين لوثائق الحكم، فلئن قال الدكتور
بطرس غالي أنه لا منتصر ولا منهزم، فقد لبس دهاء المعلم غالي بطرس
الأول، كما لبس وقار واصف غالي الذي هو صاحب خلق نظيف، فلئن
كان بطرس غالي اليوم وزير حسني مبارك فقد كان واصف غالي وزير سعد
زغلول، فأخذت أشد قول شوقي. .

هم بنوا مصر لا الجميل لديهم بمضاع ولا الصنيع بمنسي

ثم قلت إن مصر انتصرت، بل العرب انتصروا، بل الحكماء الذين
مازالت منهم بقية في أوروبا هم الذين انتصروا. سيكتب ذلك التاريخ، بينما
اليهود وإن ابتلعوا الهزيمة لا شك أنهم هزموا، فالقانون الذي انتصر ليس
هو الحبر على الورق، وإنما هو القلم في يد الحكماء كتب النصر.

والقانون الذي يهزم في نيويورك ليس هو الإنسان الذي انتصر ليس هو
الحبر على الورق، وإنما هو القلم في يد الحكماء كتب النصر.

والقانون الذي يهزم في نيويورك ليس هو الإنسان الذي حكم وإنما هو

سلطان اليهود الذي تحكم، فقضاة جنيف سيتحرك بهم قضاة نيويورك إن لم يكن اليوم فغداً، فسجل الوثائق في يد مصر، وأحفاد عبد العزيز فهمي وعبد الحميد بدوي والسنهوري هم القضاة الأولون الذين أحكموا أمرهم، فإذا قضاة جنيف يعرفون قدرة قضاة مصر.

لا أكتب عن طابا كإقليمي، فإن انتصار طابا طعنة قاتلة للإقليمية، فلو تأقلمت مصر غرب السويس، لما أقلمت طابا، وهي الأقصى، في شرق السويس.

- ولماذا انتصرت مصر؟

لقد انتصرت لأنها ما زالت قوية قبل العبور وبعد العبور، وبهذه العبرة فالحاكمون وراء الأطلسي يعرفون قيمة مصر، فلو لم يكن ذلك لرفض اليهود قبول التحكيم، فلأول مرة كانت الإدارة الأمريكية بصورة أو بأخرى ليست نقيضاً بحق الفيتو على الحكماء، فهي إن لم تملكه في جنيف كرفض قانوني فإنها تملكه كرفض سياسي، ولكنها لم تفعل.

- وما لنا لا نعطي فلسطين حقها؟ أليس فتیان الحجارة أصحاب الحق؟ وأليس إجهاض الأمهات أعطى للحكماء وثيقة إنسانية كان فيها الدعم لوثائق السجلات، فالانتفاضة كانت فيضاً كبرهان أشرق نوره فاستنارت أفئدة الحكماء. كما استنارت قوة الوثائق في يد قضاة مصر.

إن عودة طابا طابت بها نفوس الذين لم يتأقلموا.. الذين اشتروا أرضهم بالدم.. وهكذا عاش تاريخ العرب أمس في زفة النصر، نصر له ما بعده.. نصر دم الانتفاضة فاض ليظهر به أرض فلسطين من دنس الطغيان.

ولا بد أن نكتب حواراً عن قادة العرب جرى بيني وبين زعيم من زعماء الهند المسلمة وبين رئيس وزراء تركيا سليمان ديميريل فالحوار مع

الزعيم الهندي كان عن عواهل العرب ملكاً، وزعيماً ورئيساً. فالزعيم الهندي صب جام غضبه على هؤلاء لأنهم ثاروا على دولة الخلافة العثمانية - كما رأيه - فرسخوا استعمار الإنجليز للهند ومكنوا الحلفاء من توزيع التركة العثمانية حتى أنهم باعوا فلسطين لليهود.

وبكل الهدوء قلت له . . عواهل العرب والشعوب العربية ما باعوا فلسطين كل ما في الأمر أنهم وثقوا بحلفائهم الإنجليز والفرنسيين، وما كانوا عن معاهدة (سايكس بيكو) التي كانت غدرًا بهم، وطغياناً عليهم، وما كانوا يعلمون عن وعد (بلفور)، فقل (إنهم خدعوا، ولا تقل أنهم باعوا).
فالجهل خطأ . . والغدر جريمة . . فلا يعاب العرب بهذه الجريمة التي لم يجترموها.

أما رئيس وزراء تركيا السيد سليمان ديميريل فقد قال لنا وكنت مع الأخ شكيب الأموي في زيارة دعينا إليها حين استقبلنا (أنتم تعرفون أن الدولة العثمانية أيام سلطانها على البلاد العربية لم تفرط في شبر من أرض العرب . . صنا أرضكم عدة قرون وجاء بعضكم يبيع فلسطين لليهود) فقلت له: العرب ما باعوا أرضهم ولكن باعها أعداؤكم أمس أصدقاؤكم اليوم . . الإنجليز والفرنسيون فكل ملك عربي وزعيم لم يفرط بأي شبر من الأرض العربية وإنما كان هو الإفراط من الحلفاء ثم هو التفريط الآن حين تأقلم العرب فلا قومية ولا جامعة إسلامية. ولكن ستكون للإسلام صولة، وللعرب دولة يوم ندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة.

وهكذا . . فلينصف التاريخ الذين شانوا . . وليكتب التاريخ عن الذين زاغوا والليالي من الزمان حبالى .

ذكرى اليوم الوطني مواقف البطل وديرة الإسلام

وأحسنت إليّ - وفي عهد الشباب - القومية العربية، فقد حبيت إليّ المتعة والولع بسير الأبطال سواء كانوا من العرب الأقحاح، الذين قادوا الفتح وسواء كانوا من المستعربين الملاح قادة الحضارة الوسيطة فإذا الإسلام قومية الجميع وإذا اللغة قوام الجميع وإذا الأرض قيمة الجميع، وإذا المجد كان قمة الجميع، فما فاني سيرة بطل عشقت أعماله وشكرت مناله وما كرهت تجواله، فالبطل عندي هو ما صنع، لا ما تصنع به من مذهب أو خلاف، فالخليفة الراشد بطل، ومعاوية المسترشد بطل، والرشيد هارون بطل. الواحد من هؤلاء هو لمن إليه وهم بما هم له أو بما هم عليه.

من هنا عظم في نفسي حب رجال سعوا إلى وحدة الأمة، ولكن الأمر - كما قلت - أظهر على السطح الزبد الجفاء، ألا وهي - كما قلنا - أضحت القومية شعوبية العرب وأمست الشعوبية قومية الفرس.. كل ذلك نال من المسلمين، ولكن لن ينال من الإسلام، وكل ذلك قد نال من العرب، ولكن صحراء العرب سياج الحرم المقدس أبت إلا أن تعود قبائلها وحواضرها إلى إسلامها وعروببتها، فإذا الكتاب في يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في يد البطل تلو البطل من آل سعود، حتى أمسك بالبطولة الفتى

عبد العزيز بن عبد الرحمن . . نبغ ينتصر على الضيم لتنتصر به وحدة هذا الكيان الكبير . . المملكة العربية السعودية .

لا أريد أن أكتب عن الانتصار، أزاح القطيعة والإقطاع . فقد كتبت كثيراً عن ذلك ولكنه الموقف الواحد الذي لم أكتب عنه . . فما هو؟ . .

هو التعبير عن حجر اليمامة الرياض بأنها «ديرة الإسلام»، ففي شبابي قد ضاق إهابي عن فهمها . ولكن كهولتي اتسع بها استيعابي . فقد كنا في شبابنا نسأل كيف يُمنع الحجيج من شرقها وشمالها، فلا يدخلون ديرة الإسلام؟ يحطون رحالهم بعيداً عنها، بينما هم حجيج يحجون إلى مكة المكرمة ويشدون الرحال إلى المدينة، حين ضاق الإهاب عجبنا وحين اتسع الاستيعاب وفهم الصواب احترمنا .

- فلماذا؟

الإجابة ترتفع بها سياسة البطل في تنظيم العلاقة مع أي أجنبي كان حول السياج، التزم بصداقة عبد العزيز لأن الصحراء وقبالها أراد ألا يكونوا عقبة في طريق الهند، ومن مطالبهم - كما تعودوا - أن يكون لهم عين منهم يستقر في الرياض، فإذا الموقف السياسي للبطل يرتكز على الإسلام في ديرة الإسلام، فأهلها وعلمائها يرفضون أن يدخلها أجنبي لا يطمئنون إلى نوازعه المسلمة، فكان من حصافة عبد العزيز بن عبد الرحمن أن اتخذ من هذا التعبير بهذا الموقف عن ديرة الإسلام دعامة جعلته لا يقبل مندوباً أو سفيراً أو عيناً وعزز هذا الموقف قتل الكابتن شكسبير والأبحاث التي ظهرت فأمسك بذلك عبد العزيز .

صادق الموقف بحصافته السياسية وساد بهذه الحصافة فلا يكن عليه عين، حتى أن الشيخ حافظ وهبة - وقد كان له شأن - قَبِلَهُ عبد العزيز

كمسلم عربيّ مؤقتاً، حتى إذا تم جمع الشمل وتكوّن الكيان الكبير عيّن حافظ وهبه أول سفير له في لندن، فبعد أن كان الظن أنه عين حوله، جعله في لندن العين له، قال يرحمه الله: «هيا روح عند ربك».

لقد كان التعبير بديرة الإسلام ليس حصراً للإسلام في الإمامة وإنما كان به الحصر لئلا يكون هناك أجنبي.

وطول حياته وحين تم الكيان الكبير أبقى السفراء كما كانوا في جدة حتى إذا اطمأن الأمن وانتهت إمبراطورية الهند، لم يعد الأجنبي بعيداً عن ديرة الإسلام ما دام يمثل دولة وما دام لا يمارس إلا العلاقات المقننة مع دولته.

وهكذا كان عبد العزيز مسلماً على الذروة عربياً على السنام، أحد المجمعين، أمسك بالخلق النظيف، فكان ذا سلطان نظيف. ما أقل ما ملك في الجيب وما أجل ما امتلكه القلب. كان قليله كثيراً يرحمه الله، حتى إذا ابتسمت الأرض فأخرجت كنوزها ما تناول بها على غيره، فهو يكره التوسع، ولكن كان طوله في نواله لكل الغير من الذين استأهلوا أن يكون الغيور عليهم يرحمه الله.

وما دام الشيء بالشيء يذكر والمشابه اقتدى بالشبيه تلك مشابهة الموقف للموقف. لا مشابهة النديد للنديد ولا القريب للبعيد. فالموقف ألا وهو الاستناد إلى العقيدة والمبادئ والتقاليد، استند إليها السلطان عبد الحميد حين رفض الضغوط من اليهودي زعيم الصهيونية صاحب البرتوكولات «هرتزل». . طلبوا من السلطان عبد الحميد أن يمنح وطناً لليهود في فلسطين فاستند إلى الإسلام وإلى قدسية المسجد الأقصى وإلى حرمة الأرض المباركة حوله، فأقصى «هرتزل» رافضاً الضغوط.

والموقف الثاني، فقد كان لعباس حلمي الخديوي صاحب القصر في مصر وآخر من حمل هذا اللقب من أبناء محمد علي، حيث أصبح اللقب في مصر «السلطان» ثم «الملك»، فقد كرب عباس حلمي بالضغط الشديد من المندوب السامي البريطاني اللورد «كرومر» حيث طلب منه أن يرفض الأمر السلطاني العثماني، يعين شيخ الإسلام في مصر تركيا عثمانياً كتقليد جرى لإثبات تبعية مصر للدولة العثمانية، كرب عباس فإنه لا يريد فك، بالارتباط والتبعية للدولة العثمانية، فلجأ إلى مفتي مصر الأستاذ الإمام محمد عبده فأشار إليه أن يذهب لكرومر قائلاً لا ينبغي لي وأنا المسلم أن أتجنى عقيدتي وأتخلى عن تقاليدي، فالإسلام الرابطة بيني وبين السلطان، وأنتم مع الإنجليز - كما أعرف - تحترمون عقيدة الشعب وتقاليده، فعدل كرومر عن هذا الطلب.

وهكذا كانت ديرة الإسلام سناً لعبد العزيز ابن عبد الرحمن يرحمه

الله .

يا سارية الجبل . . انحرشار

وقبل أن أكتب عن تلبائية عمر بن الخطاب أبي حفص عبقرى هذه الأمة، فى قوله: «يا سارية الجبل» وقبل أن أشرح حصافة عبد العزيز بن عبد الرحمن فى قوله «انحرشار».

قبل كل ذلك، أتغزل بالجبل . . كيف له هذا التاريخ فى الإنسانية كلها؟ الجبال رواسى ترسو على الأرض وترسو بها الأرض، والجبال أوتاد، فالوتد يرسو به البناء.

البيت لا يُبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فالعماد شامخ والوتد يحفظ الشموخ والجبل فى سرندىب «سىلان» هبط
عليه آدم أبو البشر، فإذا الإمام الشافعى أو هو الزمخشرى يقول:

أمطرى لؤلؤاً جبال سرندىب وفيضى آبار تكروور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً ولئن مت لست أحرم قبراً
همتى همة المملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

والجبل «الجودى» استوت عليه سفينة نوح أبو البشر الأول على جبل
«سرندىب» وأبو البشر الثانى على «الجودى» وجبال فاران «قعىقان»
و«الخندمة» بينهما الوادى غير ذى زرع فى حضن «قعىقان» وفى لمسة من

«خدمة» كان قواعد البيت الحرام يأمر الله خليله إبراهيم ليكون هذا الوادي موطن الهجرة لإسماعيل بن إبراهيم وليرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فما بني القواعد وإنما رفع عليها البناء.

و«الصفاء» جبل ضررس من خدمة والجبل «حراء» نزل الوحي على محمد النبي فالنبوة عليه الصلاة والسلام كانت وهو يتحنث في الغار، والرسالة كانت على الجبل «الصفاء» والنجاة بعصمة الله كانت في حرز الغار على الجبل «ثور» والجبل «ثبير» يذكره أبو طالب في لاميته كما ذكر «ثبيراً» «وThor ومن أرسى ثوراً مكانه» الجبل «ثبيراً» يحتضن منى، حتى إذا ازدلف العرب من المزدلفة في جاهليتهم يقولون «أشرق ثبير كيما نغير» فهم لا يزدلفون من المزدلفة إلا حين تشرف على ذروة «ثبير» تقليد أبطله الإسلام «وThبير» تغنى به امرؤ القيس سواء كان الذي في منى أو هو سميه الذي في بني أسد أحضان نجد.

كأن ثبيراً في عرانيين وبله كبير أناس في بجاد مزمل وهكذا الجبل في مشاعر العرب حتى أن صحراءهم جبل وحتى إن طبيعتهم جبلة جبلوا عليها.

واستطردنا عن الجبل لاستقراء مشاعرنا نحو الجبل في مكة، وإلا فبعد أبي الأنبياء إبراهيم كان الجبل مع موسى عليهما السلام آنس من جانب «الطور» ناراً، فإذا هو يؤنس بالنبوة والرسالة فعلى «الطور» كلم الله موسى تكليماً حين مشى من الوادي المقدس طوى فتلقى الوحي هكذا جبل «الطور».. هكذا سيناء أرض السنا والسناء، هي من جزيرة العرب جغرفة وهي في التاريخ والسياسة مصرية حين تعانقت مصر وسيناء إذ صافح البرزخ جمع بين الأرضين.

والجبل «أحد» والجبل «عينان» بينهما وادي قناة بينهما مصرع الشهداء النصر يوم كان جيش أحد فوق الجبل يرشق المشركين بالسهم حتى إذا أعجلهم النصر عجلوا يتركون الجبل فكان ما كان النيل من المسلمين فإذا النبي قائد الجيش وقد شج جبينه بفهر من يدي فهري اسمه عتبة بن أبي وقاص لعنه الله أخوه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه، فأحتضن أحد النبي وأصحابه وقال أبو سفيان يهتبل لحظة وقت «أعلوا هبل» يريد علو الوثن، فرفع عمر بن الخطاب صوته يقول «الله أعلى وأجل» فالله الأعلى يوم اعتلى الإسلام على الجبل تلافياً بدر ولن يعتلي هبل.

والجبل «سليح» في غزوة الأحزاب غزوة الخندق تحصنت فوقه الذراري وقتلت فوقه صفية بنت عبد المطلب اليهودي، وكان سليح يحمي ظهر الرسول وجيشه، لا يلتف عليه عدو، ثم هذا الجبل حجز ريح الصبا في أيام شاتية لا يضار بها جيش الإسلام وانطلقت الصبا تنهك المشركين وهم في عراء، دكت خيامهم وأكفأت قدورهم وزلزلوا زلزالاً شديداً فقال رسول الله ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور، «فسليح» حجز الصبا عن النبي وجيشه ولم يجد المشركون حاجزاً للصبا، واستجاب الله دعاء رسوله والمؤمنين معه «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا».

والجبل «الجماء» يحتضن العقيق يستعرض نشيد العقيق فإذا هو موطن الغزل حتى إن جغرفة «عبر» الجبل تغتاز من «الجماء» وفي باطن الجماء الحجر الأرجواني نحتوه لتبنى منها أسطوانات المسجد النبوي، وحتى رمل الجماء أرجواني، وحتى قال ابن الأعياص طلبوه أبناء عمه إلى دمشق فقال:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيروني

القصر قصره كنا نقتل حوله، فاصبح الآن حوله جهابذة العلم، وسارية الجبل نداء عمر بن الخطاب وهو على المنبر يخطب في الصحابة الأجلاء، رضي الله عنهم أجمعين، فإذا هو ينادي: «يا سارية الجبل»، فسارية الجبل رضي الله عنه قائد جيش الفتح في خراسان، تجلى الله على عمر بالإلهام فانكشف عنه الغطاء يرى جيش سارية يكاد يخسر المعركة فرأى عمر الجبل فنادى سارية ليلجأ إلى الجبل فكان النصر. . نداء عمر بلسانه كرامة من الله وسمع سارية بأذنه نعمة الله. . قالوا إنها التلبائية. . ولماذا لا نقول إنها إلهام من الله لنصرة دينه. . أما الذين عجبوا من ذلك عجبوا من آمن بالكرامة، ومنهم من ابتلاه الله لا يكرم نفسه بالإيمان، ولكننا اليوم نشاهد صنع البشر. . تلفنة، وبرقيات، وتلفاز، كل وسائل موصلة، ومشهدة نشاهد البعيد وكأنه القريب، فالبشر صنع ذلك، وإلى خالق كل شيء، فليسقط التشكيك وأهل الشك.

والجبل شار في أرض مدين في شمال المملكة وقد كان البطل الملك عبد العزيز وعنده اللاسلكي يسأل جيشه بقيادة محمد بن سلطان قبل قيادة بن عقيل عن سير المعركة فقالوا له: إن ابن رفاة حق شار. . فقال عبد العزيز وما شار؟ قالوا الجبل فصرخ «إنحروا شار» أي اعتلوا الجبل تحصنوا فيه، اقطعوا عن أبي رفاة الطريق إليه فكان النصر.

تلك فطنة وحصانة من عبد العزيز وهي حين نال النصر كانت من نعمة

الله .

العرب . . أمة واحدة

والعرب أمة واحدة مذ كانوا على لغة واحدة . . لم يمر يوم على اللغة من دهرها الدهر إلا وقد زادها الاشتقاق والتعريب والمجاز والاستعارة . . فقبيل ما كان في يوم فإذا هو في اليوم الثاني يأخذ ما زاد عند قبيل مهما ابتعد في أرض غير أرضه التي فيها نجعه أو انتجاعه؛ كأنما الرواية الأسلوب الأول في المراسلة . . عربي في الأحقاب لم يتجمد على لغة فإذا صنعاء تمده بالجديد، وإذا نجد تمده بالمستجد فإذا هي اللغة الواحدة إن اختلف بعض ألفاظها في لهجة لم تخرج بهذا الاختلاف عن الفصاحة .

فلهجة قريش ليست تخالف لهجة هذيل في البعد عن الأصل ولا تختلف لهجة هذيل عن لهجة تميم وغطفان وأسد وهوازن وبكر تغلب وشيبان . . حتى إذا أحدث العرب مجامع علمية توجدت فيها اللغة . . هذه المجامع ليست قصوراً ولا كلييات وإنما هي أسواق عكاظ وذو المجاز ومجنة . . تفصح بها الناطقون يسمعون كلام شاعر أو خطيب كأنما النابغة وسحبان وقس بن ساعدة ومن إليه . . الأساتذة في هذه الجامعات . . وما كان عندهم قرطاس ولا القلم المذهب بل ولا القلم من الخشب لأنهم أميون . . لكن القرطاس والقلم كان فكر الراوية ولسان الراوية وآذان المرتوين .

كل ذلك إرهاب للإسلام . . وتم كل ذلك ببيان القرآن . . فإذا القرآن هو الحجة .

قال أحمد شوقي وقد تفيهُق أمامه بعض الذين يتلاغون بمعرفة اللغة إذ قالوا إن في القرآن بعض ما يخالف قانون اللغة - النحو فقال أحمد شوقي .
القرآن هو قانون اللغة . . فالخطأ في مخالفته والصواب هو ما جاء فيه .

وفي مجمع فؤاد قبل أن يسمى مجمع اللغة وفي الأيام الأولى من افتتاحه . . وكان يضم كثيراً من المستشرقين المستعربين وقليلاً من المثقفين العرب . . فلا العقاد ولا عبد العزيز فهمي ولا النشاشيبي . وإنما كان هذا القليل أزهرياً ودرعياً . . فأعد الأزهريون والدرعميون جدولاً بالمراجع . . مصادر اللغة . . حتى إذا تليت نهض الدكتور (فيشر) المستشرق الألماني الذي عشق اللغة الشاعرة . . نهض يسأل: هل جمعتم كل المراجع . . فقال أبناء اللغة علماءها: نعم جمعنا كل المراجع . . كأنما عز عليهم أن يسأل الألماني هذا السؤال . . فقال (فيشر):

- ألم تنسوا مرجعاً، لماذا نسيتم القرآن؟ فإذا علماء اللغة كأنهم مثل الرجل الذي حمل على كتفه ابنه ومن حبه له أخذ يسأل عنه أين هو . . فغمرة الحب كثيراً ما تنسى بعض مزايا الحبيب .

والعرب أمة واحدة حتى في المعتقد سواء كانوا صابئة في نظرهم إلى السماء عباد كواكب أو كانوا وثن . . حجراً أو خشباً . . تمثالاً لما يتقربون به إلى الله زلفى .

وحدة المعتقد نجدها ماثلة في الآثار ظاهرة على الأرض أو دفينه في التراب حتى «الجعل» ذكر الخنافس عبده الفراعين في مصر كما عبدوا الهرم (أبس) فالهرم وثن عاد والجعل وجد في حفائر الخليج .

والعرب أمة واحدة.. في وحدة الأرض من البحر الأزرق شرقاً إلى بحر الظلمات غرباً.. فلو لم تكن الأرض واحدة لما حافظت على اللغة الواحدة، ولما احتفظت بالعقيدة الواحدة.

والعرب أمة واحدة حين وحدها الإسلام.. فأعزها إذا اعتزت به وإذا كان إيمانهم وسيفهم نوال العزة للإسلام.

وهذا قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: ٩٢).

والعرب اليوم أصبحوا شعوباً مع أنهم في حاجة إلى أن يكونوا الأمة الواحدة تلك رجعية ما أحسنها لأنها سلاح التقدمية اللهم أجمع الشمل.

وحبذا أن يكون حكم الوحدة إسلام العرب لا المذهب ولا الأيديولوجية ولا الإقليمية.

لجنة العفو وحقوق الإنسان

واحتفلت لجنة العفو في لندن تذكّر إنسان الأرض بمرور أربعين عاماً على إعلان (وثيقة حقوق الإنسان).

هي وثيقة من لم يكن لها سلطان التنفيذ . . فلم يعرف إنسان الأرض في آسيا وأفريقيا في أمريكا الجنوبية احترام حق الإنسان في العيش بأمان من إرهاب الطغاة . . سواء كانوا الأباطرة أو كانوا السماسرة، وقد يكون طغيان السماسرة أشقى من طغيان الأباطرة . . لهذا لا أقول الميثاق كما يدعون أو كما هو الدافع لإصداره والبشري به . . فالميثاق يفرض احترامه على الذين وقعوه وأصدروه. أولهم أباطرة الفيتو. وليس من المضحك أن الصين فيها الميثاق كان ينتهك الموقعون الصين أول ما انتهكوا. أفليس إبعادها عن مجلس الأمن وهيئة الأمم انتهاكاً لملايين البشر من شعب أطعمهم السكر دون أن يتبلور وأعطاهم القرطاس والبارود قبل أن يعرفه هؤلاء. ثم هم العرب بعد الصين قد أنهكت حقوقهم وهم الذين بلوروا السكر كما أن العرب بلوروا الحضارة الوسيطة ومع هذا فحقوق الإنسان منهم مهددة من الذين دجلوا على الناس بهذا الميثاق.

واليوم تحتفل لجنة العفو لمدة ستة أسابيع بحفلات الموسيقى تجمع الأساطين من الموسيقيين ليحتفلوا بهذا الميثاق ولا أدري هل من أساطين الموسيقى عربي أو صيني. ولا تعجبوا إن لم أقل إفريقي . . فموسيقى

إفريقيا حاضرة في هذا الاحتفال. وإن لم يكن واحداً من الموسيقيين الإفريقيين أهل القاهرة السراء قد دعا إلى ذلك. لأن هذه الموسيقى التي في هذا المهرجان أكثرها من موسيقى إفريقيا. لأن أمريكا التي لم تنصف السود فقد تناصفت حين اعتزت بالرومبا والسامبا رقصاً وغناء، ومع هذا إفريقيا ترزح تحت هضم حقها الإنساني.

ولنسأل لجنة العفو لماذا لا يكون في هذا الاحتفال رثاء للميثاق لأن وضع الإنسان اليوم يتمتع به الثناء على الميثاق.

أين حقوق العرب في فلسطين؟!

أين حقوق الإفريقي في بريتوريا؟!

كل حق لهؤلاء مهدر. . سلب الأرض وهتك العرض، وقتل فتیان الحجارة بل وقتل أجنة في أرحام الأمهات وبل وطرد الفلسطينيين من وطنهم.

ولولا بترول الخليج لكانت الآرية مع الأربين ولما كان هذا الموقف الوسط. . فإن العرب في العراق وعلى الخليج وبين من هم شرق الخليج.

غير أنني ألمح وميضاً ظهر ومضه في الموقف الأمريكي الآن. . فعدوله عن طرد منظمة التحرير الفلسطينية عن هيئة الأمم حيث بقي مكتبهم كما كان. . عمل شكره الفلسطينيين، وثانياً الاحتجاج الأمريكي على طرد الفلسطينيين، كلاهما موقفان لا أظن أنهما بدافع الوقت وحملة الانتخابات وإنما هي بداية تنبؤ عن ضغط الشعب على الإدارة والكونجرس لأن الشعب الأمريكي بدأ يشعر بأن الضرائب التي يدفعها يذهب بعضها عوناً لطغيان اليهود.

الشعب في حرية الديمقراطية قد ينصف حقوق الإنسان من خلال إنصافه لنفسه. . لا يبقى مسخراً لليهود.

إنها البداية ينقطع بها جبل الناس الذي كاد وهو المتصل ببني إسرائيل كدولة نشاز تحتل الأرض وتقتل إنسانها.

هذا الجبل المتصل باليهود يكاد ينقطع أوصالاً بين ناسه من العرب وناسه من الأمريكيين . . فالهيئة الأمريكية كانت جبلاً قوياً كاد يمزقه اليهود، وما أظن كل هذا إلا البداية لسقوط علو اليهود الثاني . . فالله أخبرنا في كتابه العزيز القرآن . . أن اليهود بني إسرائيل سيعلون في الأرض مرتين . . فقد ذهب علوهم الأول بالسبي بسيف نبوخذ (بختنصر) وإن كان هذا السيف عابرياً من العبور إلى بابل أو هو النسب إلى عابر ابن شالخ بن أرفخشاد بن سام نوح . . كما اليهود من هذا العرق . . فهم عقوا عابريتهم كما عقوا ساميتهم .

وأما العلو الثاني فقد بدأ بوعد بلفور، وطغى بعون الأباطرة ولكن وعد الله حق فقد بدأ انحذارهم إذا ما فقدوا العون وسيبدأ دخولنا نحن المسلمين إلى (المسجد) كما دخلناه أول مرة . . إلا وهو المسجد الأقصى . .

صورة . .

والصورة هذه عن رؤيا رأيتها قبل هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧م . رأيت سهم الزعيم انكسر . . حطمه يهودي . . فابتأست . . ثم هدأت أصرخ أنادي:
أيها العرب أبشروا فإن اليهود لن يكون لهم ملك . . فقد استجاب الله لدعاء الرسول النبي سليمان بن داود: (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي).

فمن حيث أنه لا ملك كملك سليمان لأحد، فأول الأحد هم اليهود، وذلك مصداق لانهيأر لعلوهم الثاني.

السودان : إسلامه طاعة وعروبته استطاعة

ويأبى السودان، وليس إنسانه من القصار وإنما إنسانه من السمر والطوال ..

يأبى السودان بهذه العلاقة .. علاقة الجوار .. نافذته على البحر الأحمر .. يطل علينا، ونافذة جزيرة العرب على البحر الأحمر .. أطلت عليه وأظلمته .. فاهتدى .. تنزاح عنه الضلالة، فإذا هو قد أسلم بالدعوة طاعة. وإذا هو يشمخ بالعروبة استطاعة.

فالنجاشي وكان السودان في حوزته كأنما الحبشة والسودان كانتا إقليمياً واحداً نجاشياً .. حتى قال بعضهم: إن الهجرة إلى الحبشة كان مقرها سودان اليوم.

وحتى نهر النيل نجاشي كما هو وصف أحمد شوقي:

النيل نجاشي حليوه أسمر عجبني لونه ذهب ومرمر

فالسودان كثيراً ما كان سؤدداً كسؤدد بعض اللآلي والأبنوس وسواد الأعين النجل ..

إسلام السودان لم يكن بالسيف .. كان طاعة ..

وعروبته برزت استطاعة .. فهل هي العدوى أم هو انجذاب العرق

السامي . . فهؤلاء السود على ساحل البحر الأحمر ساميون . . فانجذب
الذين أسلموا إلى العروبة .

صهر الإيمان بالقرآن علمهم أن يعربوا وأن يستعربوا .

فلو أمعنت النظر في جباه هؤلاء لا تجد نتوءاً، ولو نظرت إلى الأنوف
فستجدها أنوفاً سامية عربية لم يشبها خنس . .

فالسودانيون ليسوا فطس الأنوف . . فهما قبيلان من هؤلاء السود ترى
على ملامحهم سمة العروبة . .

السودانيون وقبائل «الفلان» في غرب إفريقيا وفي بعض أوساطها، وهم
الفلاتة في مالي وما إليها .

كل هذا الذي كتبت تعرفون منه معنى التعاطف بين خادم الحرمين
الشريفين وشعبه والسودان .

فالعاطفة ذخرننا لا نبخل بها بل هي تحفزنا إلى النجدة، وعاطفة
السودان أن هذا الإقليم المسلم العربي كان موضع الحضانة ليس لواحد من
العرب لحقه الضيم في أرضه وإنما لأكثر من قبيل عربي . .

فمصر أرضها حضانة وإن دخلت الإسلام بالسيف . . فما دخلها عربي
بعد عمرو إلا وهي كالسودان الحاضنة لشوامخ من العرب اضيموا، ولقبائل
من العرب وجدت الطريق يرحب بها إلى السودان . . إلى مصر . .

ففي السودان قامت دولة لجهينة في شماله وفي جنوب مصر كما حقق
ذلك الدكتور عوض محمد عوض في كتاب فخم ضخم فإذا جهينة قسم
منها في السودان الآن . وقسم منها في محافظة «قنا» وهم «الحميدات» كما

أن هناك في السودان وفي مصر أسراً جهينية لها زعامة في السودان ومنها
باشاوات في مصر .

كما أن رجالاً من بني العباس وأفراداً من القبائل تحالفوا فإذا هم
(الجعيلين) نسبة إلى قولهم: «قد جعلناكم منا» .

ولا تنسوا رحلة بني رشيد من «حرة فذك» وهم أفواج ركبوا السفينة
بنعمهم وضأنهم وما ملكوا . . لجأوا إلى السودان كأنما هي موجة عربية
نجدية حجازية . . تخطوا الخشن من ساد الغراب كما سبقهم بنو هلال
وسليم إلى مصر أيام المعز الفاطمي بعد تلك الأيام السود التي وطأ فيها
الأخشين وبغى نجدا . . فبنو هلال وسليم لم يرحلوا طلباً للنجعة وإنما
لجوءاً إلى ابن عمهم الفاطمي .

ولم يقولوا لهم أنكم الهكسوس وإنما قالت سوق بني هلال: سنفتح
لكم المغرب كله بل ونعرب لكم المغرب بالكثرة الكثيرة . . أكثر كما من
تعريب الفاتحين . . ويرحم الله بن باديس شيخ الجزائر حيث قال يرد على
الذين عابوا بني هلال بأنهم خربوا فقال ابن باديس .
«لئن قيل أنهم خربوا فلنقل إنهم عربوا» .

والغريب أن الذين عابوا بني هلال كانوا عرباً صليماً سواء انتسبوا إلى
هانبيال أو كان نسبهم إلى جهينة .

والغرابة أن ابن باديس بربري منهاجي . ولكنه القرآن صهر فؤاد ابن
باديس فإذا هو ذو لسان عربي وفؤاد مؤمن . . جاهد في سبيل استقلال
الجزائر . .

والسودان وما حل به الآن لا مقايضة بما أسلفت وإنما هو وازع خادم

الحرمين الشريفين المسلم على الذروة العربية على السنام: (ولكل امرئ من دهره ما تعودا).

وقد تعود الملك فهد أن يحافظ على التراث وأن يعلو به الميراث ولم يكن ذلك الجديد منه، وإنما هو القديم من عراقة النسب وعظمة السغب وارتفاع الحسب.

ولعلّ أبا فراس الحمداني أمرني أن أنشد قوله:

إنني إذا اشتد الزمان	وناب خطب وأدلهم
ألفيت حول بيوتنا	عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيوف	وللندی حمر النعم
هذا وهذا دأبنا	يودي دم ويوراق دم

قلال هجر . . براميل زيت

وهجر عاصمة البحرين . . يوم كان اسمها ويوم كان اسم الأحساء وما حولها (البحرين) وهل الخليج بحران؟ عشقه ابن خلدون فسماه البحر الأزرق وعرفه أهله أنه بحران لا بحر واحد. على السطح الملح والأجاج وتحت السطح في الأعماق العذب الفرات، كأنما بينهما برزخ لا يبغيان، وهل هما بحران، لأنهما منابت اللؤلؤ والمرجان؟ أم لأنهما قد ارتبط بهما الساحلان العربيان ساحل جزيرة العرب وساحل العرب في الأهواز (الأحواز).

وقلال هجر، حفظناها من وصف رسول الله ﷺ نبي الرحمة سيدنا محمد إذ وصف سدره المنتهى (نبقها كقلال هجر) فهل الوصف يعني وزن النبق وكبر حجمه لا يعني الاستطالة، فالتكوير للنبق هو من خلق الله لكل ثمرة، فرسول الله ﷺ يعرف أرضه يجرفها بما أثمرت. ويعرفها - أعني هجر - أنها أرض ذات نخل، والعربي في جزيرته يحفل بالنخل لأنها أعظم زاده، فقد قالوا (إن المدينة يثرب لا تجوع وفيها الأسودان التمر والماء) حتى نوى التمر علف حيوانه، وإذا هو اليوم «أعني النوى - العلف في مطابخنا يستخرجون منه الزيت . . وفي هجر اليوم منبع النفط وقد كان نوى ثمرها مصدر زيت، خفي علينا وظهره اليوم».

والرسول الكريم ﷺ وقد بدأ يخطط للهجرة من حيث أمره الله فإذا هو عليه الصلاة والسلام ينظر إلى ذوات النخل ليهاجر إلى أرض ذات نخل، فإذا هي . . نجران . . اليمامة . . يثرب، وما كانت الهجرة بأمر الله ثم بيعة الأنصار أوسهم وخزرجهم إلا إلى المدينة المنورة، لأن الله كتب النصر فيها . . بها لها . . للذين صدقوا ما عاهدوا الله أنصاراً ومهاجرين .

ولو كانت الهجرة إلى غير المدينة، ولنتحدث عن عمل البشر لنجد أنفسنا أنه قبيل واحد في هجر وقبيل واحد في اليمامة وقبيل واحد في نجران، ذلك لا يحقق النصر الذي تحقق بالهجرة إلى المدينة لأن المدينة المنورة مجمع قبائل العرب، فما أكثرهم حولها غطفان بقضها وقضيضها وما أنجد من القبائل بجدها وجديدها وما تشمل بعزها طارفها وتليدها وما كان غربها أسلمها وغفارها يوم كثر وليدها، هذه القبائل حاربت الإسلام أول الأمر، حتى إذا جاء نصر الله كانت اثني عشر لواء لكل قبيل لواء يوم المسيرة للفتح المبين .

هجر يوم كان لا شيء كان ضمها للكيان الكبير العون لكل شيء من تمام الجمع والضم لهذا الكيان الكبير، فأول الجمع اليمامة وثانيه عالية نجد وثالثه هجر ونجران، أما الرابع فالمدينة المنورة، كان استقبال المدينة لأمرها صاحب السمو الملكي محمد بن عبد العزيز هو كمال الجمع وتمام الضم .

هجر قلالها زاد للقبائل حولها وحتى قبيل اليمامة، وقد أنعم الله بتمرها وأطفأ الخلاف من جمرها، تلك نعمة زادت فإذا قلال هجر براميل زيت، كأنما زيتها هجرة جديدة من عطائها إن تم لهذا الكيان الكبير العمار الكبير .
فالتحية لهجر . . الأحساء، المنطقة الشرقية ولكل ما حولها ولكل من

هو حول لها. كأنما أكتب ذلك في شهر الهجرة أذكر بعطاء كل شبر من أرضنا وعطاء كل قبيل من أهلنا.

صورة..

وشاب من أهل الصحافة، أرجو ألا تفوته الصحافة، سألني: من منهما الذي تحفل به نزار أم أدونيس؟

قلت: عجزت عن القراءة بل وحجزت نفسي عن قراءة، فدعني من هذين فالشعر اليوم قد أقيمت له أمسيات السباب خارج الحدود كأنما الكآبة تنفست بالمسبة فقال: ما الفرق بين نزار وأدونيس؟ قلت: نزار شاعر على المستوى قد عرف قبل، لكنه اليوم فيه من كرب النفس وصعوبة التنفس، أما أدونيس فهدام، شهوة النفس وخطر التنفس.

قال: لكن أدونيس أكثر ثقافة من نزار قلت: ولكن إبليس أكثر ثقافة من أدونيس.

وما زلتُ قوميَّ المشاعرِ

وكتبتها في عكاظ الجريدة فعكاظ السوق جامعة الفصحى لم تكن فيه قراطيس وإنما كان متسعاً للراوية اتسعت به حافظة العربي فارتوى من سماع القول المبين، فروى أقوال المبينين، فإذا هو ديوان العرب ملاً الأسفار حين كان الرواة يمتطون الأسفار.

كتبت تحت هذا العنوان «ما زلتُ إمبراطوري المشاعر» فإذا أحدهم يقول: مالك قد تراجع عن عروبتك القومية لترفض التاريخ بقوميات الإمبراطورية، قلت: ما رجعت وإنما استرجعت ذكرى إمبراطوريات قومي العرب، سواء تلك التي أسرفت في اعتناق القومية وهي في صدر إسلامها، وسواء تلك التي فرطت بالقومية لتنال ملكاً تناولته من يد الشعبوية، لهذا قلت من قبل «القومية شعوبية العرب، والشعبوية قومية الفرس» نعم فقومية العرب التي رجعت إليها لا أريدها شعوبية لأن إسلام العرب حصنهم الرصين «فما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» لم يقلها ساطع الحصري ولا عزيز علي المصري ولا عبد الرحمن عزام الذين كانوا آباء القومية العربية، وإنما قالها الحكيم الفرنسي أعني الفيلسوف «غوستاف لوبون» ولكن تطاولت ألسنة على العرب وتعطلت أسنة العرب، فإذا بي أسمع أن العرب كانوا موجة همجية فتجمع الأجلاف بدواع اقتصادية ليسلبوا الأرض، كأنما

هذا الصلف وهو الجلف في عواطفه أعد العرب في عداد الموجات الهمجية والمغولية بالذات «اثلة» يوم انساح في أوروبا، أو ما تلاه «جنكيزخان وتيمورلنك» ونسي يحمله حنقة موجة الصليبيين والاستعمار الذي مازال باقياً يتلون بأشكال شتى يقهر حين يبهر، وما يتقاهر أمام ذلك كله إلا الذين أنامهم الترف وما أقامهم الشرف.

العرب حين اعتنقوا الإسلام احتدت سيوفهم لينتصروا، ورقت قلوبهم ليستثمروا الانتصار ليصنع إنسانهم الحضارة الوسيط فلو قهروا إنسان الأرض التي فتحوا، لما كان من هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام الأئمة الكبار في كل فنون العلم وفروع الثقافة وارتفاع الحكمة، لو قهروا الجهل، ولما جاءت حضارة اليوم لا تستطيع أن تتبرأ من الحضارة الوسيط، صنعتها الأمة الوسط، إنسانها عربي.. فارسي.. تركستاني. هندي لكن اختلاف الجنس أصبح واحداً بجنسية اللغة، فسيبويه والفارابي وأبو حنيفة ومحمد ابن إسماعيل البخاري ومن إليهم كانوا من أرض غير عربية، ولكن كل واحد منهم رضي الإسلام ديناً والعلم ديدناً ولم يعبر عن ذلك بلغة العنصر وإنما بلغة الضاد.

قلت لمن أسمعني سبة الحاقدين للعرب يوم قال إنهم أصحاب الجمل وبيت الشعر وأرادوا أن يركبوا البغال وأن يسكنوا قصوراً قلت: وهل هذا إلا من كان يمتطي الكلب، يجر عربته فوق الثلج، كما الكلب سلاحه يحميه من الذئاب الجمل نفخر به والكلب لا نذمه، ولكن أليس الجمل مطية زاهية وصل بها العربي إلى مشرق الشمس وإلى مغربها؟ أما الكلب فقد أعطى راكب العربة فوق الثلج أن يكون اليوم هو الذي عبر التاريخ على جسر بناه من النزح الاستعماري.

وما أحسن وصف العرب جند القادسية دعامة الفتح للشرق، ذلكم وصف قائد القادسية سيدي خال رسول الله صاحب الموقف في أحد ذلكم سعد بن أبي وقاص قال «لولا أن الله فضل أهل بدر لفضلت عليهم أهل القادسية، ذلك أني رأيت هنات أهل بدر ما رأيتها في أهل القادسية كلمات سعد هذه هي بسقت على وجه الذي يصف العرب بأنهم رعاة أجلاف، فتحوا الأرض ليعيشوا، فالرد هو في تصرف أهل القادسية انتصروا فجمعوا الغنائم فما غل أحدهم من الغنائم شيئاً يستغله وضعوها أمام سعد وأرسلها إلى عمر لا ينقص منها شيء، ليس أولها الإيوان ولا أساور كسرى وليس آخرها رسن حصان أو هودج فيل هكذا العرب، يوم جاعوا أشبعونا وحين شبعوا من عقيدة التوحيد وتوحيد الكلمة.

مكارم الأخلاق والعرب

والعرب في جاهليتهم عبدوا الوثن واختلفوا قبائل تتقاتل وأياماً تؤرخ، ولكن رغم كل ذلك بقيت لديهم بقية من ملة إبراهيم الأشهر الحرم، والبيت الحرام، والكرم وحماية الجار، والحليف ورعاية الموالي، تلك مكارم أخلاق تأكدت بقوله عليه الصلاة والسلام «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فخاتم الرسل (نبي الرحمة سيدنا محمد أرسله الله برسالة هي ملك الأخلاق). ليس في أمرها، ولا في نهيها أي اختلاق، ولكنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق ومعنى ذلك أن قومه كانت لديهم أخلاق كما ذكر.

مارس بعض العرب وأد البنات، فإذا كرام منهم حرموا وأد البنات، اشتهر منهم قيس بن عاصم المنقري السيد الأول في تميم، وما عرف في قريش أن قرشياً وأد بنته والخبر عن عبقرى هذه الأمة الفاروق عمر بن الخطاب بأنه وأد بنته كذبه أئمة الجرح والتعديل، فقد كان أحد رواة من الذين يبغضون عمر، وكذا الأنصار ما عرف عنهم ذلك وجاء الإسلام يحرم الواد، ففي القرآن آية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير: ٨ - ٩). أما قتل الأبناء خشية الإملاق فذلك كان قليلاً حين لا يجد الأب قوت ابنه فنزلت آية من القرآن ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١). ولكن بعض المترفين في أيامنا هذه يقتلون الأجنة من وفرة الشراء حين انتزعت الشهوة من الخلق الحسن إلى أسوأ الأخلاق.

وهو منع الولادة.

مكارم الأخلاق أضرب لها أمثلة، فهذه أم المؤمنين السيدة خديجة قالت لرسول الله زوجها محمد ﷺ يوم وصل إليها من حراء يتدثر «زملوني» حين هبط عليه الوحي: «يغته غتا» أي يضمه ضمة صعبة.

يقول له: اقرأ، وصل الرسول ﷺ إلى بيته حتى إذا رآته الزوج الحنون أم ولده التي كانت صوناً وعوناً قالت تطئمنه تثق بربها: «إن الله لن يخزيك وإنك تعين الكل، وتطعم الجائع، وتصل الرحم، وتعين على نوائب الدهر، فذكرت مكارم الأخلاق، كأنما هي تتوسل بها إلى الله، وقد كانت مشرقة فزوجها وقد نبأ لكنه لم يرسل، ولكنه حين صدع بالأمر على الصفا بعد فترة الوحي كانت خديجة قد أسلمت حين بلغها أنه الرسول الأمين، فهي أول النساء إيماناً».

احتجت بمكارم الأخلاق على الوضع الذي كان فيه الرسول زوجها محمد.

ومثل آخر قال: إن أم المؤمنين قبل أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ ألا وهي أم سلمة (هند بنت زاد الركب أحد شماريخ مخزوم، أسلمت مع زوجها أبي سلمة، هاجرت معه إلى الحبشة، عادت إلى مكة، تحركت إلى الهجرة إلى المدينة المنورة كأحد المهاجرين؛ فإذا هي مع طفليها على حمليها في «التنعيم» الذي يسمونه العمرة الآن. وبينما هي كذلك وحدها أقبلت مكارم الأخلاق تحملها نفس مشرقة هي نفس عثمان بن أبي طلحة العبدري، هو قرشي)، وهي قريشية ولا أكثر، هو عبدري وهي مخزومية رآها هذا المشرك فقال ويا عظمة ما قال: «هند؟ بنت زاد الركب؟» أتهاجرين وحدك، والله ما هذا بالنصف كأنه يشتم مخزوماً حين تركوها

وحدها كأنه يشني على نفسه حين أنكر ذلك وأثنى على نفسه أكثر حين لبس مكارم الأخلاق فشد لها بغيرها، وأخذ يركب جملة، يحرسها يمشي وراءها فما أكثر الأيام، وما أكثر المراحل حتى أوصلها إلى قباء وهي في الأمن حين كان معها هذا العبدري عثمان بن أبي طلحة صاحب مفتاح الكعبة الذي أسلم بعد والذي كان شهيدنا في اليرموك، أفليس جزاء مكارم الأخلاق هداية الله .

ومثل ثالث، فهذا عمرو بن ود العامري المشرك فارس قریش يعد في ملحمة عنتره قرينا لعنتره قفز على حصانه الخندق في غزوة الأحزاب يطلب البراز، فبرز إليه علي الإمام كريم الوجه أحد الخصمين في بدر، خصم في سبيل الإسلام، فعمرو بن ود على فرسه، والإمام كان راجلاً ولكن الإمام علي كان الإسلام كله برز للإسلام كله، ذلك كلام رسول الله محمد ﷺ، فيوم برز علي قال النبي . «لقد برز الإسلام كله للكفر كله» واتجه علي إلى عمرو فإذا العامري يقول للهاشمي، القرشي يقول للقرشي: «ابن أبي طالب؟ ابن أبي طالب؟ لا أريد أن أقتلك فقال ابن أبي طالب. أنا أريد أن أقتلك أنصفتني».

أي أنزل من فرسك، تبارزني رجلاً لرجل، فإذا خلق الفروسية، ومكارم الأخلاق جعلت فارس المشركين ينزل عن فرسه، يقاتل علياً راجلاً لرجل، فلو لم يكن ذا خلق وهو على شركه لقاتل علياً وهو على حصانه ولكنه أنصف ونزل عن حصانه، فإذا هو يُقتل أليس ذلك من مكارم الأخلاق .

فما عساني أن أقول اليوم. أقول ليس كثيراً عن عرب اليوم أن يكون فيهم مكارم أخلاق، ولكن قد أحيط بهؤلاء أصحاب الاختلاق فما يصنع الكريم، القليل مع اللثيم الكثير.

«لم يكونوا كوفيين ولا مصريين ولا شاميين»

ولعلي إذا أقرأ استقراء التاريخ أجدهم قد كتبوا أن الذين اغتالوا ذا النورين «عثمان بن عفان» كانوا من الكوفيين والمصريين وحتى إذا قرأت عن وقعة الحرة ورجم الكعبة وحرقها قالوا: شاميين، ولكن فقه التاريخ نعرف منه أنهم ليسوا عراقيين كوفيين من ولد الأنباط، ولم يكونوا المصريين من ولد الأقباط، ولم يكونوا الغسانيين أو البهرانيين أو الكلبيين من أهل الشام. وإنما كل هؤلاء كانوا من أهل الجزيرة العربية. من قبائلها من الفاتحين. ليسوا من أهل العراق ولا من أهل مصر ولا من أهل الشام، كلهم من قبائلنا أترفهم الشراء من غنائم الفتح فأتلفهم الخلاف، فاعتصبوا يهدرون حرمة المدينة المنورة قاعدة الفتح الأولى، قاعدة الهداية بعد الهجرة.

وسلوا أنفسكم أهل ابن الأشعث عراقي؟ وهل محمد بن أبي بكر مصري؟ وهل محمد بن أبي حذيفة كوفي أو مصري وهل عمرو بن العاص الذي قال ما تركت أعرابياً على رأس جبل إلا وشغبت على عثمان كان فاتح مصر رضي الله عنه ولكنه قرشي لا مصري. . كمحمد بن أبي بكر كمحمد بن أبي حذيفة قرشي. . وهل حرقوص بن زهير رأس الخوارج كان عراقياً؟ إنه قبلي تميمي، فلئن شرفت تميم بشماريخها ليس أولهم القعقاع. وإن كان أولهم قيس بن عاصم المنقري وليس آخرهم من يكون أقسى على الدجال من أمة محمد أن القول بهذا الانتساب الذي أنكره ليس تبرئة لعرب

الجزيرة وإنما هو تحديد للمكان الذي أتوا ليس فيه التحديد لمكانة النسب . . . وحين قالوا الشاميين عن وقعة الحرة وحرقت الكعبة فما كان من فعل ذلك من أهل الشام . فوقعة الحرة قائدها عقبة ابن مسلم المري . . أي من مرة غطفان فكل جيشه كان من قومه ليس فيهم شامي .

وغزو مكة الأولى بجيش يزيد وحصارها الثاني بقيادة الحجاج لم يكن جيش هؤلاء شامياً وإنما كان من قبائل العرب فالحجاج ثقفي وجيشه كان ليفياً من هؤلاء الذين كانوا أنصار بني أمية ولعلكم تلفتون نظركم إلى أن العباسيين حين تولوا السلطان سلوا سيفهم على أبناء عمومته العلويين فما أكثر قتلاهم حين توالى القاتلون من بني العباس .

من هنا أزعج أن رحلة بني هلال وسليم ومن لف لفهم كانوا موجة عربية أخرجها الضيم من نجدتها إلى مصرها وإلى مغربها . وحتى أن من بقي من القبائل بعضهم قد غير نسب الجد هروباً من الفتك وأحدث نسباً جديداً يوم أصبح هذا النسب حلفاً لا جديداً شاركوا في العبث فيما مضى فإذا هو ينقلب عليهم حتى مضى عليهم ما مضى .

لماذا أكتب ذلك؟ كل هذا إجابة لسؤال طرحه صديق . . لماذا يقتل الفلسطينيون بعضهم في لبنان؟

كان غاضباً . . فقلت له أليسوا هم من العرب؟

وسردت عليه ما كتبت قبل . . خلاصته أن العرب بعد أن توحدوا ووحدوا حتى إذا فتحوا الأراضي أبطروهم الترف فاغتالوا عثمان بن عفان . فإذا هم من ذلك اليوم يغتالون أنفسهم . وأسألوا التاريخ عما جرى . . وليس ذلك أعتذر به عن الفلسطينيين وإنما هو نذر الجاهلية الثانية تبشر بعودة إلى إسلامهم ووحدتهم لينتصروا كما انتصروا من قبل .

العرب من هم؟ ما هم؟

والعرب من هم؟ حين سادوا، وما هم؟ في واقعهم اليوم، من هم يوم وحدوا وتوحدوا، كانوا قلة في العدد، لكنهم كثرة في المدد، في اليرموك كم؟ وفي القادسية كم؟ وفيما تلا من نصر، كم هو الكم؟ فمن اليقين أنهم ليسوا الملايين، بل لعلهم لم يعرفوا يوم كانوا (من) كلمة المليون، عرفوا الألف فألفوا الألف، عشرة الألف مائة ألف . . ألف ألف، في بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر. في اليرموك كانوا ستة وثلاثين ألفاً لا مئة مليون. وفي القادسية لم يصلوا إلى المئة ألف ولكن كان الواحد بألف، فسته وثلاثون ألفاً كانوا ستة وثلاثين مليوناً، لأن حجم النصر كان فاتح الشرق والغرب برجال كانوا العرب كوّنهم الإسلام . .

أما اليوم، فما هم؟ أكثر من مئة مليون يطغى عليهم مليونان من شذاذ الآفاق، لكن هؤلاء العرب ما زالوا إلى خير رغم هذا الواقع الأسود، أنه سواد ليل سيسطع منه فجر جديد، فمرحباً بالضيم يثير الشعوب لتكون عزيمة الشعوب هزيمة لمن تقاعس. هزيمة لمن كان على أسلوب أبي رغال أو يوسف خنفس.

ولأضرب مثلاً عن عربي . . فمن هو؟ ولا أضرب عن عربي ما هو؟ فالتاريخ وضاح عن من، وفضاح للذي شذ عن من. فمن هو الرجل؟ هو

سكير كان من جند القادسية، فمعصية السكر لم تطغ على إيمانه، فذهب للجهاد، سكر.. جرى عليه الحد من قائده سعد.. حبسه.. قيده خلف الجيش، لكنه حين سمع صليل السيوف فلم تكن هناك مدافع ولا (إف5) وحين سمع قعقعة الرماح، فلم تكن هناك صواريخ، لكن الإيمان أقوى من كل ذلك، هو أبو محجن قال: يا سلمى أطلقيني أخوض المعركة وسأعود إلى القيد، هو أبو محجن، وخاض المعركة يفترس الفرس على فرس، فقال سعد ابن أبي وقاص: الفرس فرسي والقتال قتال أبي محجن، ورجع إلى القيد أبو محجن، حتى إذا سمع قسم سعد أقسم أن لا يذوق الخمر.

وعجيب أن تفخر ثقيف بعروة بن مسعود شيخها في الجاهلية أو المغيرة بن شعبة أو الحجاج، مع أنني محجن، وأنا واليوم عربي ها أنا أنفاخر بأبي محجن ولم يكن هو الوحيد فأمثاله كثر يوم كان العرب (من)، يوم كان في العرب أمثال طليحة الأسدي حين قادهم أبو بكر حين قادهم عمر، طليحة لا أمل ذكره ولو ذكرته ألف مرة لأنه أعجوبة في تاريخ العرب، المعجب في تاريخ الإسلام. طليحة ارتد.. أدعى النبوة نظمت له الخرزات ملكاً على الحلف الأعظم كأنه الخلف لآكل المرار، وهزمه ابن الوليد أبو سليمان خالد سيف الله وأن رغمت أنوف، طليحة كان في القادسية ثم كان في فتح الفتوح هزيمة فارس، قال الكلمة حين شكوا يوم غاب سابراً قال: أو تظنون بي الظنون أنحسبوني أترك قومي العرب جزراً لهؤلاء الأعاجم؟! فليسمعها من يترك قومه العرب، حتى يثوب إلى رشده.

اللغة الشاعرة بين الحقيقة والاصطلاح

واتسعت لغتنا العربية التي أعجبتني أن أطلق عليها أستاذنا العقاد عباس محمود هذا اللقب الشاعر بعظمة اللغة فقال عنها «اللغة الشاعرة» اتسعت هذه اللغة بالاستعارة أول الأمر والمجاز ثاني الأمر والاصطلاح بكل الأمر.

فكلمة «النفيس» في الحقيقة القحطانية تعني الواسع ومن ذلك النفس والنفيس لكن الاستعارة أصبحت تعني أنه الغالي والثمين وحتى المجاز يعني التنافس، فالتنافس اتساع الأصل بين اثنين كما كلمة النجاح فحقيقتها عند بعض أهل الجنوب تعني قولهم «نجح الطعام» أي طاب ونضج، هكذا أهل حضرموت يعرفون ذلك بينما الاستعارة تعني التفوق فالنجاح تفوق واعتلاء. وهكذا أصبحت الاستعارة كما المجاز ناشرين للغة بالاستعمال الجديد.

وجاء الاصطلاح فإذا هو المتسع الكبير والناشر الأكبر فالصلاة تعني في اللغة الدعاء، وجاء الإسلام فإذا الاصطلاح يطلق كلمة الصلاة على الركن الثاني في الإسلام ركوع وسجود بكل ما فرضته العبادة. والأيمان في اللغة التصديق ولكن الاصطلاح اتسع حيث أصبحت كلمة الأيمان تعني التصديق بالجنان إيماناً بالله والنطق باللسان بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله وبعمل الجوارح ليزيد الأيمان بالطاعة وينقص بالعصيان.

وجاءت الحلية للاسم أو تذوق الحلاوة فيه على لسان الأعرابي فسمي

باصطلاحه أحلى البنات بهذا الاسم الذي صار شعرياً إلا وهو «مي» هو في اللغة اسم لأنثى القرد، ولكن غزل اللغة الشاعرة سمي البنت العربية «مي» ولعلّ الذي سماها أول الأمر أعجبه دلال القردة أو تلاعبها فسمى ابنته «مي» أو أن جرس الكلمة عشقته. أذناه فاتخذها اسماً «يا دارمية في العلياء والسند».

وليأتي هذا الاسم الثاني أصله اسم حيوان أنثى الوعل «أروى». . . أعجبه خفة ظلها ولا تكاد تضل عن رأس جبلها، فسمى إحدى بناته (أروى). . . وي حتى الأيمان يعقل من جبال الحجاز معاقل الأروى (من رؤوس الجبال. هكذا قال) من أنعم الله عليه بجوامع الكلم ألا وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

و «مها» بقرة وحشية كأنها أخت الأروى كأنها ناطحة «مي» استحلى العربي عينيها فتغزل بها وسمى إحدى بناته بهذا الاسم «عيون المها بين الرصافة والجسر» وكم من أب قال لابنته «يا مهاتي» وليس عجيباً أن يكون العربي شاعراً غزلاً.

وبعد الاستعارة والاصطلاح والمجاز والذوق العربي لا تنسوا الأسواق، فسوق عكاظ تفصحت به اللغة وتعانق به الفصحاء، فإذا هو إرهاب لبيان القرآن أنزله الله بلغة العرب وأنعم عليهم بفهمه وأنعم عليهم بحفظه وأنعم عليهم قبل كل ذلك بنصره، فإذا هم يعتزون به وإذا هم حملوا هدايته لكل الأراضين، فاعتز الإسلام بهم.

عكاظ هذا السوق ليس هو المكان ففي كل دارة عربية في الصحراء كان هناك عكاظياً ولو لم يأت إليه لسبب أو لآخر ولكن العكاظية يسميها رواية وعكاظ نفسه يسمع ما يروى عنه.

تفصحت اللغة بحرف التاء بدل الثاء وبالمد وبالإصرار على الضاد فكلمة «توبة» كانت قبل «ثوبة» تعني الرجوع ولكن التاء والاصطلاح الإسلامي جعل التوبة الرجوع إلى الله.

خواطر لا بد منها لكاتب احترف التزاماً، والخاطرة الأخيرة في كلمة «دقيق» قال لي صاحبي: عجبت أن أهل اليمن ينطقونها القاف الصحيحة إذا قالوا «هذا دقيق» ولكنهم حين ينطقون كلمة «قرآن» ينطقونها مخفضة كثيراً كأنها عامية، قلت كلمة دقيق ورثوها عن لغتهم، أما قافهم الأخرى فأثر الحبشة فيهم، يوم كان الأحباش هناك فالعربي كان أمياً لا يقرأ والأحباش كانوا نصارى يقرأون إنجيلهم فنطقوا بكلمة القرآن حتى أن بعض علماء اللغة تعسفوا فقالوا: أن كلمة القرآن حبشية أي أنها معربة فقلنا لهم: لا إنها عربية فصيحة مشتقة من «قرأ» إذا كنتم كوفيين أو من (القراءة) إذا ما عدتم بصريين فكلمة القرآن عربية فصيحة لا معربة، واستطاب صاحبي هذا التخريج وهذا التفريق بين القاف في دقيق والقاف الأخرى».

كتاب الروائع أمس . . أين هم اليوم؟

والسؤال يطرح نفسه، لا يتهم الإنسان وإنما - هو يهتم بإنسانه المبين - يتهم أحداث الزمان، فما الذي غير كل الشعوب ألا تنجب لنا كاتب رائعة رواية أو قصة أو حتى تاريخ أيامه؟ فالتغير واقع والتراجع عنه إلى كلمة التطور. تواضع لا عن ضعة وإنما هي الحسرة. لا يريد أن يجابه مشاعره بلحظات التغير. لئلا يزداد وجعه.

وأحداث الزمان . . ما هي؟ . . الاستبداد . . الضيم . . الرخاء . . أم هناك سلطان خفي يمنع ولا يمنح. كأنما هذا السلطان الخفي قد وضع الكاتب في الحرية. المقننة، فالضيم إثارة، والاستبداد مثير يثير النابغة . . العبقرى فلا يستأثر بالذي هو فوقى، وإنما عبقرية الإنسانية فيه يأخذها حال المجتمع، يملي على العبقرى أن ينظر حوله لينتظر من تحت، فيكتب رائحته .

فيوم كانت أوروبا تعيش في أعقاب الظلمات من عسف الكهنوت وصراع الحروب. أنجب هذا الوضع في بريطانيا كتاب روائع، ليس أولهم شكسبير وليس آخرهم برناردشو. كما أنجبت فرنسا وهي على تلك الحالة رسو - جان جاك، هيجو - فيكتور . . ومن إليهم.

ليس هو الاستبداد كان ذلك، وإنما هو الشروح بالانفعالات التي صنعها تذبذب التاريخ حين تذبذبت المجتمعات.

أما الاستبداد. فصنع ما هو أروع؛ أعني الأدب الروسي. علمياً إلى فوق. . . تلتوي ومن إليه، فأخرجوا الروائع لا لأنهم اختنقوا ذاتياً بالاستبداد. فمن غفلة المستبدين أن كانوا لا يحسبون حساباً لحرف أسود على قرطاس أبيض. فالكهنوت، وعلى رأسه راسبوتين استبداد كأنه عصا الشيطان، والقيصر كان مستبداً، مرتين. . . مرة لحسابه والأخرى للكهنوت، فإذا العبقرى يكتب وإذا الإنسان في كل الدنيا يقرأ الروائع. وإذا سألنا الرخاء لماذا لم ينجب العباقرة؟ لقال لنا: متعت الإنسان فامتنع التأثير وامتنعت الإثارة ونام المثار. فلا رائعة، إجابة قد لا ترضيني، ولكنها تحدد الواقع في كذا شعب، غير أنني أزعم أن الحرب العامة الثانية قد تكون بها وعنهما سلطان خفي، ليس في يده سلاح، وإنما سلاحه تقنين الحرية باسم الديمقراطية فإذا الصهيونية هي السلطان الخفي. . . ولأضرب الأمثلة. . . فروائع الأدب الروسي ينبغي أن تكتب اليوم. لأن العالم يعيش تحت استبداد لا مثيل له، ألا وهو الخوف. ليس هناك اليوم جياح يطلبون الرغيف. لتقول بنت القيصر (لماذا لا يأكلون البسكويت!!). حتى الجياح في إفريقيا جوعهم ليس عن فقدان الرغيف فقط. وإنما عن فقدان معنى الإنسان فيه. فأين كاتب الروائع الآن؟!!!

فالرواية «السلم والحرب» هي عن اليوم أكثر من أمس، واليهودي «شيلوخ» هي عن اليوم أكثر عن أمس فالجزار أصبح عدده مليون جزار - إذا تواضعنا في العدد - والبؤساء كانت عن الشعب الفرنسي، ولكنها اليوم عن كل الإنسان، ولو كان حارس الكرمليين أو حارس البيت الأبيض، فبؤس المشاعر أشد وأقوى من بؤس الحاجة إلى لباس أو إلى رغيف. . . إنسان اليوم يأنس المشاعر يأنس من المستقبل. ويدعو هذا إلى أن نجد

كاتب رائعة، لكن السلطان الخفي ما زال يمنع.

وما لنا قد تركنا الحقبة التي نبغ فيها كتاب الروائع في مصر. كان ذلك بأسلوب المقاومة لواقع عاشه طه حسين وتوفيق الحكيم. ولأمل عاشه العقاد، كأنما كانوا - وحتى نجيب محفوظ - يمسكون بالقلم كأنه سهم ضد ذلك الواقع الذي ورثوه من تاريخ مصر. ومالي نسيت الدكتور هيكل في روايته «زينب». إنها تجسيد لأجساد فارعة الطول من أي نوال. كل ما لديها نخوة تنفعل وتعجز عن الفعل.

وكوخ العم سام، كتبت أمس، بينما هي تكتب الأكواخ في إفريقيا. فالموضوع هو ما كتب أمس جدير بأن يكون عن اليوم، ولكن أين هو؟ لم يعد هناك من يقرأه، لأن دور النشر لا تطبعه، تحسب حساب الخسارة.. حيث لا قارئ.

إنسان اليوم أصبح مصنوعاً غير قادر أن ينجب عبقرياً، لأن العجز عن الفعل قادر على أن يقتل الانفعال، وأجد أن كتاباً شعبوا من قراءة التاريخ سواء كان أمس أو تاريخ اليوم الذي هم فيه. مالنا لا نجدهم يكتبون تاريخهم اليوم. إنهم يفرون إلى الأندلس هرباً من الواقع وإلى بغداد حسرة على الماضي. بينما هم يعرفون تاريخهم ولكنهم لا يكتبونه. لأن السلطان الخفي أصبح يحكم انفعالهم ضده ويقتل فعلهم ضده، ولست إلا واحداً منهم. كقارئ يكتب وكاتب أصبح لا يقرأ.

والسؤال الأخير، هل نجد كاتباً في الغرب يكتب عن مأساة «جوبلز» أو «هيس» كما كتب «إميل لدفيج» عن نابليون أو كما كتب برناردشو عن جان دارك لا نجد لأنه السلطان الخفي.

الخوف صانعها والرعب مانعها

الخوف صانعها، والرعب مانعها فما هي ذلك، إنها القنابل النووية والصواريخ بأنواعها تحمل رؤوساً نووية، كانت من صناعة الخوف فإذا اليوم هذا السلاح بعد أن كان سلاح الردع، أصبح سلاح الرعب، جعل الكرملين يذهب إلى البيت الأبيض، والبيت الأبيض يذهب إلى الكرملين لتكون مؤتمرات القمة.

كل إمبراطور يفاوض الآخر لإزالة سلاح الرعب كأنما كل منهما يستجدي السلامة من الآخر، وعجيب أن تنعكس الآية فقد كان السلام قبل هذا السلاح هو أبو السلامة، بينما الآن وفي قمة موسكو وما قبلها أصبحت السلامة أم السلام. . فسلامة الإمبراطوريتين ينجم عنها السلام العالمي.

وما هو الخوف الذي صنع القنبلة النووية وما هو النذير الذي أسرع بالاتحاد السوفياتي أن يصنع السلاح المدمر وما هو الإنذار الذي أسرع بمؤتمرات القمة.

الخوف الأول كان من فئة في «بيرل هاربار» حمل الولايات المتحدة أن تسرع بصنع القنبلة، وأن تسارع بضرب هوريشيما، فقنبلة هوريشيما كانت انتقاماً، ولكنها أذرت موسكو أن تصنع السلاح المدمر، فقد لا يكون الياباني أشد خطراً على الولايات المتحدة من الاتحاد السوفياتي، بل هو

الاتحاد السوفياتي، وقد خاف الولايات المتحدة صنع الوقاية أولاً؛ فإذا الوقاية تصبح صانعة الرعب عالمياً، وذاتياً على الولايات المتحدة «بيرل هاربار» صنعت وهوريشيما أنذرت، والمفاعل النووي «شرنوبل» كان انفجار إثارة للإنسان في كل العالم، يصرخ الناس يطلبون إلغاء الصواريخ، وتدمير المفاعلات.

إن الرعب لم يعد مسلطاً على الشعوب، بل إنه فرض سلطانه على الإمبراطور في البيت الأبيض وعلى الإمبراطور في الكرملين، وهكذا كان الخوف قد استحال إلى رعب لعلّ السلام بين الإمبراطوريتين يصنع السلام للإنسان لئلا يتقاتل الناس بعد ذلك بالحجارة إن بقي ناس.

والبيت الأبيض أعاث الاتحاد السوفياتي بالمكائن لصنع الأحذية، واليوم يطلب البيت الأبيض من الكرملين أن يمنحه السلامة كما هو طلب الكرملين، فلم يعد هناك أي نوع من غطرسة «روزفلت»، ولم تعد هناك غطرسة «ستالين» وإنما هو التواضع بين العملاقين والأمر كما قالت العرب: «يداك أو كتا وفوك نفخ» - وهكذا أيضاً معظم النار من مستصغر الشرر. . كانت بيرل هاربار الشرارة، وهوريشيما الجمر، فإذا النار تخيف موسكو، وترعب واشنطن.

أجر الكاتب

وحين أتم الله النعمة على هذا البلد حرماً وسياجاً بدأت المسيرة يتحرك بها شعور الكاتب والشاعر والناشر فلا ضيق ولا تضيق وإنما هي مسيرة الهويينا لغرس النألف فوحدة الأرض يتم كمالها باتحاد إنسانها في كل ما يفكر فيه وبكل ما يعتقد ولكل من يتحد لأن الإنسان على أرضه هو باعث التطور والتقدم فالهويينا تقبل بعامل التطور كل ما يصلح رويداً رويداً.

وترفض كل ما يؤثر بسلبياته على الإيجاب فكراً ورأياً وتطلعاً فلم تكن جريدة ناشرة ما يكتبه إنسان وكانت الجريدة تلو الجريدة واحدة بعد أخرى فإذا القلم ينتشر وإذا التعبير يتوسع وجئنا وبحكم السن نعانق الجريدة حتى امتلأت الصفحات بالمقالات والقصائد وبعض النقد والتوجيه ولم يخلُ واحد منا من بعض المؤاخذة ولكنه لم يتخل عن العطاء فالمؤاخذة كأنها عتاب هو توجيه والعطاء واجب نتنفس به ونتنافس ونعطي القارئ ما ينفعه كل هذا كان ينشر في الجريدة وقلم الكاتب لا يأخذ أجراً على ما يكتب ولكن الأستاذ حمزة شحاته والأستاذ محمد عمر توفيق وهما ملتزمان بجريدة (البلاد) السعودية صديقان لرئيس تحريرها عبد الله عريف وقد كانت تابعة لشركة التوفير والاقتصاد حيث انتقل إليها الامتياز وكان يرئسها الأديب الشاعر قبل أن يكون الموظف الكبير محمد سرور صبان فحمزة شحاته

ومحمد عمر توفيق وكنت لهما كما كان غيري أيضاً فطالبنا الجريدة بأجر المقال وقد أصر حمزة شحاته عليه وما استأجرت الإجابة إلا قليلاً وفرض الأجر وما كان الأجر وما كان حمزة شحاته ومن إليه في حاجة إلى ذلك ولكنه الجهد لا يهدر وبدأنا نأخذ الأجر وما اشد فرحتي بخمسين ريالاً تناولتها من الإذاعة فأحسبني أني كنت أول من أذاع فيها يوم كانت في جبل (هندي) على ذروة قعيقعان ولا أدري لماذا سُمي هذا الجبل من هذه السلسلة الهندي والأخرى بالتركي مع أن كل السلسلة قعيقعان تبتسم السلسلة إلى حراء وتكاد تمد يدها إلى جبل عمر على الهجلة على الشبيكة هذا الأجر الخمسون ريالاً فرحت به لأنه أعطاني قيمة ما أذاعت كما أن ما تصرفه الجريدة الآن من أجر المقال لن تبخل به المتعة وهي ليست للجيب وإنما هي للنفس. أن هذا الاستعراض ليس غربالاً ولا هو غربلة وإنما هو منخل دقيق فالأجر خبز من هذا الدقيق.

سارق الدجاج

سارق الدجاج يافع نشأ في حجر أمه، فقد مات أبوه وكفلته الأم وهي مثل من أمثال أمهاتنا. الأول احتضنته ليس لديها مال ورثته، وإنما هي تمولت من صنع يديها، تغزل الصوف وتدبغ الجلد وتنسج من سعف الجريد الخسف، تبيع ذلك بقروش، فالتقد في تلك الأيام شحيح، غير أنه رغم قلته كان كافياً فبضعة قروش تكفي لتطعم ولدها أطيب طعام لحمياً وخضاراً وأرزاً وخبزاً، ولكن هذا اليافع أفسده على نفسه ما طراً عليه من سعار جيبه إلى أن يضع في جيبه كمّاً من القروش وفكر أين يجدها عفاً أولاً وتعفف ثانياً ولكن السعار حارق فإذا هو يجد طلبته، فالحوش فيه دجاج كثير ولا أحد يدري من أين، علم كيف يسرق الدجاجة دون أن يراه أحد فلقد علم أن الدجاجة تصدع إذا نفخ في فمها فأصبح يشتري المصاريف يندس وراء الباب ومن فتحة يدفع المصير تتلقفه دجاجة فينفخ فإذا هي تصرع يمد يده، يأخذها ينتف ريشها بعد أن يذبحها وهو لا يدري أهي مذكاة أم نافقة، يسرق الدجاجتين أو الثلاث يبيعهما إلى طباخ يقبض الثمن بضعة قروش وتنبهت إحدى الجوارى اللاتي اقتنيت الدجاج إلى النقص في دجاجها فتربصت لتكتشف ما رأت المصير وإنما رآته وهو يحمل الريش يرميه في كوم من القمامة فصرخت تفضحه فاجتمع أصحاب الدجاج وما صنعوا به شيئاً، فقد استشفت له أمه وكانت محترمة لديهم ولكن الأم من

خجلها ارتحلت تحمل عفشها ورفشها وتأخذ ابنها إلى حوش بعيد لم تسكن المدر وإنما هو بيت الشعر بدوية لم تتحقق وضاق سارق الدجاج ذرعاً، فهرب تفتقده أمه تدعو له ولا تدعو عليه لكن وقد أَلف السرقة أصبح يسرق ما هو أكثر ثمناً فأمسكوا به ولم يجد له شافعاً عذبه ولم يسجنوه، فتاب ليعمل خادماً، ثم مضت أيام فإذا التوبة تمنحه الأوبة إلى أمه، يأخذها إلى بيت من مدر لأنه قد أخذ الدرس فانتفع. وهكذا كان اليافع سارق الدجاج أصبح بالتوبة وبالحرقة التي تعلمها يقتني الدجاج بمال حلال فقد أحب ذلك من الألفة فقد أَلف الدجاج يصحو على صوت الديك ليخرج إلى حرفته. وهكذا مرة أخرى ومن زمن بعيد كان ذلك وإن تطور الحال ببعض الناس إلى خير من ذلك أو إلى شر كذلك.

ما سألوا الجندي الأحمر

وما شأن الهندي الأحمر الذي عاش التخلف وثنياً، جاهلاً، أكتب عنه، أغربل به لقاء إمبراطور الكرمليين؛ وإمبراطور البيت الأبيض، حول جزيرة مالطا في بحرنا الأبيض المتوسط. حيث اجتمع عملاقان على الأسطولين، فإذا هما وبينهما يحاولان تهدئة العاصفة التي هبت على الأرض من شرق أوروبا إلى غربها، فإذا هما وبكل الصولة على الأسطول؛ هبت العاصفة مطراً من السماء، وموجاً في البحر؛ كاد كل ذلك يعصف بلقاء القطبين. حاول كل منهما أن يستقرب السلامة، لكن عاصفة السماء، وأعصار البحر، أرياهما أن السلامة لا تصنع بالكلام، وإنما تصنع بالعمل. فعلى أقل تقدير، يعطي الدولار قوة الشراء للروبل، وما شأن الهندي الأحمر في هذا كله؟ إن شأنه أنه يعرف الأنواء، فلو أن البيت الأبيض سأل الهندي الأحمر عن وقت اللقاء بين القطبين؛ هل تكون فيه سلامة لصنع السلام، لقال لهم الهندي الأحمر: لقد حددتم الوقت الذي تهب فيه الأنواء فيتعكر لكم الصفو. وكذلك لو سأل البيت الأحمر كلدانياً أبيض ولو على صفحة القرطاس، لقال لهم كما قال الهندي الأحمر، وهكذا مازال العلم الكبير في هذا العصر، في حاجة إلى استعلام المعلومات الخفية، سواء كانت كلدانية، أو هندية حمراء. ولنضرب مثلاً آخر، لو أن قائد الجبارين العربي (قدموس)؛ أراد أن يركب البحر على سفينة شرعية.. ليس على

مدرعة نووية، ولو أن هنيبال القرطاجي الفينيقي أراد ذلك، لعرف من المعلوم لديهما؛ أن المسير في البحر في هذا الوقت، لا يصلح فيه الوصول إلى الغرض منهما بالخفي من علم الشرق، وكالخفي من علم الهندي الأحمر، يحدد كل منهما وقتاً لا تهب فيه العواصف، ولا تثور الأعاصير، ولكن قوة السفن النووية، وصبر العملاقين، وقوة الأعصاب، لم تلغ اللقاء، ولكن ماذا تم؟ هل هو دفن المآثم في أوروبا، والسكون عن المآثم في فلسطين، والهلكى في الأفغان، والأطفال في لبنان، الذين أصبحوا يباعون وكأنهم الرقيق الأبيض، في عصر زعموا فيه أن الإنسان سيد نفسه؛ لا يمكن أن يسترق. لقد هدأت العاصفة في البحر، فهل تهدأ العواصف في أوروبا وآسيا وإفريقيا. لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال. الهندي الأحمر ولا الكلداني الأبيض.

جريدة الرياض

وحابسني حابس الفيل، فلا أطيّر إلى حجر اليمامة الرياض، لأشارك
الجمع الغفير، الذين احتفلوا بيوم الرياض الفضي، ولم يكن الحابس عن
جفوة النفس؛ وإنما عن غفوة العضل . . فالعجز عن الذهاب لم يجترم عليّ
بالتعجيز؛ فإذا بي أشارك بالأذن؛ أسمع التلفاز، كأنما صفوة النفس قد
تنفست بالسمع . .

فجريدة الرياض بنت الحجر أعني حجر اليمامة ما بناها الحجر على ما
تنشر، وما نال من بنائها الهجر، فلم يكن اليوم الفضي؛ إلا وقد افتر عن
لمعان الفضة، فنحن في هذا الشعب، يأخذنا التفاؤل بالفضة، حتى أن
صداق بناتنا ولو كان كوماً من الذهب؛ لا بد وأن تكون الفضة هي الحلية
من واعز التفاؤل، وبنازع البركة، ومن هو الذي وضع في صداق جريدة
الرياض هذه الفضة؟ إنه الأمير سلمان بن عبد العزيز الشيخ، كما سماه
لويحان الشاعر الشعبي، الصديق لكل شعبي، وأليس سلمان بن عبد العزيز
إلا واحداً من صميم هذا الشعب مسلماً على الذروة؛ عربياً على السنام،
وكانت لمعة الفضة بتلك الضحكة الباسمة حين ذكر العتب وبعض ما
يغضب، وهل جريدة الرياض ومن كتب فيها؛ إلا وهو يفرح بالعتب ولا
تأخذ منه الترحة من بعض الغضب، فأى قيمة لجريدة، إذا ما لم ينلها

عتاب، ولم ترضَ عن بعض الغضب. فتلك قيمة من حق السلطان، بل وتلك قيم واجبة على الشعب والجريدة، لا تصلح إذا لم تكن لسان شعب يعبر عن دوافعه، عن نوازهه؛ بكل الوازع الذي لا يمكن إلا وأن يكون إلهام القيم، واستلهاهم الحفاظ عليها. جريدة الرياض كتبت فيها ولعلها ملححة أن تحتفظ الذاكرة بكلمة لائم قال لي: تكتب في جريدة الرياض ولا تكتب في جريدة وطنك. فما غضبت، ولكنني حزنت على نوازع هذا اللائم فأسرعت أجيبه: وهل الرياض إلا وطني، وهل كل شبر من أرض عربية إلا وطني.. . دع عنك ما ورثته من ماضيك المتأقلم، وكن مع حاضرک الذي تجمع في هذا الكيان الكبير، والذي أسأل الله أن يجتمع فيه وبه وله الكيان الأكبر، سواء كان من أشبار الأرض المسلمة.. . فالتحية لجريدة الرياض، فما طال عمرها إلا بتطاول المعمرين لها؛ فهي كمؤسسة ما نفر منها مؤسس، فإذا هي تمد اليد لكل كاتب، ولا تمد يدها لكل كاسب اغتنت بالصدق واليقظة فلم تتبعثر، لئلا تتعثر، والمعنى في بطن الشاعر والتحية بعد لكل العاملين فيها والمتعاملين معها.

الشجاعات والجود

ولئن كان في هذا العنوان ما يوحي بالثناء على الجود والشجاعة أو بعبارة أشد صراحة على الجواد والشجاع فإن ذلك فيه صراحة على الجواد والشجاع فإن ذلك فيه بعض الغريلة لما يأتي به التفصيل بعد فالجواد شجاع فشجاعته على نفسه على ما يملك لأن البخيل في ظاهر الأمر يملك ولكن في حقيقة الأمر يمتلك، والشجاع جواد، فالجود بالنفس (أقصى غاية الجود) وهناك فرق بين القسوة والشجاعة فقد تتاح الفرصة لواحد يسود بسُلطان القسوة حيث أبيع له أن يكون ذلك.

والجواد الذي اتخذ منه البرهان هو معن بن زائدة الأيادي، فقد اشتهر معن بالجود والحلم ولكن الشجاعة قرينة الجود ظهرت بارزة في يوم كارب علي أبي جعفر المنصور فقد وقف المنصور أبو جعفر في حماية أنصاره يدافعون عنه يحمونه من بعض من ثاروا عليه أمام ملجأ المنصور وما كان أنصاره يفعلون الشيء الذي يزيح العدوان غير أن رجلاً ملثماً زحف يزيل الكرب عن المنصور وأخذ أبو جعفر يسأل عن هذا الشجاع فإذا هو طلبته كان يريد يقضي عليه فأبو جعفر انتصب لا يريد حياة لعين من أعيان العرب حتى أزاح عمه عبد الله وحتى ما هو أكثر وسأل المنصور فإذا هو معن بن زائدة وعجب كيف يبرز هذا الهارب من سطوته نصيراً فإذا

المنصور يحتفي بحاميه وينسى ما كان معتماً عليه فمعن بن زائدة جواد وشجاع، أما المنصور فقد امتلك الجبروت ولكنه الدوانيقي، فالبخل بالدانق يجلب البخل بالنفس لهذا سمعت هذا البيت للصديق حمزة شحاته يرحمه الله لا يثني على الجود وإنما كان يأسف من كبرياء الجود كيف ارتفع بعض أصدقائه بذلك قال حمزة شحاته:

أرى الجود خلاق المزايا وربما افتراها ولولا جوده لم يكن معن

وقلنا لولا شجاعته لما نجا من المنصور فالنتيجة الجود شجاعة والشجاعة جود والمعنى بطن الشاعر وكل على مقاسه.

مع القردة

والكلمة اليوم وتحت هذا العنوان (القردة) بفتح الراء وتعني الجمع، فالقردة بسكون الراء تعني الواحدة وجرسها لا يطربني أما الجمع (قردة) فقد وردت في البيان بيان الذكر الحكيم والحديث الكريم . . فالذين غضب الله عليهم مسخهم قردة . . وبنو قريظة وهم من هؤلاء نعتهم النبي الرسول سيدنا محمد بأنهم (إخوان القردة والخنازير).

فهذه المقدمة عن تأثير الجرس فاللغة الشاعرة ذات جرس جعلت الرواية الأساس للتراث . . فالقراءة بالعين والنطق الهامس لا يعطي الجرس ما يطرب وإنما هي الأذن حين تسمع الكلمة من اللغة الشاعرة تهتز وتعتز، وعن القردة حكايتان عن الطرابيش الحمر وعن الأثني من القردة.

فحكاية الطرابيش الحمر سمعناها من أوائلنا فقد قالوا أن بائعاً للطرابيش الحمر يوم كان الطربوش هو الشعار، فبائع الطرابيش حمل على حماره الخرج مليئاً بهذه الطرابيش الحمر يصعد بها من تهامة إلى الهدا يبيعهما في الطائف . . فالمتطربشون كانوا الأكثرية من الجنود في الطائف وحين وصل إلى الهدا أخذ يستريح قليلاً وترك طرابيشه وحماره بجانبه وانتحى هو جانباً آخر حتى إذا ابتعد ليقضي حاجة ولفحه البرد . . لبس طربوشه وكان الهدا فيما مضى تعيش فيه القردة بكثرة حتى إذا رأت الرجل يلبس الطربوش

وعرفت من أين سحبه . تجمعت القردة كل قرد يخطف طربوشاً ليلبسه . . ضاعت الطرايش وأخذ صاحبها ينعي حظه فأقبل عليه واحد من سكان الهدا يقول له : اذهب بعيداً وكأنك تتغوط وأمسح بالطربوش الذي تلبسه مقعدك حين تتغوط وسترى مادام القرد مولعاً بالتقليد وحين رأت ما صنع صاحب الطرايش أخذ كل قردٍ يمسح دبره ويرمي الطربوش كما فعل الرجل فأسرع الرجل يجمع الطرايش وهكذا أنقذت البضاعة .

أما الحكاية الثانية فعن أنثى القردة فحين ينفق ضناها بإصابة من صائد أو بغير ذلك تمسك ولدها تحمله وهو نافق فلا تتركه حتى إذا ذاب لحمه أمسكت عظامه فلا تترك عظام طفلها إلا إذا أضنت قرد أو قردة، حين ذاك ترمي العظم وتحتضن الضنا بحنان الأمومة فلتنقل وحتى القردة . . !!!

المربد والعروبة

والمربد والعروبة عنوان دعائي إليه الاحتفال . . يذف إليه العرب يحضرون إلى العراق ليحتفلوا بالمربد أهو مربد البصرة أم مربد الكوفة أم المربد الأول الذي شرفه الله ليصبح المكان الذي يرتفع فيه النداء؛ نداء الإسلام قرآناً في المحراب وخطبة على المنبر، وأذانا على المآذن حيث ارتفع بناء المسجد في هذا المربد الأول فإذا الأئمة في البصرة والكوفة يقتبسون هذا الاسم لتكون حلقات الدرس وقوانين البحث أو أحكام الفقه وتحكيم السنة في مكان حين أعدوه وحين سعدوا به أطلقوا عليه اسم المربد، فالخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء والحسن البصري وأبو حنيفة يجدون أنفسهم في قاعدتي الفتح العظيم أئمة يفتحون لحضارة الإسلام ما فتح الله به عليهم فإذا كل مسجد فيه حلقة درس، وكل جامعة في كل الأراضين سواء كانت من أرض المسجد أو من أي أرض أخرى ولأية نحلة أخرى لا يخرج عالمها وباحثها وطالب العلم عما تأسس في المربد الأول المسجد النبوي أو في المربدين البصري والكوفي فلا تجد واحداً من هؤلاء إلا وهو قد احتواه علم المرابد، إن الكوفة والبصرة حين كانتا قاعدة الفتح العظيم تكون فيهما منار العلم فكان لنا نحن المسلمين، نحن العرب هذا الفخار فلا يستطيع العراق وهو أول الفاخرين بهذين المربدين أن يسلب طالب العلم عربياً ومسلماً الفخار به للعراق حظوة

المكان والإمكان وللعروبة حظوة الإمكان كما هو ذلك العراق أيضاً والبصرة والكوفة مرة أخرى على الأدنى من حدود العرب كما هي الجغرافة الأولى، جغرف بها أبو حفص الفاروق عبقرى هذه الأمة ابن الخطاب عمر الذي إن كان قبله خاتم الرسل سيدنا محمد أو أخوه صاحب رسول الله صهره أبو بكر، فإنه وبعد عثمان وعلي لم يأت أحد مثله أو أحد مثل هؤلاء كأنما هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ناساً طبعهم الله على الحق فلم يقهروا طالب علم، ولم يتقهروا عن نشر العلم، ولم يتقاهروا بنزعة خلاف نبغت بعد، فالبصرة والكوفة عربيتان مرتان عروبة الأرض أول الأمر وكل منهما صاحب التعريب لبقية الأرض عراقية بل وحتى لما وراء النهر فمن هم هؤلاء الأئمة عربي من أزد السراة كالخليل وفارسي تعرّب لسانه حين آمن وجدانه فإذا هؤلاء الذين تعربوا أعربوا صدق بهم الأثر (لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله رجال من فارس) وقد كان، وأتباع أبي حنيفة النعمان يرون هذا الأثر هكذا (رجل من فارس لهم فخرهم بهذا الإمام الذي قال فيه الإمام الشافعي) (الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه) ولكني لست معهم فهم الرجال لا الواحد سواء كانوا الأئمة في اللغة أو الفقه أو السنة أو الشعراء، لقد كان هذا مجداً إمبراطورياً لإمبراطورية العلم، فهو خير من إمبراطورية كسرى، فما بال فارس اليوم تتنكر لهذا، ولو كنت فارسياً لما تركت العراق تحتفل بذلك بل أسلك طريقين، فإما أن أشارك العراق وأما أن أدعو العراق إلى أصفهان حين يحتفل الفارسي بالمربردين، ولكن هو الإسلام، ينبغي أن يكون الفخر به والطاعة له، فلا يقاتل المسلم أخاه المسلم، ولكنها بلوة الشعوبية والعياذ بالله ولقد دعيت لأشارك العراقي وكعربي وكابن المربرد الأول في هذا الاحتفال فتأبت عليّ عضلات الجسم وعشاوة النظر أن أكون ولكن عضلة اللسان ونفحات الوجدان والمعاضلة

بالقلم أمرتني ألا أتأخر، فكتبت هذه الكلمة يشاركني سواد القرطاس الأبيض مشاركاً في هذا السؤدد، وما أعظم العرب إذا ما كانوا لا ينسون ماضيهم وإذا ما تكون اليوم لا يختلفون في أيام سود ولعل المربردين يعاتبان العراق يؤرخون للاحتفال بالشهر الحادي عشر من سنة الفرنجة، كأنما هي النسبئة الخفية فلماذا لم يؤرخوا بالشهر القمري ربيع الثاني الذي ما أطلقت العرب عليه هذا الاسم إلا عن حب لأيامه البيض، فالمربدان يعاتبان يدعوان إلى أن نؤرخ بالشهور القمرية حتى أن شهورنا الشمسية شهور الفصول كأنها منسية وحتى أن شهورنا السريانية لا نذكرها إلا مفسرة بشهور الفرنجة، تحية للمربردين كما هي التحية لهذا الاحتفال يعانق احتفال النصر والتعمير لثغرنا العربي العراقي (الفاو) عمرته حجارة عربية قالوا أم بعضها من بقايا السد أعني سد السيل العرم كأنما الأرض العربية أبت إلا أن تكون في اليد العربية تعمر ما تدمر وما هذا إلا الخير من خلال الشر ينبثق، فالاحتفال بتعمير الفاو جمع العرب والنصر، وحد العرب والمربدان يوحدان.

الثعلب والأرنب

والعربي في صحرائه أو في واحاته وحتى في قراه سواء كان ساكن المدر أو بيت الشَّعر تعلم من الفقر وحتى من الخصم ما يدعوهُ إلى أن يتمثل، فإذا تشاؤمه أو تفاؤله يصنع منه الأمثال. . فالضب حكيم ويتشاءم من الأرنب ويتفاءل بالثعلب، وما أكتبه الآن عن الأرنب والثعلب لم أسمعهُ وأنا ربيب بيت شعر فالغرابة كل الغرابة أن أسمع ذلك من سائق سيارتي قبل أكثر من عشرين عاماً، وما كان عربياً وإنما هو أندونيسي اسمه (أسنوي) فقبيله يتسمون بأسماء علماء الإسلام نشأ في مكة المكرمة وطاف في أرضنا وكما قالوا أرضنا كبريت تصنع من الناشئ فيها العفريت، ركبت سيارتي صاعداً إلى الطائف عن طريق الشرائع والزيماء والعدوة اليمانية والسييل والحوية حتى قَرَوَة في الطائف. . فالعدوة اليمانية من وادي من الظهران حتى إذا وصلنا اليمانية أرخى المسيرة للسيارة يمشي الهويينا فقلت له مالك؟ لماذا لم تسرع فقال: ألم تر الأرنب؟ قلت وماذا في ذلك؟ قال: الأرنب شؤم في الطريق ومرت دقائق فإذا هو يسرع قلت كيف أسرع؟ فقال ألم تر الثعلب (أبو الحصين) قلت: وماذا في ذلك؟ فقال: الطريق آمن، الأرنب شؤم والثعلب فال وعجبت كيف لم أعرف هذا وقد كنت بدوياً؛ وكيف عرفه هذا الجاوي، وسألته من علمك هذا؟ قال: حينما كنت سائقاً لبدوي فمنعني من السرعة حين رأى الأرنب وأطلقت السرعة حين

رأى الثعلب وفكرت أتفطن إلى العلة . . فلعل الأرنب تفر من صياد أطلق رصاصه فقتل أحد المارة لأن الأرنب غالباً ما تكون حول العمار، أما الثعالب فأغلب ما تكون بعيدة عن العمار، فالثعلب لا يقترب من العمران إلا في الليل ليسرق الدجاج، وهكذا الأسباب علمت مضرب المثل الشؤم في الأرنب واليمن في الثعلب حديث خرافة يا أم عمر.

حتى العنز

وحدثني صديق عن غريبة رآها فأثارني أن أحدثه عن غريبة رأيتها قبل ستين عاماً، فالغريبة التي حدثني عنها رآها وهو يزور صديقاً له قد اغتنى فاقتنى أكثر من عنز لا يبيع حليها وإنما هي وراثه البداوة، فإذا عنده أنواع، فكل عنز تنسب إلى أرض تكثر فيها عارضية بدوية مصرية ومعهن عنز لم يعرف من أين جاءت فهذه العنزة، غريبة التربة، فاجأته بأنها غريبة التربية، فقد أضرعت وأعجبه ضرعها (الحسقلي) وكأن كل فرع قارورة وحين وضعت ضناها جفرتين فرح بذات اللبن فهو لا يريد اللحم وفاجأته مرة أخرى هذه العنز الغريبة بالغريبة حين دنت جفرة من ضناها لترضع، هربت الأم وتركت جفرتها لا ترضعها فعجب كيف فقدت أمومتها فالضرع يكاد يشخب من اللبن وهي لا ترضع ضناها تركها لتكون طعام السكين يذبحها، وأخذ يرضع الجفرتين من القارورة (البزازة) فقد كان صاحبي يحدثني عن هذه الغرابة رآها رأي العين حتى إذا ذبحها لم يأكل لحمها بل تصدق به كره ذلك يعني أكلها وأحب أن لا تعيش وأخذت أحدثه فقلت له ففي سوق الحبابة وفي الجانب الشمالي منه دكان صاحبه مكّي، أقام في المدينة، اسمه (حسن السوسي)، أقتنى بقرأً وكثير من المعز يبيع الحليب والزبد وبينما كانت العنز المصرية تأكل من معلفها دنت منها عنز بدوية قرناء فإذا المصرية تطردها عن المعلف تنطحها ولا قرن لها، فإذا البدوية تنطح المصرية تفري

كرشها لأنها كانت قرناء وليس في ذلك شيء عجيب، وإنما الغريب العجيب أن العنز التي نفقت بنطحة القرناء تركت ضناها جفرة وجفراً فلا مرضع لهما، فإذا البدوية القرناء القاتلة تستدير بعد لحظات يسترخي ضرعها يشخب منه الحليب تحتضنه الجفرة والجفر ترضعهما فقد أخذتها الأمومة لترضع ضنى غيرها، أكان ذلك كفارة أم هي تربية الأمومة يوم كان الناس ناساً لا يشذ حيوانهم عنهم. أرضعت ضنى المقتولة فقد رأينا ذلك فعجبنا إعجاب الإحسان، أما صاحبي فكان عجبه من تلك الغرابة إعجاب هذا التطور حتى أدرك الحيوان فقلنا وحتى العنز.

المكارم

وقلناها من قبل أن العرب رغم جاهليتهم وقبل إسلامهم كانت لديهم مكارم أخلاق والبرهان على ذلك قول رسول الله المبعوث رحمة للعالمين محمد عليه الصلاة والسلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) والدافع لي أكتب عن ذلك هو الحديث الذي جرى بين خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي العبشمي وبني ولد إخوة قتادة صاحب رسول الله من خيار الأنصار وهو الذي سألت عينه حين أصابها سهم في غزوة أحد على الأرجح، وقيل في بدر سألت عينه فإذا فضل الله على رسوله فتمتد يد محمد ترد عين قتادة فإذا هو يبصر بها كأحسن ما تبصر به عين معجزة، فرضي الله عن قتادة والصلاة والسلام على رسول الله وذهب ولد قتادة يحمل سيف أبيه يهديه إلى عمر بن عبد العزيز، فهل هو بر الخال لابن الأخت فالأنصار أخوال عمر بن عبد العزيز جد أمه عاصم بن أبي الأقلح من تفضل الله عليه بالكرامة لا يمس جسده مشرك حين قتله، أم هو بر الولد لنفسه يسترفد عمر بن عبد العزيز ولا أقول يستجديه وتناول السيف الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فأخذ يروزه فإذا فيه ثلم وكأنما سأل عن ذلك فقال ابن قتادة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وابتسم عبد العزيز وأنشد:

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادت بعد إبدالا

أكرمه بهذا الثناء وأكرمه بالعطاء . . تلك شيم لا تستكثر على عمر بن عبد العزيز وأحسب أن ابن قتادة لو أراد المال الكثير لتقدم به إلى من هم قبل عمر بن عبد العزيز ولكنها الخؤولة ولكنها الثقة ولكنها التكريم لمن يستاهل الكرامة ولعلّ أحدنا اليوم ينشد سواء كان الجليل أو الأقل من ذلك قول الشاعر:

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا

وأحسب أنا سنرى كل شبابنا من الطامحين فالوارثون إذا ما حافظوا على ما ورثوا كانوا الطامحين .

شامير بلفور الثاني

واليهودي إيزاق شامير عادت به الذاكرة إلى الأيام التي كانوا يستجدون وطناً قومياً لهم، أو هي الأيام التي خبثت أعمالهم فيها فأصبحوا كل شعب في الغرب شرق الأطلسي يود أن يرحل هؤلاء اليهود الذين يعيشون بينهم ولا يتعايشون معهم أو هي أيام أراد الاستعمار وفي بريطانيا بالذات أن يكون لليهود وطن قومي فإذا دهاقنة السياسة البريطانية ينفذون اتفاق (سايكس - بيكو) الذي حدد فيه تمزيق الإمبراطورية العثمانية، والذي حدد به أن لا تكون وحدة عربية تكتلاً ينبغي ألا يكون في طريق الهند كل هذا يذكره شامير، فقد كان فيما عرض على اليهود قبل اقتناص بريطانيا لهم أن يكون وطنهم القومي في أوغندا، كان هذا التفكير الأول عملية طرد ولربما فيه عملية ضغط على ما يسترفد به النيل، فالاستعمار الفرنسي ترك لبريطانيا أن تتولى منح اليهود الوطن القومي واغتنمها البريطاني فإذا هو وعد بلفور ولم يكن منحة عاطفة على اليهود فيما تظاهروا به، وإنما كان عملاً متقناً لأن اليهود إذا ما استوطنوا في جزء من فلسطين يصبحون إسفيناً ينشطر به وحوله العرب شرق السويس يفترق عن غرب السويس بهذا الأسفين وزاد الطين بلة أن العرب تأقلموا حول هذا الوطن القومي وأن ثاروا فإذا هي الحرب التي عاشها العرب والتي خاضها اليهود كل هذا آثار الصلف في شامير والحق بل وطلب السلام من عضة الانتفاضة فإذا هو يقترح أن يكون

شرق الأردن هو وطن الفلسطينيين، يريد أن يطردهم من أرضهم إلى بعض أرضهم، يريد أن يستحوذ على الكل وأن يحدث الأزمة في الجزء كأنما هو يريد التخلص من الانتفاضة بهذا الاقتراح، وانفعل العرب يرفضون، ولم تكن لديهم الفرصة أن يحاربوا لكن ثورة الشعب الفلسطيني كانتفاضة لن تموت وحبذا لو أن يد الانتفاضة لا تمتد إلى فلسطيني يتهم بأنه مع اليهود فإن هذا الوضع يعني خسارة الفلسطيني يستغلها اليهود فيحومون حول بعض الفلسطينيين فيتهم لأن اليهود يشعلون حرباً أهلية . . دعوا المتهمين الذين هم قلة الآن لئلا يستغل اليهود هذا الوضع فيكثرون من الدوران حول الفلسطينيين، وما دام الشيء بالشيء يذكر فسياسة بريطانيا لم تعد مستفيدة من هذا الإسفين لأن إمبراطورية الهند انتهت، ولأن صداقة العرب ينمو بها الاقتصاد ويتنامى بها الخير الوفير للشعب البريطاني.

إن البريطانيين فيما سبق وقبل الاتفاق الودي بينهم ومع فرنسا قد راودوا الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري، وقد خرج من الجزائر حين استعمرها الفرنسي راودوه بمنحونه شبه جزيرة سيناء ولكن المجاهد الأمير عبد القادر قال الكلمة (هل الجزائر أرض بريطانية تمنحونها إليه) لقد رفض واستقبلته دمشق فإذا هو الكبير حتى لقد أغان لبنان يبعدها عن فتنة طائفية . . وتلك الأيام نداولها بين الناس . . ومن سره زمن ساءته أزمان .

لم يتضح موقف اليهود في أوروبا

وهذا التطور الذي أحدثه غورباتشوف فانهارت الشيوعية وانطلقت حرية أوروبا الشرقية لا بد أن يكون هناك سؤال فهل تخلصت أوروبا من الضيم لتعيش في سلام الحرية أم أنها ستعود بشعوبها إلى العنصرية وحرب الحدود فإذا روسيا تكون قد أشغلت أوروبا بنفسها فلم يصبح حلف وارسو قوة حرب ضد حلف الأطلسي، جيشاً مقابل جيش. وهل سيتضح بعد سلوك اليهود يعودون إلى أوروبا أو إلى ألمانيا بالذات لا ليتقموا وإنما ليشعلوا في ألمانيا شرقية وغربية العنصرية يشتعل بها طلب الخروج من الحصار الذي فرضه إمبراطور الكرملين.

ولماذا فعل غورباتشوف كل ذلك إن الإجابة لن تكون واحدة غير أنني أقتصر على واحدة وذلك أن حلف وارسو بعثه غورباتشوف عامداً، لا ليطلق الحرية وليصنع السلامة، وإنما هو صنع السلامة لروسيا من الحرب التقليدية ومن الحرب الاقتصادية، فالحرب التقليدية بين حلف وارسو وحلف الأطلسي لن يقتصر المغلوب من أحدهما على رفع الأيدي طالباً السلامة، وإنما هو السلاح النووي، حتماً سيتعامل به من يشعر بالهزيمة فالمفاوضات لإلغاء الصواريخ قصيرة المدى لن تكون ناجحة، فالنجاح لها ليس في سحبها أو في إلغائها، وإنما النجاح بتدميرها هو ألا تكون لها

فرصة تعمل فيها تدمر الجيش المنتصر، ومن ناحية أخرى فغورباتشوف يعرف أن السلافي الروسي لن يحوز النصر خارج حدودها فهو بين شقي المقص في أوروبا إذا ما ثارت حرب تقليدية، فشرق أوروبا الذي تحت نفوذه وبعوامل الضيم ودوافع العنصرية لن يكون إلا ضده، يعطي الفرصة للحلف الأطلسي أن يتغلب على حلف وارسو، فكثرة الجيوش لم تعد تنفع ما دامت هناك الصواريخ النووية وما دام هناك شعب يريد الخلاص من الضيم، إن غورباتشوف قد تخلص من الحرب التقليدية ولعله أزاح من دنيا الإنسان الحرب النووية. . إن الشيوعية المذهب قد أخذت حظها فإذا التجربة حملت الشعب الروسي كله أن يتخلى عنها وإعلان التخلي لا بد أن يسبقه ما فعله غورباتشوف، لقد بعثر حلف وارسو ليتعثر حلف الأطلسي كأنما أوروبا الغربية الركيزة لهذا الحلف بدأت تشعر أنها أصبحت وحدها بالوفاق بين إمبراطورية البيت الأبيض وإمبراطورية الكرملين يخيف هذه الركيزة، وما الشأن في شمال آسيا فما زالت إمبراطورية الكرملين أو هو غورباتشوف وبالذات لن يترك شمال آسيا كما ترك شرق أوروبا، والموقف في أفغانستان والغزل بين الآخرين برهان ذلك، فالحصيلة أذن أفريقيا تتأمرك وشمال آسيا ورغم الصين سيتكرمل، والكاتب الأمريكي الذي أعرب عن الواقع في أوروبا الشرقية بقوله إنه البركان لا يكذبه الواقع، فالألمانيان في صراع وبريطاني وفرنسا كل منهما يتوقى. . وما حدث في رومانيا ما هو إلا نذير البركان حتى على ولايات الاتحاد السوفياتي. وما هو موقف اليهود بعد أن أحسب أن الإجابة تأتي بالتخطيط الجديد للكهنوت اليهودي يشعل العنصرية كما أشعل الشيوعية، فاليهود ينتصرون لا بعمل أيديهم وإنما بالدس والفتنة فواقعهم في فلسطين لم يأخذوا ما يفعله طغيانهم بعمل أيديهم وإنما بتلك الأيدي التي لا بد وبعوامل الانتفاضة ستمتد تخرج من

حصار اليهود إلى انطلاقة الحرب ليس بالحجارة وإنما بتضحية الرجال
فالأمر كما قال شوقي:

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
ولالأوطان في دم كل حرّ يدّ سلفت ودين مستحق

إن غورباتشوف لا بد وأن يكون للصين موقف معه فإما أن يكون ضد
أو قد لا يكون.

الصبر والإيمان

والصبر والإيمان كان كل منهما مدار الكلمة التي تحدث بها خادم الحرمين الشريفين إلى الجمع المحتشد بالمدينة المنورة، جاءوا للسلام عليه، يتقدمون بالتحية والشكر، فإذا هو يتحدث إليهم عن القيم التي منّ الله بها عليهم. وهي نعمة الإسلام وكيف انتصر هذا الإسلام الدين الحنيف، الملة السمحة على من حارب ومن عارض ومن تربص به، حين سمعت هذا الحديث ارتفع وازع السكينة في النفس، فإذا بي والله ولرسوله المثل الأعلى (وكل شيء بقضاء وقدر حتى العجز). فمن قيم الإسلام القدوة والأسوة والاتباع. فالقدوة والأسوة نتخذ منها العظة ويأخذنا ذلك إلى العبرة فيستقيم أمر المسلم، وهذا البلد جزيرة العرب حرماً وسياجاً، لا بد أن يكون أهله المحافظين على هذه القيم التي تصان بها القيمة، قيمة المكان والإمكان، ومرة أخرى حين سمعت هذا الحديث، ومذ أرسلت هذه المقدمة، ذكرت الصبر والإيمان أنعم الله بهما وهو في داخل المدينة المنورة ومعه أصحابه مهاجراً وأنصاراً، فقد اتخذ رسول الله ﷺ العدة للجهاد لا يتأخر عن الخروج إلى بدر الثانية، فلأن كانت بدر الأولى النصر، أجهزت على النفير فتهالك الصناديد، فإن بدرأ الثانية أعجزت بقية الصناديد أن يخرجوا وهم الذين هددوا بالخروج في قولهم يوم أحد (موعدنا بدر في العام القادم) أرادوا أن يثأروا من بدر الأولى، فإذا هي بدر الثانية أخذت الثأر منهم دون حق، ثأر أحد، أعد الرسول محمد ﷺ

للجهاد، وبينما هو كذلك وصل نعيم بن مسعود الأسجعي الغطفاني بعثته قريش يرجف بالجيش فلا يخرج رسول الله في الموعد المحدد إلى بدر، تكلم الأسجعي مرجفاً يقول إن قريشاً قد أكثرت من العدة والاستعداد، وكأنه النصيح لا المرجف أخذه الظن أن رسول الله سيدنا محمد ﷺ يتأخر عن الخروج لتكسب قريش نصراً دون قتال، فيتسامع العرب عن تأخر محمد عن لقاء قريش، ولكنه الله أنعم بالصبر والإيمان فإذا الرسول يعتزم الخروج وإذا قريش يأخذها بمن أرسلوه ليخذل، ولكنهم هم الذين انخذلوا حين تخاذلوا، حتى إذا شاع خبر انخذالهم كانت الهزيمة المعنوية تحل بهم في سمع القبائل العربية كان تقولهم خذلانا لهم في سمع التاريخ، ولكنه الله أنزل على رسوله هذه الآية آيات محكمة فيها البشرية وفيها النعمة نعمة الصبر والإيمان نعمة الفضل (نصر عبده وأعز جنده فهزم الأحزاب وحده) فبدر الثانية كبدر الأولى كالأحزاب (الخندق)، هزيمة بعدها هزائم تلحق بالمشركين. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤)، ففي قوله تعالى جعل نعيم بن مسعود وهو رجل واحد وكأنه الناس، يعني المشركين لأنه تكلم بلسانهم فهو الناس مجازاً، وقريش كانوا هم الناس حقيقة، تلك روعة بيان القرآن فقبل الهجرة وبعدها، وقبل فتح مكة كان الناس هم المشركين. وحين جاء نصر الله وبعد الهجرة كان الخطاب للمؤمنين. فالصبر والإيمان دعاء إلى رب العزة والجلالة أن ينعم علينا بالصبر والإيمان لا نخشى عدواً يتربص ونضرب على يد فاسق يتلصص ونحذر هامساً يتملص والله جل جلاله هو رب العزة والجلال نسأله أن ينعم علينا بنصر الصبر وانتصار الإيمان.

الإحالة إلى التقاعد

والإحالة إلى التقاعد لا أكتب عنها خيراً يشرح التقاعد الرسمي من الوظيفة، وإنما هي أنني اعتزمت إحالتي على التقاعد اختيارياً إجازة في هذا الشتاء أتوقف عن الكتابة في الصحف إلا عن غرابيل فالشباب يأخذون الإجازة في الصيف أما العجوز فيأخذها في الشتاء، فالشباب يتنفس في الصيف حتى لا ينافس والعجوز يريد أن يتنفس في الشتاء فالعجوز من قبل أنشد:

إذا جاء الشتاء فأدفئوني فإن الشيخ يبرمه الشتاء

وجدتي العجوز كانت تغني لي بقولها (يا برد يا شلح، خلي العجيز تشلح، تركب قعود الأملح، تعصد لها عصيدة، في البرمة الجديدة، معصاها حديدة) وما أحلت نفسي على التقاعد عن عجز في المعرفة فما زلت حياً بها ولا عن تعجيز من أحد، ولكنها الراحة أريح وأستريح فقد قالت إحدى بناتي يوم رأنتي استجدي الذين أملي عليهم: (يا أبويه استريح أنت؛ راح تأخذ زمانك وزمن غيرك) فأجبتها: أنني أريد أن أعيش زماني حياً فلا أريد أن أدفن في حظائر النسيان فكم من طليعة ظهر وهو فوق ثم حين ترك الفوق لم يعد في ذاكرة أحد.. لهذا أريد أن أكون في ذاكرة من يمتح ليمدح أو في ذاكرة من يقده فالمادحون يمنحون ثناءهم والقادحون لو

منحوا هجاءهم لكان في هذا انشغالهم بي، وما ذلك إلا أنني أحيا مع المادحين وأعيش بالقادحين ولقد ذكرت أن الصيام عن الكتابة واستثنت للغرايبيل، لأنها أصبحت أليفة، أو لأنها الوفاء لمن تألفين، فالوفاء يعجز عن من لا يصنع الجميل فيدخل بشبر ولن ترى شاكرًا إلا وهو صانع جميل ولن تجد صانع جميل إلا وهو شاكر، فقد عرفت اثنين صنع لهما شيخ كبير جميلًا كبيرًا انتصبت به قوتها، وزان بها قوتها، وحتى إذا ألفت به كاربة لم أر واحداً منهما سأل عن أهله ولو بمكتل فيه بعض اللحم والخضار أو بكيس رز، ولكنني وأنا أشاهد ذلك رأيت رجلاً بين أهله وبين هذا الرجل عداوة فإذا هو يسرع بأكثر من مكتل يرسل إلى بيت الرجل المكروب.. تلك نخوة ومن الآخرين عجز عن الشكر وعن صنع الجميل.

وأذكر أن والدي وقد سمع أنني دعوت بعض الأصدقاء إلى حفل غداء في بستان كلفني الحفل لأكثر من عشرين رجلاً أربعين ريالاً وقد علم أبي ذلك فقال لي: وفر عليك فلوسك أخاف أن تفلس فلا تجد من هؤلاء الذين أكلوا الأربعين ريالاً من يسأل عنك وصدقت نصيحة الوالد. فلم أجد من ذكر بشكر رغم أنني لم أفلس فلا زلت بخير حين أجد الخير من صانع الجميل فأرجو المعذرة والله الحمد والشكر.

العائشتان بلا حياة

وعن هذا العنوان عن العائشتين عاشتا بلا حياة فماتت الأولى، من كربها فإذا هي حية حين ماتت تحيا في ذاكرة المراهق كاتب هذه الأسطر، والأخرى عاشت ميتة في سنوات قليلة ثم امتدت حين زال الكرب. . .
العائشة الأولى كنت أراها صديقة للعائشة الثانية ولما أبلغ العاشرة من عمري لكن الطفل بعد العاشرة يأخذه الجمال في كماله لم يأخذ منه إلا الذكرى في أحلام اليقظة. كانت العائشة الأولى مضرب المثل في الجمال ففي عينيها سهام أهدابها تشق القلوب قبل الجلود كما وصفها المتنبي، وحين بلغت سن الزواج تقدم إليها أكثر من خاطب لم تعرف واحداً منهم إلا بوصف الخاطبة فلم يقبل أبوها واحداً منهم، مع أن كل واحد منهم في سن الشباب لكنه فارغ الجيب وأبوها يريد جيباً لا قلباً لم يكرمها من أبيها لهؤلاء فلعلها كانت تياهة بجمالها حين تقف أمام المرأة أو حين تراها عجوز تقول «ما شاء الله تبارك الله: عين الحسود فيها عود».

فثناء المرأة وثناء العجوز أغنياه عن الغضب تدعو الله أن يمن عليها بعريس يرضاه أبوها ويرضيه.

وفي يوم أسود أخبرها أبوها بأنها ستزف إلى عريس سيفه ذهب وعباءته مقصبة، وعقاله مرعزي من شغل محمد القين لأنه شيخ شذ عن

قومه في ثورتهم على الترك والتحق بفخري باشا فأعطاه الجنيه العثماني «الاستنبولي» وما تمنعت لأنها تخاف من قسوة أبيها تخاف أن يضربها إذا ما قالت لا فيتعطل ثناء المرأة، واستجابت وزفت إلى عريسها وقد كان زوجاً لغيرها، وقد كان قصيراً مجدوراً أحول العينين قد نيف على الخمسين وهي لم تصل إلى العشرين، وبكت وإذا الرمش يتعطل وإذا اللون يتغير كأنما خديها باسميتان ذبلتا ترميهما الدادة خارج الحوش في زاوية القمامة، ولم تدم طويلاً أو لم يبق طويلاً لأنه لم يجلب نصيراً من العرب إلى فخري باشا فإذا الوسيط بينه وبين فخري «غالب باشا الشعلان» يقول لزوجها الذي أعرفه معرفة بصلته بالوالد يقول له أنت عربي وأنا عربي كتب عليّ أن أبقى لأنني ضابط في الجيش التركي فأركب ذلولك وأخرج فالباشا فخري قد ينالك بسوء وذهب إلى قومه يعتز إليهم، أما هي فقد أمضها الحزن لا على فقده وإنما على ضياع جمالها وقتل فؤادها، فماتت بالحمى الراجعة «أبو الركب» وقد انتشرت في المدينة مرضت، لا تستطيع أن تمشي فأدركتها حياة المدينة وتداركها موت العيش، ولها أخت كانت حكايتها كما أختها تزوجت بأمر أبيها إلى من نيف على الستين لأنه كان يملك الستينات من ألوف الجنيهات ولم تعش طويلاً يعذب الجسد فماتت وقد بلغت العشرين لأن موتها كان في عهد قديم.. أما العائشة الثانية فزوجها أبوها لمن عنده مال وكان مشلولاً كسيحاً قد نيف على التسعين يبول فوق سريره تحمل المبوالة جاريته.. وعائشة لماً تبلغ العشرين تذوب ولكنها رحلت من المدينة مع الأسرة حتى إذا عادوا بعد هزيمة الترك وجدته ولما يطلقها قد مات فإذا هي تحيا.. يتزوجها شاب تعيش معه وأنجبت الأطفال فاغتني واقتنى فإذا هي وكأنها مد السعد عليه كما كان هذا وصف عارفيها وهكذا..

أدب الإمام

أكتب اليوم عن أدب الإمام سواء هو محمد ابن إدريس الشافعي المظلي بن عبد مناف أو هو أحمد بن حنبل الشيباني، فبين الإمامين العميق من الود والصدق من الاحترام نظافة في الوجدان وصدقة مع المعرفة وصدق في حسن النشأة وأصالة الأعراق، فالإمام الشافعي معروف وفاؤه لشيخه مالك بن أنس إمام دار الهجرة فقد قال (مالك أستاذي وعنه أخذت العلم فقد غمره مالك بالرعاية يتعلم منه بل وينال العطاء منه فقالوا أن مالكا أجزل العطاء مالا لتلميذه الشافعي .

فرق كبير بين الأمس واليوم إلا في الذين هم اليوم كأهل الأمس فما زال للخيرين بقية، وامتدت رحلة الشافعي إلى بغداد وفي حسابانه أن يلقي ابن عبد مناف من العباسي بن عمه بعض الرعاية وما كان الشافعي في جلاله قدره يستعلي على إمام آخر، فأبو حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه (الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه) ولعلّ أبا يوسف شغله مركزه عن كثرة الوصال مع الشافعي، فإذا الشافعي يتصل بمحمد الإمام تلميذ أبي حنيفة أما باتصاله بالإمام أحمد فاتصال الأخ لأخيه والصديق لصديقه فقد كان يكثر من زيارة أحمد كما أن الإمام أحمد يكثر من ذلك وسمع الشافعي من يأخذ عليه الإكثار من هذه الزيارات فقال بأدب الحب وحب الصداقة هذه الأبيات فالشافعي الفقيه كان شاعراً قال :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرتة فلفضله فالفضل في الحالين له

ويأتي الذكر للإمام أحمد ناصر السنة قاهر البدعة، رآه الإمام الصدوق يحيى بن معين وهو المكبر لأحمد فيحیی رأى الشافعي راكباً دابته والإمام أحمد واقفاً على الأرض يتحدث إليه الشافعي فطال الوقوف بأحمد على هذا الحال فأستكثر يحيى بن معين ذلك فإذا الوقوف بأحمد واسمه صالح يقول له كيف يفعل أبوك هذا، الشافعي راكب وأحمد يقف على الأرض وأخذها صالح يخبر أباه بما قال ابن معين فإذا الإمام أحمد تأخذه نشوة الصداقة وإجلال العلم فيقول لابنه ليت يحيى يقف على شمال الشافعي فيستفيد علماً وما أحسن بأن نتمثل بقول المخاطب لجرير:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وتدور الأيام فإذا المتسع من الأرض يضيق على الشافعي ليمصر، وإذا الخناق يرهق الإمام أحمد يصبر على الأذى حتى جاء الفرج بعد المعتصم وخذلان ابن أبي دهاه إلى المتوكل فيصبح الإمام أحمد هو الشيخ المرشد للمتوكل العزيز به والمعز له.

وما دام الشيء بالشيء يذكر فقد سألتني أديب كبير يعشق الفرس يقول لي فاحراً أو مؤنباً إن أحمد بن حنبل فارسي ولد في أصفهان فقلت له هو عربي شيباني من ربيعة الفرس وما أكثر العرب هناك الذين حين فتحوا انفتحت قلوبهم إلى العيش في ظل التي فتحوها.

هكذا كانوا وما زالوا هم القدوة يرحمهم الله، ولا أنسى أن في أصفهان أسرة ما زال لقبها هو ذو يزن وكم من ألوف العرب وعلى ساحل إيران من عرب كثر أكثرهم من الطائيين يحملون لقب (الطائيين).

حرية أوروبا (استقطاب) آسيا وإفريقيا

(١)

ويسمع العالم كل يوم عن عزائم جورباتشوف سواء كان داخل الاتحاد السوفياتي من عوامل التغيير أو عن إعلان السلام بأوروبا شرقيها وغربيها، كأنما جورباتشوف يرسلها جرعات واحدة تلو الأخرى فإذا الدنيا كلها تزعم أنه الإنفراج، وإذا الولايات المتحدة لا تكاد تخرج من مفاجأة إلا إلى أخريات، فالكلام عن هذا طويل فهل إعلان التغيير في الاتحاد السوفياتي وسيلة ليحدث التغيير في أوروبا أو لتحدث الإغارة بأسلوب الاستقطاب على آسيا يستقطبها الاتحاد السوفياتي، فلا تجد إفريقيا نفسها إلا وهي المستقطبة لأوروبا التي لا تخاف الحرب، وللولايات المتحدة التي تغتم السلام، فالشيوعية في الاتحاد السوفياتي تحطم منجلها، فإذا الجذور تفرع، وإذا الاتحاد السوفياتي يكسب ثقته من الذين كانوا يعيشون الخوف الآمن كأوروبا والولايات المتحدة؛ ومن الذين تعايشوا مع الأمن الخائف شعوب آسيا وإفريقيا وحتى شعوب أمريكا الجنوبية، فبالأمس كان إعلان المنح لكل شعوب حلف وارسو أن تكون حرة الاختيار، فلا سيطرة عليه كأنما حلف وارسو بدأ ينحل وما ذلك إلا ليدوب حلف الأطلسي فذلك يعطي أوروبا كلها السلام. بل يمنح إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض فرصة

الإفاقة من الحرب الباردة أعدت الصواريخ إلى السلام المحارب ليس بالسلاح وإنما بالسلام، فجورباتشوف قد يتصور بهذا التحرك أن يأخذ من الولايات المتحدة غرب أوروبا، فما دامت لا حرب ولا صواريخ وما دام التلويح بسحب الجيوش لئلا تكون جرعة تقليدية، فإن غرب أوروبا يتنفس الصعداء من وضع اليد الأمريكية عليه، فإذا ما انسحبت الجيوش الروسية فإنه لا معنى لبقاء الجيش الأمريكي، وما أحسب أن الولايات المتحدة قد تصورت أن هذا السلام في أوروبا هو الدعوة من جورباتشوف لها لتعود إلى مبادئ مونرو حياً لا يستعمل السلاح وانحيازاً إلى الاستقطاب تمارسه في إفريقيا وذلك إن كان خسارة النفوذ في أوروبا فهو كسب التنفيذ باستقطاب إفريقيا ولربما لغرب آسيا فهل كان جورباتشوف يقصد ذلك أم أن الشيوعية والتكاليف الباهظة التي أثقلت كاهل الاتحاد السوفياتي هما السبب في ذلك.

إن التغيير في سياسة أي دولة إذا ما أعلن عن صنع الزعامة فإنما هو من رغبة الشعوب في التغيير لتخرج من الخوف الآمن ومن قسوة الاقتصاد، فالروسي والأوروبي في حلف وارسو قد تكلفا الكثير من اعتناق الشيوعية ضيق المساكن، الحاجة إلى وفرة الطعام والحدث أكثر إلى استقلال الفرد، إن جورباتشوف قد وصل إلى نتيجة وهي الترفيه عن الشعب الروسي والخلاص من كل التكاليف على أوروبا الشرقية، فالأمر إذاً هو سلطان المعدة وسلطة الاستقلال للفرد.

وآسيا وإفريقيا جاهزتان للاستقطاب لأنهما لا يخشيان الاستعمار، فالاستعمار يكلف الذين يستعمرون حتى لينال الاستعمار من أصحابه النقص من ازدهار الصناعة التي لا تروج عن طريق الاستعمار، وإنما رواجها هو عن طريق الاستقطاب. والاستقطاب عن طريقين طريق باسم الصداقة

وبدعوى الحماية وطريق باسم تصدير الواردات من آسيا وإفريقيا بالثمن الرخيص، واستيراد الصادرات من الدول الصناعية بالثمن المرتفع ولن يتأخر الاتحاد السوفياتي بهذا الأسلوب عن التغيير أن يكون من بين الدول الصناعية الكبرى، فالصواب أن نقول كما هو الإعلان أن السلام في أوروبا وحرية شعوبها هما الوسيلة للاستقطاب. والولايات المتحدة سوف لا تخسر شيئاً حينما تنزح من أوروبا لأنها ستكون في إفريقيا، فمن وسائل جورباتشوف أنه سمح لأصدقائه في إفريقيا أن يتقاربوا مع الولايات المتحدة فجلاء الكوبيين عن انقولا وعن الحبشة نداء للولايات المتحدة ونصح لأصدقائه أن يلبوا النداء أو حتى يرسلوه فالاتحاد السوفياتي يكفيه ما سيناله من الاستقطاب الآسيوي.

الانتساب إلى بلد لا يلغي نسبَ الولد

ولعلّي في هذه الكلمة أستجبت لما لاحظته عليّ السيد الكريم سامي البرزنجي ابن البيت المكرم في المدينة المنورة، فقد كانت ملاحظته المهدبة عن نسبة هذا البيت هذه الأسرة «البرزنجي» وكيف أنني وفيما كتبت في ذكرياتي عن المدينة المنورة والتي طبعت تحت اسم «العهود الثلاثة» فالأمر كما سمعت وكما أوضحت أن نسبة البرزنجي إلى الأكراد وعلى رأسهم القبيل البرزاني في شمال العراق . . منهم البرازي في الشام فوجدتني أكتب ناسباً البرزنجي إلى البرزاني بالإضافة التركية فإذا السيد سامح البرزنجي يكتب إليّ خطاباً نظيف القصد مهذب الأسلوب يوضح لي هكذا . . إن لديهم وثيقة من الخليفة المقتدر العباسي بتاريخ اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة توضح منزلته عند المقتدر ومكانته في المدينة المنورة في حدود ما كلف به بما أجازته ذلك الزمان فهم أسرة عريقة بيت علم لأجدادهم مؤلفات كثيرة فمنها الإشاعة في أشراف الساعة وغيرها .

أما الانتساب إلى برزنج فقد ذكر أن جديه اللذين صلح أمرهما فشرهما الله أن يقوموا ببناء مسجد في قرية اسمها «برزنج» مركب إضافي «بر» و«زنج» السليمانية المدينة الكبيرة في شمال العراق فمن هنا التبس الأمر فهذه القرية

وفي السليمانية يسكنها أكراد فكان الظن من الذين نسبوا أنهم أكراد بينما الموضوع يحتاج إلى تدقيق فكما قلنا الانتساب إلى فئة، إلى قبيلة، إلى بيئة، إلى بلد لا ينفي ولا يلغي نسب الولد وإلحكم هذا العدد من الانتساب شاع وذاع ولم يبلغ النسب فأصحاب العلية في النسب قد انتزعوا إلى قبائل من العرب فإذا الانتساب إلى قبيلة كالحارثي والهجاري والحفناوي والرسبي والبلاوي والجمازي والميرغني انتساب شهروا به ولكن النسب محفوظ، وفي الأقاليم العربية والأرض المسلمة انتشر أصحاب النسب، فإذا الانتساب إلى مساكنهم كالكتاني والزواوي والسنوسي والقناوي والبخاري، كل ذلك انتساب ولكن الأنساب محفوظة الكتاني مغربي والمرغني سوداني، والذي ذكرنا معهم كلهم من أصحاب النسب يعرفون به ولم يضع ذلك منهم وكذلك الجمازي وقبيل من العرب أصبحوا في صعيد مصر صعايدة، بينما هم ذوو نسب الحميدات جهينة والآخرين نسبوا إلى قرية بينما هم هلاليون سليميون، والخلاصة أن النسبة إلى القرية برزنج انتساب لا نسب، ولعلي أطمئن السيد بأني قد عرفت معرفة العيان والمشاهدة والثناء جدك القاضي النظيف السيد زكي البرزنجي، كان ذا وقار، تولى القضاء في المدينة المنورة في أيامنا التي عشناها في المدينة لم نسمع عنه ما يشين، أما أبوك جد أبيك السيد أحمد البرزنجي؛ فقد عرفته بالسمع وبطرق ثلاثة . . فالأولى عن أشياخنا في المسجد النبوي حيث كان يتولى الإفتاء والتدريس وهو جد السيد عبيد مدني والسيد أمين لأمه فإذا هم فرع لعرق نظيف، والثانية عن الطريقة من مذكرات عالم الشام السلفي الشيخ جمال الدين القاسم، فقد ذكر تعارفهما وكيف استطاب كل منهما الآخر حتى إن السيد أحمد طلب من جمال القاسمي أن يتوسط له ليرجع إلى الإفتاء، أما الطريقة الثالثة فعن البشير الإبراهيمي شيخ الجزائر، فقد ذكر لقاءه بالسيد أحمد

البرزنجي فيما كتبه في موسوعته «عيون البصائر» ذكر لقاءه بالسيد أحمد وحواره معه عن الدراية والرواية للحديث النبوي، فالبشير يرحمه الله كان يرى أن الفقه الآن ودراسته السنة في حاجة إلى الدراية ولا لزوم إلى الرواية لأن الأمهات من الصحاح قد دونت وطبعت، فالرواية لا تزيد شيئاً وإنما الدراية هي التي نزداد بها فهماً فلو لم يكن السيد أحمد البرزنجي أولاً لهذا الحوار يجريه معه الإبراهيمي لما ذكره ولما استند إليه ثم أنت وفيما كتبت أيدتك أختك وجدتكما على النسق في الحفاظ على قيمة البيت والأسرة فالسيدة أختك وجدتها في رسالتك تنحت من علم تعلمت في أيام قليل من تعلمنا مثلها.

وأما النسب إلى الأكراد فما جفاه صاحب السند العالي الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني الذي أخذ عنه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وما تركه حفيده قاضي المدينة وشاعرها عمر كردي وأخوه رئيس الديوان صالح الكردي وابنه محمد الكردي كما أن في المدينة المنورة أسراً كثيرة ما زالت تنسب إلى الكردي انتساباً إلى فئة ولم ينف ما لهم من نسب عربياً كان أو عراقياً أو غير ذلك.. فشكراً على ثنائك وأدبك الجم ومعدرة تستطيب نفسك بها ويحفظك الله.

الماس فحم . .

وذهب أستاذنا الشيخ محمد عبد القادر الكيلاني التونسي الزيتوني المصري الأزهري المديني إلى الطبيب الدكتور سعيد مصطفى وقد كان الشيخ يثق به طبيباً يعالجه ومثقفاً يحاوره فهذا الطبيب لم يقتصر على الاختصاص وإنما اتسع له الامتصاص لأنه قارئ يبهرك حين يتحدث عن ابن الرومي أو عن الطبري ومن إليهم واستقبل الطبيب شيخنا لم يمنعه حارس المكتب مع أن الطبيب كان عنده ضيف له مكانه.

وجلس الشيخ لا يتطب لأن الحوار الثلاثي بينهم أخره عن الاستشارة أو الفحص وامتد الحوار كل واحد منهم يدلي بدلوه، فالثقافة تجر من اجترها إلى أن يتسع بها الحوار وتكلم الضيف عن الإنسان صالحاً وطالحاً عزيزاً وذليلاً معذباً أو مغفوراً له وأنهى حديثه بسؤال إلى الشيخ الكيلاني وما لنا لا نذكر اسم الضيف لقد كان هو الحاج عبد الله فلبى الذي أسلم وهو إن لم يكن سياسياً فقد كان مستشرقاً سأل الشيخ: أليس البشر كلهم بني آدم خلقهم الله فكيف تفرق بهم الطرق كما نراهم الآن وقبل ذلك عزيز وذليل إلى آخر ما هناك فلماذا لم يكونوا في العزة سواء. فأخذ الشيخ يجيبه قائلاً: لن تجد الإجابة عندي بشيء تعرفه كما أعرفه ولكن الإجابة في يدك اليمنى فحين أقبلت عليك وصافحتني فإذا في يمينك خاتم فضة يلمع يأخذ

بالبصر كأن من الماس أسألك كم هو عزيز لديك وكم دفعت ثمناً له . لا بد أن ذلك كان ألوفاً من الأسترليني لمعانه يبهر وحجمه أبهر وأنت تعرف هذا الماس الذي تعتز به هو من الفحم يستخرج من مناجم الفحم فالحرارة في أغوار المنجم تصهر الفحم الأسود الذليل يتبخر ثم يتكلس فإذا هو الماس فحماً تكلس ببيض ، فالعامل الجاهل وهو ينجم الفحم يجد ماسة يحسبها حجراً من أحجار المنجم والعارفون يسرعون يخطفونه من يده يقولون له إنها ليست كلساً ولا فحماً وإنما سترها بعد جوهرة هي الماس . يأخذونها عند الصناعات يضلعونها يمسحونها فإذا الأشعة يخطفها المضلعات من الماس يعكسها كأنها من ضوءه حين كان كلساً لا يعابأ به أحد . وحين موشره ضلعه يأخذ الضوء يلمح يصبح العزيز كألمع جوهرة في التاج البريطاني كألمع جوهرة أطلقوا عليها اسم الكوكب الدرّي لا بد أنك رايته في متحف الآثار في الأستانة أي في المتحف (طوب كوبي). ها أنت تلبسه في يدك معتزلاً وأكوام الفحم لولا التدفئة وما إلى ذلك لما كان لها ثمن فالأكوام منها ولو بلغت الألوف لا يبلغ ثمنها ثمن هذا الفص الذي تلبس وهكذا المثل . أضربه لك فيما سألت عنه . فضحك السائل ولكنه قال : جواب مثقف وقناعة مثقف ولكن السؤال يبقى يفتش عن جواب . فقال الشيخ : أن الجواب هو : أن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء . وانصرف الشيخ بلا تطبيب إلى وقت آخر . ولكنه أتحنفني بها يعلمني .

الفتنة ومحمد بن سلمة

وعن الفتنة كتبت مقالاً في جريدة عن موقف الأئمة الثلاثة مالك ابن أنس إمام دار الهجرة والخضير بن عياط الإمام في مكة وأحمد بن حنبل الإمام في العراق، فإذا قارئ يتلفن لي يسألني مالك نسيت قاتل كعب بن الأشرف الصحابي الجليل محمد بن مسلمة الذي أطاع خاتم الرسل المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله أمر ألا يخوض فتنة فإذا هو تقتله الفتنة، وأجبت السائل أشكرك وسأذكرك فمحمد بن مسلمة صاحب رسول الله قتل كعب بن الأشرف العربي الذي تهود فكان شراً من يهودي سليقة، ومحمد بن مسلمة هامة من هامات العرب من الذين كانوا مع عمرو فتح مصر، جرى لساني يوم تحدثت عنه بأنه أمين هذه الأمة الثانية إلا أن عمر بن الخطاب أتخذ منه أميناً يحاسب به عماله وما كنت أدري أن هذه التسمية صحيحة بما فعل وإنما كانت الأصح لأنه الأنصاري الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أمين الأمة الأول ألا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد اليرموك فاتح دمشق كأنما هذه الأخوة زرعت الأمانة بين الأمين للأمن ولكي أعطي القارئ ترجمة لسيرته أكتبها نصاً من المراجع. فمحمد بن سلمة هذه ترجمته كما هي في المراجع.

محمد بن مسلمة بن خالد عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج ابن

عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي أبو عبد الرحمن المدني حليف بن عبد الأشهل، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة في قول الواقدي، وهو ممن سمي في الجاهلية محمد أو قيل يُكَنُّ أبا عبد الله وأبا سعيد والأول أكثر. وروى عن النبي ﷺ، ابن عبد البر في نسبه: روى عنه ابنه محمود وذؤيب المسور بن مخزومة وسهل بن أبي خيثمة وأبو بردة بن أبي موسى وعروة والأعرج وقبيضة بن حصن وآخرون وقال ابن شاهين: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث أنه شهد بدرًا وصحب النبي ﷺ هو وأولاده جعفر وعبد الله وسعد وعبد الرحمن وعمر وقال وسمعتة يقول قتله أهل الشام ثم أخرج من طريق هشام عن الحسن: أن محمد بن سلمة قال أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال قاتل به المشركين ما قوتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فأنت به أحداً فاضرب به حتى ينكسر ثم أجلس في بيتك حتى تأتيك يداً خاطئة أو منية قاضية ففعل. . . قلت ورجال هذا السند ثقة إلا أن الحسن لم يسمع من محمد بن سلمة وقال ابن سعد أسلم قديماً على يدي مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة وشهد المشاهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ أن يقيم بالمدينة وكان ممن ذهب إلى قتل كعب بن الأشرف وإلى ابن أبي الحقيق وقال ابن عبد البر كان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، وقال حذيفة في حقه: إني لا أعرف رجلاً لا تضره الفتنة فذكره وصرح بسماع ذلك من النبي ﷺ أخرجه جهينة وقال غيره كان عند عمر معداً لكشف الأمور المعضلة في البلاد وهو كان رسوله في الكشف عن سعد بن أبي وقاص حين بنى القصر بالكوفة وغير ذلك وقال ابن المبارك في الزهد أنبأنا عيينة عن عمرو بن سعيد عن عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص أتخذ قصرًا وجعل

عليه باباً وقال انقطع الصوت فأرسل محمد بن سلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤتي بالأمر كما يريد بعثه فقال إئت سعداً فأحرق عليه بابه، فقدم الكوفة فلما وصل إلى الباب أخرج زنده فاستورى ناراً ثم احرق الباب فأخبر سعد فخرج إليه فذكر القصة وقال ابن شاهين كان من قدماء الصحابة سكن المدينة ثم سكن الربذة يعني بعد قتل عثمان قال الواقدي مات في المدينة في (صفر سنة ٤٦) وهو ابن سبع وسبعين سنة وأرخه المدائني سنة ٤٣ وقال ابن أبي داود قتله أهل الشام وكذا قال يعقوب بن سفيان في تاريخه دخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الأردن وهو في داره فقتله، وقال محمد بن الربيع في صحابة مصر بعثه عمر إلى عمرو بمصر فقاسمه ماله وأسند ذلك في حديث ثم قال مات في المدينة سنة ٤٣ وله سبع وسبعون سنة وكان طويلاً معتدلاً.

لا كوفي ولا مصري ولا شامي

ولئن زعمت ألا يكتب التاريخ على صورة جديدة، فإني أجري حواراً مع هذا الانتساب للذين أقبلوا تائرين من الكوفة ومصر يصلون إلى المدينة المنورة، يفرضون ما يرغبون فيه على الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإذا الخبر يقول إنهم الكوفيون والمصريون فإذا الوارثون بعد يلومون وحتى لا يبغضوا الكوفية والمصرية، وكان هذا أول سبب للمفرقة والاختلاف، مع أن الأمر ليس كذلك، فالكوفيون ما كانوا كلدانيين وإنما هم بقية المجاهدين من أهل القادسية هم الذين بنوا الكوفة طغت عليهم الفتنة فأقبلوا تائرين. هم عرب ولا غير ذلك، والمصريون من بقية الذين فتحوا مصر عرب من كل قبيل عربي وليس فيهم قبطي، فمالك ابن الأشتر وابن الأشعث ومحمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن أبي حذيفة ابن عم عثمان وربيبه كلهم عرب تزعموا عرباً منهم فاغتالوا عثمان. طلبوا تسليم مروان بن الحكم يرغمون الخليفة على ذلك فالوضع أن نفقه الحقيقة ونحن في زمن نحتاج فيه إلى الوثام يزول به الفصام والخصام.

وفي وقعة الحرّة وحصار مكة مرتين وحرقت الكعبة إلى آخر ما هنالك يقولون إنهم الشاميون مع أنه لم يكن القائد في جيش الحرّة ما أصاب به المدينة المنورة وجيشه لم يكن شامياً، لم يكن غسانياً ولا بهرانياً ولا كلبياً،

وإنما هو عقبه بن مسلم المري من مُرة غطفان لا من مرة يام جيشه من قبيلة واللذان حاصرا مكة أولهما في عهد يزيد بن معاوية بن الحصين ما كان شامياً، والحجاج ابن يوسف الذي انتصر على ابن الزبير ما كان شامياً وإنما هو ثقفى قريب الجوار إلى مكة فالخبر عن أن أهل الشام فعلوا ذلك أحدث كثيراً من البلبله والفُرقة وحتى يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان لم يكن كل منهما شامياً جيلاً بعد جيل . فقد وقع خصامٌ بين طفليين في الهدا أحدهما حفيدي أبيض أخضر العينين والآخر قبلي بدوي فإذا البدوي وبتأثير الوراثة يسب ابني بقوله (أعقب يا الشّامي) وما ذكرت ذلك كله إلا ليكون الدرس في الجامعة وفي المدرسة زرع التحب لنقتل الفصام والخصام، فعلاقة الشعوب بمنح الزعامة النصر بمسيرة التضامن في إنقاذ المصير، ولهذا لن يكتب التاريخ وإنما ينبغي أن يفقه .

حفظ الله الحرمين من البغاة

وتحت هذا العنوان نكتب عن المراحل التي استشرى فيها البغاة وهم حول الحرمين فلم يصلوا إليهما فقد حجزهم الله، يحمي الحرم الآمن جعله الله مثابة للناس وأمناً وحمى المسجد النبوي حرماً ثانياً، فلم يصل طاغية ومعه جيش جرار إلى أن يحتل ما حول الحرم لثلا يصل إلى الحرم، ونسوق الحديث عن هؤلاء الغزاة فأولهم «نبوخذ نصر» عظم سلطانه كلدانياً فإذا هو مسلط من الله يصل إلى فلسطين فجاس خلال الديار، واسترق اليهود يسقط علوهم الأول، وسار من فلسطين يعبر وادي القرى فإذا هو لا يتخطى تيماء يصطاف فيها كأنما أعجبه هداجها وأشبعته نخيلها، أو كأنما اتسعت الأرض فخاف على جيشه الضياع وما لنا وما لكأنما وإنما هو الله حجزه في تيماء فلم يصل إلى العلا ولا إلى هديه وخير حجزه الله بعيداً لا يصل إلى المدينة فلم يصل إلى مكة من أن هناك قصة مسجلة في تاريخنا وهي أن النبي غير الرسول دانيال لم يأسه الكلدان فأوحى إليه الله خاصاً به أن يصل إلى مكة، وكان معد ابن عدنان جد العدنانية طفلاً حتى إذا وصل دانيال إلى مكة حمل معداً الطفل يصعد إلى رأس جبل يحميه خشية أن يصل نبوخذ ولكن نبوخذ، لم يصل وانتهى أمر الكلدان فإذا هم بعد الأنباط وصلوا إلى جزيرة العرب سالمين منهم أصحاب الرس حفروا الآبار بالأزميل وأكملوا حضارة ثمود سالموا فسلموا ولم يصلوا إلى مكة ولا إلى المدينة

فدخلت بعض لهجاتهم في اللغة الفصحى، وعن التتار احتلوا الشام والعراق ولديهم قوة من الجيش كان في إمكانهم أن يصلوا إلى الحجاز وإلى نجد ولكنهم حجزوا فلم يصلوا وحفظ الله الحرمين من التتار كما حفظهما من الصليبيين، فالصليبيون قبل التتار مكثوا في فلسطين وما حولها مئتي عام فحجزهم الله أن يصلوا إلى الحرمين وأراد ملك من ملوكهم اسمه «ارنولد» ونسماه نحن العرب «أرناط» أراد أن يجمع السفن يصل إلى ثغر الحجاز جدة لينال من الكعبة فإذا به السلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي العراقي الكردي الدمشقي المصري وهو بكل ذلك المسلم العربي علم صلاح الدين بما بيّت أرناط فنهض يَقسِم أن يقتل أرناط بيده وعبأ السفن يحجز سفن أرناط وكأنما حماية الحرمين أعطت صلاح الدين أن ينتصر يخلص بيت المقدس كما حما الحرمين فيأسر ملوك الفرنجة الصليبيين يعفو عن جميعهم إلا عن أرناط الذي بيّت غزو الحرمين فابر الله قسم صلاح الدين ليقتل أرناط بيده يمنع عنه شربة ماء لثلا يكون في أمنها.

فانتصر صلاح الدين نصره إسلامه، وانتصر حين كانت الشام ومصر في وحدة، وحين قبائل العرب قد سارعت تناصره، لقد وجدت القبائل نفسها أمام انطلاقة كانت أغلقتها الشعوبية، وحام الاستعمار في العصر الحديث فلم يصل إلى الحرمين ثم جاد الله سبحانه على هذين الحرمين بوحدة هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» كان واحده الذي وحدّه بعناية الله عبد العزيز بن عبد الرحمن، واليوم يصبح الملك فهد بن عبد العزيز يشرف نفسه بأنه خادم الحرمين فلم يدع كما ادعى سلاطين قبله بل قبل آل سعود أنهم حماة الحرمين إن هذا الوضع ألا وهو الأمن حماية للحرمين ينبغي كما هو شأن المسلمين أن يكونوا ظهيراً لهذه المملكة لينالوا من طغمة ضالة لم تتعظ لما سبق من التاريخ عن التتار والصليبيين والكلدانبيين والاستعمار،

فبعنصرية الشعوبية يريدون زعزعة الأمن للحرم الأمن حتى إذا عجزوا أصبحوا يتخبطون يقتلون الأبرياء من شباب السعودية حقداً فليعرفوا أنه لم يعد هناك قمبيز وسابور ولم يعد هناك أبو رغال فالسؤال هو ليس عن الشرذمة وإنما عن من هم منه ومن هم به وما يوم حليلة بسر .

ومن كان في حماية فهو في أمنه . . الله سبحانه وتعالى ناصر من ينصره هازم لمن يتعدى في حدود الله .

ويرحم الله صلاح الدين هازم الصليبيين ، ويرحم الله الملك المظفر قطز هازم التتار .

وأما الهزيمة من الله لأصحاب الفيل والقرامطة فالذين يستقبلون القبلة ويقرأون القرآن علمهم الله كيف أهلك أصحاب الفيل وأما القرامطة فقد أدبهم الله . . ويعود الحجر الأسود إلى مكانه .

حرية أوروبا استقطاب آسيا وإفريقيا

(٢)

ونعود مرة أخرى إلى توضيح الرأي عن هذا العنوان حرية أوروبا استقطاب آسيا وإفريقيا أو هو صورة أخرى استفاقة الشعوب الصناعية المصدرة من الأمن الخائف لتجد الفرص أكثر تصنع وتصنع وتصدر وكما قلنا لم يعد الاستعمار لصنع الإمبراطوريات، فالاستعمار أخيراً هزم الإمبراطورية سواء من كان حائزاً لها ومسيطرأ بها كإنجلترا وفرنسا ومن إليهم من الذين أباحت الإمبراطوريتان لهم أن يستعمروا، أو هم الذين أرادوا أن يتسعوا في إمبراطورية تصنعها النازية أو يثبت بها ما صنعه الفاشية، لقد زال الاستعمار فإذا هو كحرية أوروبا الآن أعني زواله وسيلة لاستقطاب نفوذ الصداقة وبيع الواردات وشراء الصادرات وليست هذه المقدمة وفيها شيء من التكرار إلا لوضع التثبت والإثبات لهذه النظرية، فإمبراطورية الكرملن قد اتسع لها ما تريد ليس كما ذكرنا في شمال آسيا ولا في خطف الصين من الولايات المتحدة، وإنما هو عطاء اليهود للاتحاد السوفيتي يمشي الهوينا في خطف الصداقة العربية فطغيان اليهود في فلسطين دعوة غير مباشرة إلى تمكين الاتحاد السوفياتي يرضى عنه العرب كقوة يرتاحون إليها كضرب من المقاومة لنفوذ الولايات المتحدة، فاليهود في

فلسطين يقتلون الفلسطينيين بأسلوب دكتاتوري كأنه النازية أو الفاشية الجديدين فالكرملين يتعاطف مع العرب بإعلان الكلمات ينكرون على اليهود هذا الطغيان وهم في الوقت نفسه يوطدون نفوذهم بينما إمبراطورية البيت الأبيض التي فرحت بديمقراطية المجر والوضع الجديد في بولندا ما زالت عوناً لطغيان اليهود تحارب الطغيان في نيكارغوا وفي كوبا وحتى في الصين وتسالم وتعين الطغيان اليهودي على العرب وتلك فرصة اغتنامها الاتحاد السوفياتي، أما الصورة الأخرى فرضا العرب عن السوق المشتركة التي تنكر على اليهود ما يصنعون فقط أصبح غرب أوروبا يسير نحو صداقة العرب من مشاعر العرب ولا أحسبه من مشاعر الغرب الوجدانية وإنما هو حظه من بسط النفوذ لرواج الصادرات، والحظوة الكبرى اختطفها الرئيس فرانسوا ميتران حين أنكر بشدة طغيان اليهود بقتل فتیان الحجارة، إن فرنسا بهذا الموقف لا يمكن لمثلي ألا يعتقد بأنه من المشاعر الوجدانية، فالرئيس ميتران حين صرح بذلك كان صادقاً ومصادقاً لا مستغلاً وإن كان بعد هذا سيصبح ذلك صادقاً ومصادقاً لا مستغلاً وإن كان بعد هذا سيصبح كل ذلك توطيداً لنفوذ فرنسا وترويجاً لصناعتها، إن اليهود بدكتاتورية الكونغرس يعطلون سياسة الولايات المتحدة لينطلق نفوذ الكرملين لحظة بعد أخرى، فالكونغرس حارس الديمقراطية في الشعب الأمريكي هو فاض الدكتاتورية لصالح اليهود بل ولصالح الاتحاد السوفياتي، والاتحاد السوفياتي مرة أخرى لكي يجلب الأصدقاء لم يفرض بقاء الخبراء في مصر بعد حرب العبور بل رضي أن تخرجهم مصر ولم يعلن موقفه من السد العالي ولا من عطاء الخبرة وليس ذلك قبولاً بالهزيمة وإنما هو طعم للآخرين من العرب يقولون لأنفسهم، إن الكرملن يسمح بالخبراء نستفيد منهم ويتسامح حين نخرجهم وتلك سياسة حصينة يكسب منها الاتحاد السوفياتي الصديق تلو الصديق

فكثر من الذين لم يكن لديهم سفراء قد أسفر صنع الاتحاد السوفياتي على هؤلاء أن يكون للاتحاد السوفياتي سفراء لديه ويكون لهم سفراء ولدى الاتحاد السوفياتي وهذا أول الكسب وسيأتي وراءه كسب كبير لإمبراطورية الكرملن، حتى إن هذه الإمبراطورية قد اتسمت في وجه أصدقائها تبيح لهم ألا يقاطعوا الذين كانوا يقاطعون كل هذا إذا ما رأيناه من حنكة السياسة الروسية فإنه قبل كل شيء وبكل شيء منحة اليهود للاتحاد السوفياتي وامتناع الولايات المتحدة من أن تفعل شيئاً يحول من دون عطاء اليهود، لكن الشعب الأمريكي بدأ يرفع صوته ضد موقف اليهود فقد اعترف الشعب الأمريكي وحتى الإدارة الأمريكية بأن هناك حقاً للعرب ومنظمة فلسطينية فصوت الشعب الأمريكي إن لم يكن اليوم فهو في غد سيجعل الكونغرس غير ما هو عليه الآن، فأوروبا الغربية وفرنسا بالذات حبل انقطع عن عون اليهود والشعب الأمريكي سيقطع هذا الحبل حين تكون المفاجأة بسلطان الاتحاد السوفياتي لا على شمال آسيا بل على شرقها.

بماذا انتصرت الشعوبية ولماذا صبرت؟

وفرق كبير بين الذي لا يعرف عن قومية العرب وشعوبية الفرس فلا يظن أن عرض التاريخ هو لب السياسة، وبين الذي يعرف قومه وأرضه فلا يرى إلا في عرض التاريخ هو عرض للسياسة.. فالتاريخ عن الماضي هو فقه لتاريخ الواقع، لهذا أكتب تحت هذا العنوان بماذا انتصرت الشعوبية ولماذا صبرت على مواقف قاهرة بسيف وقوة الذين صنعت لهم الشعوبية ملكهم العريض..

إن الشعوبية الفارسية ما كانت لتنتصر إلا بشدة القومية العربية في عهد أمية.. فالذين تعربوا من الفرس ما أجلهم ما أكثرهم وقبل عهد أمية وفي صدر عهد أمية كانت عرب اللسان عروبة البيان والوجدان تناول العلم المعلق بالثريا فما كانوا شعوبيين أعني أنهم لم يتكلفوا التعصب والعصبية، أسماؤهم معروفة مسجلة في ديوان اللغة وتدوين السنة وديوان العرب ديوان الشعر غير أن قومية أمية لم تنفرد في الشام ولم تنفرد بالعرب في غير الشام وإنما هي تغطرت على كل شرق الخليج فحين كانوا وحدة فتحوا الشرق كله، وحين استحالت قومية الفاتحين إلى عصبية ضعفت القوة حين ذهب الحجاج وقتل قتيبة بن مسلم حتى صرخ نصر سيار من هذا الوضع فأنشد يقول:

أرى بين الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرامُ
فإن النار بالعودين تُذكى وإن الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقظ أمية أم نيامُ

فما استيقظ هشام بن عبد الملك لأن النعمة أبصرها وما تبصر بها فأخذ قادة الشعوبية الفارسية من هذه الخطرسة ومن هذه الفرقة ومن كل الضعف أن يلتفت إلى وقع العصبية التي عاشت بين العرب وهاشمية، فالعشمية هي السلطان والهاشمية متفرقة فأخذ أبو سلمة الخلال هذا اللقب (وزير آل محمد) يزرع الشعوبية عصبية فارسية قبل أن تكون تعصباً مذهباً، فإذا هم يطلبون السلطان كما هي دعوتهم (الرضي من آل محمد) فتجمعوا تحت زعامة القيادة لأبي مسلم الخرساني، وأرسلوا علوياً للبيعة فأبى (جعفر بن محمد) فمالوا إلى العباسية فإذا هم يتصلون وهشام غافل بإبراهيم بن محمد علي بن العباس الذي خشيته أمية فعجزته وكأنه السبعين بحران على مشارف الشام اتصلوا به فاستجاب ومعه أخواه السفاح والمنصور وعمه عبد الله بن علي فأشعل عبد الله ابن علي الحرب على أمية في الشام أيام مروان بن محمد وأمه أبو مسلم بحجز المدد عن الشام من العرب الذين كانوا عصبية اليشيمين فانهار ملك بني أمية وأقام ملك بني العباس غير أن إبراهيم مات فرضي أبو مسلم بالسفاح ثم رضي بالمنصور فإذا هو أعني أبا مسلم يحارب عبد الله بن علي في الشام، خاف أن يكون العربي ولا أدري هل هو خوف المنصور من عمه أم هي طاعة المنصور لأبي مسلم فإذا ملك العباسيين في يدي المنصور قوياً بأبي مسلم قوياً بالشعوبية ولكنه أبو جعفر لم يبق تحته نفوذ أبي مسلم فقتله في قصة مشهورة فإذا الشعوبية تصبر على قتل أبي مسلم لأن ما تريده هو أن تفرض سلطانه ولوضحت بأبي مسلم، ولكنها

الشعبوية أبرزت البرمكي يحيى بن خالد يكون بعد المهدي والهادي هو السند للرشيد هارون، فإذا الشعبوية تفرح بالبرامكة فرضوا سلطانهم على الرشيد، ولكن هارون مازال عباسياً هاشمياً عربياً فنكب البرامكة ولم تكن العلة جعفر وما يتهم به ولكنه نفوذ الشعبوية أراد الرشيد أن يطيح به وصبرت الشعبوية على نكبة البرامكة كما صبرت على قتل أبي مسلم، فالمطلب هو سلطانها لا الواحد أو الآحاد الذين كانوا منها لها، ومات الرشيد فإذا الشعبوية تقتنص المأمون ربيب البرامكة تنصره على أخيه وتفرض عليه ولي العهد المفروض عليه من الشعبوية التي استحالت عصبيتها إلى تعصب، ولكن الشعبوية صبرت لعلها تجد فرصة، ولكن عصر المأمون الزاهر لم يعطها الفرصة حتى إذا جاء المعتصم أجهز على شعبوية الفرس بشعبوية الترك وأخواله، وهكذا لم يعد للعرب سلطان، وإنما السلطان كان للشعبوية فارسية أو تركية، ثم دالت الأمور فإذا العباسي يخطب باسمه وليس له شأن في حكم الأقاليم فإذا هم ملوك الطوائف الذين لم يستطيعوا مقاومة التتار ولا الصليبيين.

التفاؤل والتجربة الرائدة . .

وتعودت أن أكتب عن ميزانية السنة وفي أي سنة . . فلا بد لي وقد انشرح صدري بالتفاؤل أن أكتب كما تعودت . غير أن ما أكتبه اليوم أشرح به هذه الصور:

تعودت الجميل .

ماذا عرفت عن الميزانيات .

وكل حاجر يفيض ويمتلي .

فالكلمة الأولى قالها شاكراً نعمة الله عليه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن . فقد سمعتها منه وقد خرج من أزمة منتصراً وليست هي الخبر يخبرنا بها . وإنما هي دعاء الشكر يشكر الله الذي أنعم عليه يخرج منتصراً حين ينتزع النصر من مخالف الهزيمة وما كان لديه مال تنتظم به ميزانية، وإنما كانت لديه الآمال التي تحققت مذ كان صادق العهد عظيم الموهبة موفقاً . فالتوفيق هو النعمة الكبرى .

وفي عهد الملك المؤسس الموحد لهذه الأرض حرماً وسياجاً وإنساناً عرفت مسيرة الميزانية من سنة إلى ما بعدها، فلو لم أعرف هذه الأيام أيام كل موازنة . . لما دعنتي ميزانية هذا العام أن أكتب عن ذلك فأول ميزانية عرفت في عهد البطل يرحمه الله لم تكن أكثر من اثني عشر مليوناً من

الريالات العربية السعودية، لكن المسيرة يحفها التوفيق ألبستنا الصبر والشكر، فإذا المملكة العربية السعودية وقد توطد الأمن فيها فهزمت الفتن، فإذا نحن على طريق التقدم.

وما أمتع هذا التقدم حين يشتد عزمه بالقليل، ثم توالى الزيادة في الميزانية عاماً بعد عام ستة وثلاثون مليوناً. واثان وستون مليوناً وأربعمائة وخمسون مليوناً. وأكثر من ثمانمائة مليون. . حتى إذا أدركه الأجل وقد توفاه الله وصلت الميزانية إلى أكثر من البليون والنصف، فإذا عبد العزيز هو هو. . قليله كثير وكثيره قليل لم تمنعه القلة أن تفتح مدرسة وأن يتكوّن معهد وأن تهدم الأسوار.

وصحيح لم يعبد طريق وإنما كانت السيارات التي لم يرفض وصولها قربت البعيد وكانت سلاح القمع لكل فتنة.

ولكي يعرف هذا الجيل من هو عبد العزيز الذي امتلأ فؤاده لصيانة الشعب ليس بالأمن الذي تم وإنما هو السؤال الذي انشغل به. . ألا وهو: كيف يستطيع أن يعيش وقد أعلنت الحرب العالمية الثانية؟ ولم يكن السؤال كلمة يكتبها أو يذيعها وإنما كان دموعاً وصلاة ودعاء يسأل الله أن لا يهلك هذا الشعب بالجوع. وكان الجواب على هذا السؤال وبهذا الخضوع لله أن امتدت يد العون لا مئاً ولا رحمة من الذين أعانوا وإنما هو الصون لهذا الحياض أمسك بتلابيبه عبد العزيز بن عبد الرحمن فطريق الهند أمن على الخليج، ومن البحر الأحمر حياض احترامه الحلفاء وما احترامه المحور كل المتحاربين شكروا هذا الحياض. . من احترام ومن لم يخترم (بالخاء) فعشنا كل سنوات الحرب لا نشترى القمح الكندي. . لأننا نفضل عليه الحنطة الهميس نبات أرضنا في السراة فإذا هو الإغاثة من الله، لم يرتفع سعر لأي

مادة نعيش بها. أفليس للملك عبد العزيز الحق الذي هو به أن يكون شاكراً بهذه الكلمة (لقد عودني الله الجميل).

وامتد التوفيق وامتدت الزيادة فإذا الكلمة هذه (وكل حاجز يفيض ويمتلي) تصبح صادقة ومصادقة فإذا الحاجز من التراب يتفجر يغيث حين نبع النفط حين زادت ثروة النفط، وإذا الحاجز من الصخر يلين تعتليه الطرق المعبدة، فإذا هذا الكيان الكبير وكأنه رقعة واحدة سواد الإسفلت بياض المسيرة.

ويأتي حاجز الجهل يتبعثر لينتشر العلم جامعات ومدارس فإذا نحن على الفوق كأنما هذا الفوق هو الذي يدعونا جميعاً وبلسان ابن عبد العزيز في هذه السنة وهو الملك فهد أن يكون أول الشاكرين لنكون بذلك من الشاكرين.

وصورة هي الخاتمة عن معنى الشكر في هذا الدعاء ندعو به كلنا جميعاً «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ» ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧).

ولئن كان الشكر دعاءك فإنه عمل. فالحمد لله دعاؤك. أما الشكر لله فدعاء ودعوة. لأنه عمل فهذا قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَ﴾ (سبأ: ١٣) وما هو عمل الشكر. هو في هذا الإسلام في هذا الإيمان في اتباع الأوامر واجتناب النواهي في كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. ومن الشكر أيضاً أن نجعل من هذا التفاؤل طريقاً تعلمنا منه كيف تفوقنا بالعمل وكيف نعرف من التجارب ما يجعلنا نسير إلى صواب. فالتجربة معرفة ننتفع بها نبتعد عن المشاكل والبطر. ونقترب من كل ما يفيد.

فهذه الميزانية لا أعرف كيف انشرح لها صدري متفائلاً بأن نكون على

طريق سوي إيراداً وصرفاً وتطبيقاً بما يعود بالنفع على إنسان هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية.

والتحية بخالص الولاء وصادق الوفاء لخدام الحرمين الشريفين الملك فهد فقد كان في كلمته واعظاً ومتعظاً وشاكراً ومذكراً ولعلّي لا أنسى حاجزين كانا على قمة التنمية.. البحر الملح الأجاج أصبح العذب الفرات يصل إلى ذرى السروات، والحاجز الثاني: الظلام ينحسر فإذا الكهرباء يصل كما كتبت إلى وادي العيص. فما من حاجز إلا انبعث منه الفيض والخير. والله ولي التوفيق..

اليهودُ عصابةٌ والعربُ أمةٌ

وتحت هذا العنوان أراجع عن التقاعد لأقتعد القرطاس في يوم الأحد وفي جريدة المدينة كما تعودت فالمثل يقول (الزمار يموت وأصابه تلعب) أكتب عن اليهود العصابة التي احتلت فلسطين بالتآمر من أعداء العرب والإسلام ومن الذين جاءوا بعد حين، فرض عليهم الكهنوت اليهودي أن يكونوا العون له رغم ما ابتلوا به من التجسس والتلصص لا أول لها وآخرها فرار اليهودي من بنما قبل ساعات من الغزو لها، أخبروه بما هو سر ليفر وهو الشريك في تجارة المخدرات كأنما البنتاغون صفحاته مفتوحة لا تخفى على اليهود. فاليهود عصابة لا يختلفون على ما يحدده الكهنوت وما ألزمهم به التلمود وما التزموا به من البروتوكولات. فإعلان أن في تل أبيب حزبين يختلفان أو أن فيهما دعاة سلام أو أن شامير أقصى عزرا وايزمان، كل هذه الأخبار لا تصدق إنها تعني الاختلاف بل إنها طبيعة عصابة تستهلك الضغط العالمي عليها من الذين لا يدافعون عن العرب وإنما يخافون على مصالحهم التي هي استراتيجية الأرض وثروتها وجهد إنسانها فما أسرع ما ظهر من أن عزرا وايزمان ضحية الاختلاف كما قالوا، فإذا هو داعية الإعلان لعودة موسكو إلى العلاقة القنصلية، تعود في صورة معلنة بينما هي لم تنقطع في واقع الأمر وإنما إعلان القطيعة الدبلوماسية كان طعماً ابتلعه العرب فإذا هم الصيد في قبضة اليهود ليكون بعد على مائة

الكرملين، ولئن قلت إن اليهود يوم كانوا في أرض النخل (المدينة المنورة وخيبر وفدق ووادي القرى) قد اختلفوا حتى انتصر عليهم الإسلام فأخرجهم من الأرض المسلمة العربية فإننا لنقول كان اختلافهم على المطامع، تركوا بني قينقاع وبني النضير وحتى بني قريظة تهلك من سلطان الخوف على مطامعهم التي ينالوها من الربا، فزارع النخل يستدين منهم بالربا بالخوف على المال يفرق العصابة، أما اليوم فلم يعد عليهم سلطان مخيف لأن العرب أمة فما كان قبيل منهم عصابة العرب أمة تأقلمت حتى أن كل إقليم أصبح وكأنه الحارس لإسرائيل في فلسطين، واليهود هم العصابة التي لم تتأقلم بأي إقليم حلت فاستحلت موارده تعيش فيه وبه ولا تعايش أهله حتى أن الأقليم الذي هم يستغلونه يتجسسون عليه مدداً لأعدائه وامتداداً لطغيانهم، بل حين يغزى هذا الإقليم تصبح هذه العصابة طابوراً خامساً واليهود العصابة في فلسطين أرفض إنهم صهيونيون تجعلهم أمة وهم ليسوا ذلك كما أرفض تسمية اليهود في فلسطين بأنهم بنو إسرائيل لأن الحاكمين لم يكونوا من نسل يعقوب عليه السلام، وإنما هم خزر أشكناز من شرق أوروبا بولنديون، سلافيون، تهودوا فأصبحت هذه العصابة الحاكم في تل أبيب، أما الذين طردهم العرب من أقاليمهم باعتبارهم يهوداً هم الذين يعيشون في فلسطين مسخرين يكثر بهم السواد ولا ينالون أي سؤدد، هكذا العصابة ومن فعلها أنهم يعلنون الديمقراطية بإعلان الأحزاب مع أنهم كاذبون فليس اليهودي ديمقراطياً، إنه كفرد أرستقراطي، يعيش وحده في كل ما يملك، ولكنه لن يتخلى عن الانتساب عن العصابة، واليهودي ليس وثنيًا يعبد إلهًا من خشب أو صنماً من حجر ولكنه الوثني في سلوكه وأخلاقه لأنه الوثن لنفسه فإنكار النار والجنة والثواب والعقاب أشد كفرةً من وثنية الجاهلية، لأنها وثنية العالمين، فإنكارهم هذا أباح لهم كل معصية حتى قتل

الأطفال لأنهم يعتقدون أنهم لا يحاسبون، فكل المعاصي محمولة على من يعتقدون أنه المخلص. والإنسان إذا ما خلى من عذاب الضمير فإنه يفعل بطغيانه ما يفعله اليهود اليوم، وسيأتي يوم عن قريب يعرف فيه المخدرون من دموع هذه العصابة ما سينزل بهم حين يصبحون السند في إسقاط الهيبة وضياع المصالح.

اللغة الشاعرة لا يتأقلم شاعرها

وليس من فضول القول أن أضع هذا العنوان وإنما هي فضيلة الحب وضعتني في أحضان اللغة الشاعرة، التي هي الفصحى حتى إذا رضعت لبانها وأشبعنتني بيانها واتضح لي تبيانها، وجدتها قومية واحدة، قومية متحدة، فلئن تأقلمت شعوبها فإنها بقيت الواحدة لا تنشعب ولا تتشعب كاتبوها على النسق الواحد إن نثروا وشاعرها كذلك، إنها اللغة التي نزل بها الذكر؛ فالذكر حافظها، وحملني على ذلك من يدعي أن شاعر إقليمه أكبر من شاعر إقليم آخر، فلتكن المقارنة بين قصيدة وقصيدة، بين بيت وآخر، إن كان ذلك نجدياً أو حجازياً أو شامياً، وإن كان أندلسياً أو عراقياً، أعني انتساب الشاعر إلى الإقليم؛ لا إلى اللغة الشاعرة، ولقد قلت من قبل لقد نبع الشعر أول الأمر نجدياً فإذا عكاظ السوق المجمع المجمع، لا يتأقلم النابغة فاخراً بزهير، غير مفاخر بالأعشى، فعكاظ على الحزم من الحجاز احتزم وحين سطع نور الإسلام تنابح الشعر مجازياً تهامياً بحسان وعمر بن أبي ربيعة والعرجي وعروة بن هذيلة ومن كان لهم وبهم وبعد تعالي الشعر عراقياً بشار ومن إليه ثم علا أندلسياً بابن زيدون ومن معه، ثم تعبقر شامياً بالمتنبي وأبي تمام وأبي العلاء والبحثري، ثم وأكثر من ثم تأمر مصرياً بشوقي وحافظ، ومن جاء بعده، وفي الوقت نفسه جاءت الشام بشعر لبنان، الأخطل الصغير والملاط وفؤاد الخطيب ومن إليهم هذه الأقاليم كل

واحد حظه من عظمة الشاعر يتسع لهم ديوان العرب، فلئن كان قد نبغ في إقليم فمزال كل هؤلاء الشاعر الواحد شاعر الفصحى فلا يقال إن أمرىء القيس شعره نجدي، بل ديوان العرب قال إنه الشعر العربي وهذا القول هو الحكم على شاعر في أي إقليم آخر، فالنسب الصحيح والانتساب الواضح أن كل هؤلاء شعراء اللغة العربية الفصحى لم يتأقلم شعرهم بالإقليم وإنما هي اللغة الشاعرة كلهم بها كلهم منها كلهم لها فالمفاضلة ليست بالتأقلم وإنما بالمقارنة .

ولأضرب مثلاً بين ما قاله أبو محسد أحمد بن الحسين المتنبي في بيت واحد وبين ما قاله إسماعيل صبري في بيتين لأقول إنه شعر الكوفي الحلبي المتنبي أو شعر المصري صبري وإنما القول هو في المقارنة بين القولين فإسماعيل باشا صبري يقول:

إذا خانني خل قديمٌ وعقني وفوقت يوماً في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه فكسرت سهمي وانثنت فلم أزم

حشد من الألفاظ بينما المتنبي قال:

رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وسيفي وأسهمي

فالمتنبي هنا فوق وإسماعيل صبري أقل وما كان تحت كلاهما شاعر هذه اللغة الفصحى فلن نقول الشامي أو العراقي أو المصري أعني الشعر لا الشاعر إن ديوان العرب ديوان شعر وحدة كاملة ومن هو الذي سمى ديوان شعر إنه الحبر عبد الله ابن العباس رضي الله عنه، وقد تنكر بعضهم لأحمد شوقي قبل أن يلقب بأمير الشعراء بنفي أنه شاعر يفضل عليه شاعر المهجر اللبناني وفي صباح وكان شاعرنا الذي شبع قاموسه من اللغة الفصحى حمزة

شحاته وكان ينام معي وفي بيتي، في الصيف أهلنا في الطائف وشغلنا في مكة وقد جرى الحوار بدأه حمزة شحاته فهو لا يستطيع أن يعيش بلا حوار ولا يستطيع أن يبرز بلا خصومة قال حمزة:

لقد عجزت مدرسة الديوان أن تنال من شوقي فكيف لا يكون شوقي شاعراً، وأنا أتحدى من استطاع أن يقول هذين البيتين يصف بهما شوقي الكشف على أثر من آثار الحضارة الفرعونية فشوقي يصف المكتشف هكذا: أفضى إلى ختم الزمان ففضه ومشى إلى التاريخ في محرابه وطوى القرون القهقري حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

قلت له هي اللغة الشاعرة، هي مصر صهرته فإذا الفتى التركي الذي لا يتكلم في بيته إلا بالتركية واليونانية يخرج إلى شارع العروبة، فإذا هو يعطي مصر عطاء المرعي للشام، وعطاء أبي نواس للعراق وعطاء كل شاعر إلى وطنه لا ليكون إقليمياً وحده ولكن ليكون ثبت ديوان العرب شاعراً من شعراء اللغة الشاعرة.

ويرحم الله الأستاذ العقاد فهو الذي سمى اللغة الفصحى اللغة الشاعرة. ويرحم الله. الدكتور طه حسين هو الذي يقول لا خوف على اللغة الفصحى مادام هذا القرآن سرمدياً إلى يوم يبعثون.

ويرحم الله شوقي حيث قال:

إذا تعارض ما قننه علماء اللغة مع ما جاء في القرآن فلا قانون لهذه اللغة إلا وهو ما جاء في القرآن..

وما دام الشيء بالشيء يذكر فإني أروي حادثة فقد أسس في القاهرة المجمع للغة تسميته الأولى مجمع فؤاد واختار القصر أعضاء هذا المجمع

من الأزهريين والدرعميين الخضر حسين علي الجارم، جاد المولى بك، ومن إليهم ولم يختار إسعاف النشاشيبي ولا طه حسين ولا العقاد ولا أمثالهم واختار مع من اختار بعض المستشرقين ومنهم عالم اللغة الفصحى الألماني الدكتور فيشر، وفي جلسة من مجالس المجمع أعد الأزهريون والدرعميون جدولاً بمصادر اللغة حتى إذا تليت سألهم الدكتور فيشر ألم يبق مرجع من مراجع اللغة استكثروا عليه هذا السؤال، يقولون لم يبق مرجع فقال الألماني المسيحي المستشرق بل هو المستعرب كلمة كالصاعقة قال «وأين القرآن» فأسقط في أيديهم فالقرآن هو المصدر هو المرجع.

حدثني بهذا الدكتور محمد حسين هيكل ثم تحول المجمع إلى مجمع اللغة العربية.

الازدواجية

شلمون ضلال ومعه الدم الأزرق والصليب الأصفر

وهذا العنوان أكتب عنه لأنه يكتبني . . حين اتضح واقع الازدواجية في الغرب المسيحي . فهم مع أرض العرب فيما يعلنون عن تعاطفهم مع العرب، وكأنهم خرجوا على عبوديتهم لليهود، لأن الأرض الطريق والاستغلال والجنح الأيمن لحلف الأطلسي . . وفي الوقت نفسه غفلنا بما تظاهروا به من هذه العواطف على أنهم مازالوا عنصريين وصلبيين . . دم أزرق ما أخفته النازية، ولم يخفه البيض في جنوب إفريقيا .

ولكن الغرب المسيحي خدعنا حين هزم النازية بأنه لم يعد عنصرياً . . ترك الدم الأزرق لفلسفة نيتشه ومن إليه، كما غفلنا أن الحروب الصليبية قد انتهت يوم قال الفيلد مارشال (النبى) وقد احتل ما اتسع له من الشام: (اليوم انتهت الحرب الصليبية)، ويوم قال الجنرال غورو يوم احتل سورية يقف على قبر صلاح الدين هازم الصليبيين: (اليوم عدنا يا صلاح الدين).

فالمارشال «النبى» يتضح اليوم أنه لم يعن نهاية الحرب الصليبية وإنما يعنى انتصارها السرمدي، فالنبى إنكليزي، وغورو فرنسي، وكلاهما ملة واحدة .

إن هذه المقدمة اتضحت الازدواجية فيها وبها . . فمن أوضحها؟! .

إنه شلمون ضلال . . لعلّه خدع نفسه بأنه آري أزرق، أو لعلّه قد نشأ

طفلاً مشرداً وقع تحت رعاية الكهنوت اليهودي، أو لعلّه أرستقراطي ركبه البطر، فلما لم يجد ما يريد في بريطانيا من مكانه ركب الضلال فإذا كل الغرب أصبح عرشه المبجل . . لأنه نبش العنصرية وأظهر الصليبية . . فكتابه الفاسق قلت عنه أول مرة: ليت الذين أثاروا الحملة عليه من المسلمين تركوه يموت وكنت على خطأ في هذا الرأي . . لأن الثورة عليه كانت نصراً للإسلام وفيها بعض ما نتمنى من الجمع للمسلمين . كما أن بها اتضحت ازدواجية الغرب: عنصرية الدم الأزرق وصليبية الصليب الأصفر . . فإذا الغرب كله ينتصر لهذا الكتاب وصاحبه: شلمون ضلال .

ولنأت بسؤال وإجابة: أفليس القضاء في المملكة المتحدة يحكم بما فرضه القانون على ما من ينال من السيد المسيح . . الرسول النبي عليه السلام، وبما اتهم به اليهود أمه مريم العذراء الطاهرة عليها السلام؟

لو أن أحداً شتم المسيح ومريم لثار أسقف وتسمنستر ولثار البرلمان والصحافة على شاتم المسيح . . ذلك حقهم لا تنتكر له . . فكيف هم الآن يناصرون من شتم الرسول النبي محمد ﷺ الذي لا يُكْمَل الإيمان به إلا إذا آمن المسلم ببعيسى بن مريم رسولاً نبياً لم يلد له أب، ولدته أمه الطاهرة . . مثله كمثل آدم . . فالله يخلق ما يشاء كيف يشاء .

وفي الولايات المتحدة تحركت أصابع اليهود فحركوا كتاب أميركا يتظاهرون ضد الإسلام والمسلمين . . يصرون على نشر الكتاب وطبعه عناداً منهم لأن في هذه الوريقات ما تشعب به العنصرية والصليبية .

وفي فرنسا تقوم المظاهرة لهذه الوريقات الفاسقة، بينما هم في الوقت نفسه جلبوا ألبوم الأغاني من أناشيد الانتفاضة يسمعون أغاني أطفال الحجارة . فأى ازدواجية أكثر من هذا . .

فجميعهم كما قلنا مع العرب من أجل الأرض لا من أجل الإسلام

و حرباً على الإسلام والمسلمين بما ورثوا من حروب الصليب .

وظاهرة أخرى عن الازدواجية: العون كل العون من الطعام للجوع في الحبشة وفي السودان وفي كل إفريقيا بينما هم في الوقت نفسه المدد لليهود في فلسطين . . الذين حاصروا نابلس ليهلك الفلسطيني بالجوع . . فالإفريقي الجائع إنسان نعم لا ينكرها العربي ولا ينكرها المسلم، ولكن الفلسطيني العربي المسلم بعقدة الدم الأزرق وعقدة الصليب ليس إنساناً لأن الأصوات التي ارتفعت تناصر شلمون ضلال لم يرتفع منها صوت يقول لليهود: لا تقتلوا العرب بالجوع. لا تقتلوا الأطفال. لا تجهضوا الأمهات.

ولا أنسى شكرنا للولايات المتحدة من أجل الأفغان. ومن حقنا أن نسأل الولايات المتحدة عن هذه الازدواجية التي فرقت بين الأفغاني الذي انتصر وبين الفلسطيني الذي لم ينل انتصاره لأن الولايات المتحدة بازدواجية السلوك هي التي أطالت هزائمه.

الفلسطيني يدافع عن أرضه . . عن خيمته: إرهابي، واليهودي الذي احتل الأرض وسلب العرض وقتل الأطفال وأجاع شعباً بكل وسائل الطغيان ليس إرهابياً . .

غريب ولكن لا غرابة إذا ما أصبح الإنسان ازدواجي السلوك. وصدق الله العظيم ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ (التوبة: ٣٧).

حرام على العرب.

حلال على اليهود.

كما هو الخبر الصادق عن خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الكافر» أو كما قال بالرجل الفاجر.

ولقد كفر شلمون ضلال وفجر الازدواجيون فانتصب عمود الإسلام لينتصر المسلمون.

عبد الله بن خميس : يمامي وتكريم تهامة

لا يكاد يحملني عضلي جاشت نفسي تدعوني أن لو كتبت كلمة مطولة لا أحسب أن نشرها إلا في جريدة «الجزيرة» لأنها وإن كانت الجريدة الصحيفة اليومية فقد كانت المجلة حين أسسها بن خميس وكأنما أصحاب الجريدة لبستهم التلبائية حين لبسوا الوفاء إلى مندوبهم .

كان عبد الله بن خميس الأستاذ المكرم في حفل الاثنينية الذي يقيمه أبو سعيد الأستاذ عبد المقصود خوجه وكنت كما سخرت نفسي أتكلم كحامل المعاني فإذا أنا تهامي أحتمل باليمامي فألقيت الكلمة حتى إذا عدت إلى البيت لا يكاد يحملني عضلي جاشت نفسي تدعوني أن لو كتبت كلمة مطولة لا أحسب أن أنشرها إلا في جريدة الجزيرة الصحيفة اليومية فقد كانت المجلة التي جللها حين أسسها ابن خميس وكأنما أصحاب الجريدة لبستهم التلبائية حين لبسوا الوفاء يتلفن إليّ مندوبهم في جدة عبد الرحمن إدريس يبلغني دعوة الجزيرة إلى أن امتد إليها فلا أجتزر عنها فأتفق الهوى بها أنا أكتب لا أقصر على ما قلت في كلمته القصيرة وإنما كان العرب عرباً .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً

كما نحن اليوم مثل لا أمثلة، أو كان في وحدة الإسلام يوم أصبح العرب في ظل كلمة التوحيد، وتوحيد كلمة الأمة قوميتها نسب لا يجفو

السبب ويعلو إلى فوق الفوق بهذا السبب الإسلام، وبذلك الحسب الفتح العظيم، كأنما العرب قالوا يوم ذاك للفرس كونوا منا، وللترك كونوا فينا، وللروم لن تكونوا، وللغرب كل الغرب نحن أنت وأنت نحن كل هذا لبسني تهامياً يكرم يمامياً، فإذا بي بين يمامة الأمس؛ كيف كانت لتهامة، وبين تهامة اليوم كيف تجمع الأمر، وإذا بي أتمثل قول صاحب المنتجي حين قال:

إن تهمني فتهامة وطني أو تنجدي يكن الهوى نجد

ولعلي أتصرف كما في البيت الثاني أترك كلمة الضدين فما كانت اليمامة وتهامة ضدين إلا في زمن عابث عابس، قتلتة وحدة هذا الكيان الكبير (المملكة العربية السعودية)، فالبيت أتصرف فيه هكذا:

ندان لما استجمعا حسنا والند يظهر حسنه الند

فاليمامة وتهامة في الجاهلية الجهلاء ند صافح ندأ فاح منه عبير الند.

إن اليمامة كانت في الجاهلية صاحبة المدد في رحلة الشتاء رحلة الإيلاف، اعتنق الطريق اليمن يمدان قريشاً وفي مكة المكرمة بالمدد (ميرة اليمامة) لا تسلك طريق مضر (فلأمر ما جدع قصير أنفه) وإنما طريقها إلى نجران فتخوم اليمن فابتسامة مكة، هكذا كانت اليمامة زرعها وضرعها في يدي ربيعة الفرس وضراعتها إلى البيت الحرام قولوا وحدة الوثن، وما علي من قوله وإنما هي وحدة العروبة التي كانت وحدتها سلاحاً حجز الفرس والروم أن يصلوا إلى نجد إلى الحجاز إلى تهامة هي حماية الله للبيت الحرام لكن الله سخر لها ابن ربيعة وابن مضر، وكلاهما عدناني أن يكون سلاحهما خلقاً قبل السيف حامياً للحرم وما أشبه الليلة بالبارحة كان ذلك

في الجاهلية حتى إن اليمامة وتهماة أعجزتا اليهود ألا يكون في نجد يهودي ولا في مكة يهودي، بقاؤهم على الوثنية يسّر دخولهم للإسلام فقبيل من العرب الذي تنصر تأخر إسلامه وتعسر إيمانه فخرس عظمة الفتح العظيم.

وهكذا أكتب الخلاصة عن علاقة المعانقة وفي الجاهلية بين اليمامة وتهماة. وأما ما أكتبه عنهما في الإسلام فالأمر واضح كأنما ليس ذلك بالجديد وإن كان الجديد في عظمة (توحيد الكلمة وكلمة التوحيد)، فحين سطع نور الإسلام كانت ميرة اليمامة على حالها، تصل إلى تهماة وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة وعرف العرب كل العرب تهمياً ويمامياً وحجازياً، إن المشركين في قريش قد جاروا حين تم الانتصار في بدر، وحين أصر المشركون من قريش وفي الحديبية على ألا يصل محمد وأصحابه لأداء العمرة وذلك يوم الحديبية فلهجرة وبدر والحديبية أخرجت المشركين من قريش فأخرجت العرب عن أي احترام لهم لأن الصد عن البيت وإخراج أهله منه لا ترضاهما قبائل العرب. فالبقية من ملة إبراهيم وحتى الوثنية إلى هبل كانتا السبب في انصراف اليمامة في الفكرة أولاً والعمل ثانياً كما كان ذلك للعرب ففي المدينة المنورة، وفي يوم من نهار بعث اليمامي الحنفي ابن ربيعة الفرس إلى المضري محمد بن عبد الله كما كثيراً من الحنطة من زرع اليمامة ألا وهو هوذة ابن علي ما آمن ما أسلم ولكنه انصرف عن مشركي مكة إلى مؤمني المدينة، فأرسل الحنطة فإذا بخاتم الرسل المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد يمسك الحنطة بين يديه يقبلها مباركاً لها فقال (هذه صدقات ابن عمي)، يعني هوذة بن علي فهما ابنا عم مذ كان الجد عدنان، واليمامة في صورة ثانية فقد أقبل يطوف حول المدينة فارس على فرسه اسمه (ثمامة بن أثال) من بني حنيفة من اليمامة، وبينما هو حول المدينة أمسكت به خيل النبي فاستأسى فإذا رسول الله

محمد يربطه في سارية كأنه سجين ويمر به يقول له - ما معناه - (كيف بك يا ثمامة أو ما تراني فاعلاً بك يا ثمامة) فيقول الفارس ثمامة (إن تقتل ذا دم وإن تعف عن شاكِر) يعني إن له قبلاً يأخذون بثأره. وتركه مربوطاً وفي اليوم الثاني قال له مثل ذلك فقال الفارس رضي الله عنه: إن تقتل تقتل ذا دم وإن تعف تعف عن شاكِر، وفي اليوم الثالث كان مثل ذلك فأطلقه نبي الرحمة فامتطى الفارس ثمامة فرسه يذهب حيث شاء فلم يغب طويلاً وعاد يعلن إسلامه حتى إذا قالوا له لماذا لم تسلم قبل قال خشيت أن يقال أنني أسلمت مُكرهاً، وتلك شمخة الفارس فاسلم طليقاً ولم يقتصر على إعلان إسلامه بل قال يا رسول الله سأذهب إلى قريش في مكة فأصرخ فيهم معلناً إسلامي، فذهب ولم يمنعه رسول الله، فلذلك حكمة، وأذن ثمامة في جمهور المشركين أن أسلم فأصبح من أصحاب محمد، فأراد الغوغاء أن ينالوا منه، ولكن مشيخة قريش المشركين منعوا الغوغاء يخافون إن قتلوه أن تمنع اليمامة ميرتها عنهم، ولكن ثمامة ما كاد إلى اليمامة حتى منع الميرة عن المشركين ولم يكن ذلك عقوق اليمامة لتهمته وإنما كان حصرها يجهد قريشاً لتكف عن الأذى ولتثوب إلى رشد فأجهدتها، ولكن نبي الرحمة طلب من ثمامة ألا يحجز الميرة عن تهامة عن المشركين في مكة ولكن الجهد أخذ من المشركين ما أخذ فكان عمل ثمامة إرهاباً للإسلام بل جهاد مسلم لا بسيف إنما بتسليط الحيف على المشركين.

واليمامة مرة ثالثة ارتد فريق منها وفيهم فارس اسمه (الرجال)، وكان قاتل زيد بن الخطاب أخِي عمر، مرتدًا قتل مسلماً حتى إذا تاب الرجال إلى رشد عاد إلى الإسلام؛ والإسلام الرحمة يَجِبُ ما قبله، فإذا هو في مجلس عمر بن الخطاب فما ثار عمر لأنه لا يستطيع، فالإسلام يمنعه

ولكنه قال للرجال: (أنا لا أحبك، قتلت أخي زيد) فقال الفارس الرجال: وهل ينقص ذلك من عطائي شيئاً من قيمتي شيئاً) فقال عمر (لا) فقال الرجال: إذن لا يبكي على الحب إلا النساء. هكذا كانت اليمامة وتهامة في ألفة أليفة نديد إلى نديد لا حليف إلى حليف أخ إلى أخيه لا متبرع ولا متورع، أما عبد الله بن خميس الذي كان السبب في أن أكتب هذا فقد عرفته فكيف؟ فهناك مثلاً عامياً قال صاحب لصحابه وهو يراه قد صحب آخر: هل تعرفه. قال: نعم عرفته. فقال السائل: هل سافرت معه قال: لا. قال: إذن لم تعرفه. فكاتب هذه السطور سافر مع عبد الله بن خميس إلى تونس في مؤتمر الأدباء فعرفته نعم الرفيق، واليوم جسد واقع العرب تصرف الأدباء في تونس كل أدباء العرب كانوا هناك ولكننا لم نتعارف ما أكلنا على مائدة واحدة، كل فريق فرح بنفسه أفليس ذلك تسجيلاً للفرقة؟ فإذا كان الأدباء يختلفون فكيف بالآخرين، وللقصة بعض ما كان من غصة لا أستطيع أن أكتبها ولكنها الآن لم تكن مثل ذلك كان الأوائل في ألفة والأواخر في خلفه غير أنا والله الحمد نعيش، أنا استطعت فيه أن أتكلم عن اليمامة في تهامة فقبل أن يتم توحيد هذا الكيان الكبير، ما كنت لأستطيع أن أكتب التاريخ فالحمد لله على أن ابن اليمامة خادم الحرمين الشريفين يعمر تهامة وبحرسها فالحمد لله مرة أخرى والشكر لله، وهكذا أبعث المقال إلى الجزيرة أنشره كما طالبتهني.

ازدواجية الكرادلة

وهذه الازدواجية وتحت عنوان الكرادلة أكتب عنها فلا أذكر البابا ولا أذكر بها القساوسة فقد أخذت الوسط بين رعاة الكنيسة.

فالازدواجية أريد الحوار بها مع أقطاب النصرانية سدنة الكنائس، فقد أعلنوا فرحتهم بما جرى في رومانيا وما كان الأهم لديهم إلا أن الرومانيين أفرج عنهم حين أبيع لهم أن يحتفلوا بعيدهم الميلادي فلقد حجبا عن ذلك سنين طويلة.

فأيما إنسان يحرم من الفرحة ولو في يوم واحد فإنه يعيش التعاسة في ذلك اليوم وما أشد التعاسة أن تطول أيامها في هذه السنين.

أعلن القساوسة والكرادلة ترحيبهم بما جرى في رومانيا.. ليس لأن الشعب تحرر من زعيم طغى عليه وإنما لأن الروماني تحرر من الحرمان.. لا يمارس طقوسه في الكنيسة، فلقد كانت رومانيا في نظر الكنيسة تعيش تحت ظل الإلحاد حتى إذا ذهب الزعيم فرحوا لا بذهابه، وإنما بانتصار المذهب الكنسي. ولا يقع عليهم اللوم في ذلك فلهم أن يفرحوا بعودة سلطان الكنيسة في رومانيا ولكن ما بالهم وقد فرحوا بالرومانيين يعودون إلى كنائسهم فلا يسألون عما ما جرى في فلسطين. فأیما كنيسة في رومانيا لن تبلغ مبلغ المذود في بيت لحم فوقه النخلة تساقط رطباً جنيئاً تأكل رطبها

مريم العذراء وقد ولدت المسيح عيسى بن مريم الرسول النبي عليه السلام.

لقد منع اليهود أن يصل مسيحي من عرب فلسطين إلى بيت لحم إلى كنيسة في الناصرة. مولد المسيح، منشأ المسيح، موطن الرسالة للمسيح، وحتى القس الكبير الإفريقي حائز جائزة نوبل آدمون توتو منعه اليهود أن يرتل طقوسه في مجمع النصارى العرب في بيت لحم، حجروه من المذود لا يرى النخلة التي نبتت في وجدانه ولا يرى وعلى قول الحسن البصري مريم العذراء وهي تحتضن السري الذي كان تحتها السيد العظيم عيسى بن مريم، وسواء كان السري نهيراً أو كان السري السيد العظيم «الجنّلمان» سواء كان ذلك أو ذلك فقد منع اليهود ضيف فلسطين موطن المسيح القس آدمون توتو، فلقد أراد هذا الإفريقي المسيحي أن يقابل من عينه اليهود رئيساً لبلدية البيت المسلم بيت المقدس أراد أن يقابله في الكنيسة فرفض اليهودي لأنه يريد أن تكون المقابلة خارج أي بيت اتخذه المسيحي كنيسة ولو كان هذا اليهودي متديناً بملة التوراة ملة موسى الرسول النبي عليه السلام لطلب أن يقابل القس في بيعة يهودية ولكنه لا يدين بالتوراة وإنما ديده التلمود وندنته البروتوكولات وطغيانه على عرب فلسطين المسلم منهم والنصراني.

لهذا أسأل قساوسة الكنيسة في الغرب كله غرب الأورال وشرق الأطلسي والذين وراء الأطلسي كيف سلخوا هذه الازدواجية، أحسبهم أنهم نسوا أن «لينا» زوج نيكولاي شاونيسكو كانت يهودية، أتهمهم أن خافوها في رومانيا وخافوا منها ومن لها ومن هم بها أعني اليهود في فلسطين، فإذا هم يفرحون برومانيا ويطبّقون الصمت عن طغيان اليهود حتى على بيت لحم.

ازدواجية لا نريد أن نترك التعليق عليها، فليس هو اللوم لهم بس، وإنما هو أن تنعقد الألفة بين المواطنين الفلسطينيين أكثر وأشد مما هي فعلًا مطارنة القدس وبطارقة بيت لحم يسألون كرادلة الغرب والقساوسة عن هذه الازدواجية. إن الإنسانية ترفض هذا ولكني كعربي أرحب به شرًا لعلّه يوطد الصداقة بين مطران القدس وشيخ المسلمين في القدس.

وهكذا أحسب أن هذه الازدواجية درس لا ننفعل به وإنما نفعل أن نكون لعرب فلسطين الذين يحاصرون بطغيان اليهود وعون الطغاة وخوف الآخرين.

الوسيلة مطية الغاية!

والوسيلة مطية الغاية فهي ليست وطأة الغواية فالإنسان ما صنع بيتاً من الطوب أو قصوراً شامخة أو مجدداً عظيماً إلا بالوسيلة التي هي مادة البناء أو معنى القيمة والقوام والقيم، والإنسان مرة أخرى ما انتكس له سعي إلا بالوسيلة، الغواية أمسك بها ليعبث، فإذا هي أمسكت به فعبثت به.

هذا كلام له خبيء يحتاج إلى إيضاح الحجاج فلو لم أملك حجة الاسترشاد كوسيلة لما ملكني الرشد كوسيلة أو هو الغاية، فالخبيء الذي أتكلم عنه الآن أعربت عنه في كلمة قصيرة وكليمة أشد قصراً، لا تقصيراً، وذلك حين قلت سأكتب عن تكريم رؤساء الأنديية التي أشعرتني بقوة الوحدة في هذه المملكة العربية السعودية كياننا الكبير، فالمنجدون اتهموا، والحجازيون اتهموا، كأنما الأنديية في مناطقها كليات متحدة في جامعة واحدة، لقد قلت زفوني وأنا أراكم الأخوة في حفل نادي جدة، وهي ليست إخوة المثقف للمثقف في لحظة عابرة وإنما هي وحدة العقيدة والتعاقد في الوطن الواحد نواة لأمة واحدة، فنحن في هذه الجزيرة شعب مسيرتنا إلى الأمة الواحدة. وقد قلت سأكتب الكلمة الواضحة الفاضحة لأن الارتجال في حفلة تكريم هؤلاء يضيق بفحول الرجال فقد أقول الكلمة المجنحة فإذا لا تطير ولا تستطير كأنما هي لبست جناحي نعامة وأريدها أن تطير بجناحي صقر وبقوة نسر.

فالكلمة الواضحة وهي في الوقت نفسه الفاضحة هي في هذه المقارنة أو هو الحوار بين المطية الغاية وبين المطية الغواية، فيوم كان الجمل المطية، ويوم كان الحصان المطية، ويوم كان السيف كذلك كان العربي يصل إلى الفوق لم تؤخره الوسائل الضعيفة لأن قوة الروحانية فيه كانت قوة الروحانية له، فالجمل وسيلة كالطائرة لكن المطية الجمل كست أم المطية الطائرة فأوكست، وكان الحصان المطية التي جلت وجاءت الدبابة بدلاً عن أقوام، ولكن أوجلت وكان الرمح أقوى من الصاروخ، وكان السيف هذه الحديدية أقوى من المدفع، فلم تكن القوة للوسيلة وحدها جماً وحصاناً وسيفاً ورمحاً وجراب تمر هي الفاعلة ولكنه الإنسان العربي الذي انفعّل بالعقيدة الواحدة والغاية الواحدة حتى إذا تفاعل بكل هذه القيم فعل بالوسائل الضعيفة مجد التاريخ وتاريخ المجد، كأنما العربي بإسلامه أمسك بالوسيلة التي ليست هناك وسيلة أقوى منه حتى إنه أعاد الصورة الكاملة لما وصل إليه ذو القرنين العربي القحطاني ألا وهو المصعب بن الحارث جيشه الحميري والطائي يصل بالوسيلة الضعيفة إلى مشرق الشمس وإلى مغرب الشمس، وكأنما الصورتان صورة واحدة فالحميري هو كالعدناني ومعه القحطاني، اتصلوا تواصلوا فوصلوا إلى مشرق الشمس وإلى مغرب الشمس، فإذا الوسائل الضعيفة أعطت لأمة الإسلام بأمة العرب ثلاث إمبراطوريات إمبراطورية الإسلام - إمبراطورية اللغة، إمبراطورية الأرض كأن أول الأمر الإمبراطور عربياً حين كانت الوسيلة الجمل وما إليه وأصبح اليوم غربياً تغرب بالفرقة فلم ينتفع بأقوى الوسائل طائرة دبابة صواريخ ومدفعية فمن هنا ليست الوسيلة التي تفعل، وإنما هو التوسل بها، ولو كانت ضعيفة هي التي فعلت فهل أجد مثقف اليوم يتمثل بمثل حفظه الكتاب العربي،

مثل لما قاله أکثم ابن صيفي فخر تميم قال «حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة، فبالأمس القريب وكالأمس البعيد وجدنا ما لم يكن في اليوم للقريب».

وجدنا محمود سامي البارودي إذا ما تفاخر لم يجد المثل إلا في قس بن ساعدة وزيد الخيل حيث قال:

أنا مصدر الكلم النوادي بين الحواضر والبوادي
أنا فارس أنا شاعر في كل ملحمة ونادي
فإذا ركبت فإنني زيد الفوارس في الجلاد
وإذا نطقت فإنني قس بن ساعدة الأيادي

كم لبلدكم هذا من تأثير ومن أثر ومن إثارة والدكتور العميد طه حسين وقد كرم من ناقد يوم احتفل به هنا فرد على هذا الناقد الذي لم نكن إلا ونحن في بعض ما قال، قام طه حسين لا يجد ما يرد به على ناقد إلا بيتاً لجرير ابن المراغة شاعر تميم ولنقل شاعر الصحراء أنشد طه حسين هذا البيت من شواهد اللغة وهو لجرير قال:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم إن أغصنا

مصري لا يتسلح إلا ببيت بدوي كأنما هو حن إلى بيت الشعر فأنشد بيت الشعر.

وشوقي في يوم تكريمه كرمه كل العرب المسلم والنصراني يوم كان النصراني العرب حنينهم إلى العروبة يتلاشى به أنينهم من الغربة عنها كرمه كل العرب فأنشد:

يا عكاظاً تآلف الشرق فيه من فلسطينه إلى بغداده
افتقدنا الحجاز فيك فلم نعثر على قس أو على سحبانه

ما شبع من الذين كرموه، فإذا هو حنين إلى عكاظ، وأنيته حيث لم
يجد عكاظاً حجازي الأرض نجدي الزي كانوا هم شعراءه حكماء خطباءه،
وهذا ابن زيدون في مغرب الشمس في قرطبة نجد في رسالته الجدية حنينه
إلى الشرق لا، بل إلى أهله أصحاب بيوت الشعر أصحاب الأمثلة السائرة
قال:

أبطأ الدلاء أيضاً أمله، وخير الحجي ما صادف جدبا، وألذ الشراب ما
أصاب غليله،

فهل في الأندلس دلاء وآبار وجدب وعطش لا، إنما كان هذا في
الصحراء ففيها الدلو والبئر والجدب والعطش، ولكن أعود إلى الفاضحة
فأقول هل كان الجدب وما إليه لا وسيلة تحققت بها الغاية فتحاً عظيماً
وحضارة عظيمة وكلمته كما هي في قرطبة في مغرب الشمس كانت وراء
الهملايا في مشرق الشمس الوسيلة الواضحة هي عزم الرجال وأصالة الكلمة
والوسيلة الفاضحة هي وهن الرجل كما قال ﷺ «يوشك أن تتداعى عليكم
الأمم كما تتداعى الأكلة على القصة فقالوا أمن قلة يا رسول الله فقال عليه
السلام لا. ولكنكم غثاء كغثاء السيل إنما يدركم الوهن قالوا وما الوهن؟
قال حب الدنيا وكرهية الآخرة أو كما قال: حب الحياة وكرهية الموت
ولا أريد أن أزيد فالفاضحة واضحة».

البصير العاشق

والبصير العاشق ليس هو بشار بن برد الذي عشق بأذنه:

والأذن تعشق قبل العين أحياناً يرى الفؤاد ما لا يرى النظر

فبشار علم في ديوان العرب، ومعلومة عند الذين يغترفون ولا يعترفون إن هذا البصير الذي أكتب عنه عرفته وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق قارئ قرآن على الموتى، وفي المآتم ولكن عرفته عاشقاً مدنفاً أحب، كان فريسة من لمسة يد، من نغمة صوت، ولكن كيف عرفت ذلك، لقد كانت المصادفة حين دعاني السيد الصديق حسن أحمد الصافي الجفري إلى العشاء يرحمه الله فإذا نحن ثلاثة صاحب البيت وكاتب هذه الأسطر والشيخ الأخيمي البصير وسمعنا غناء بصوت محمد عبد الوهاب يغني قطعة شوقية شاعرها أحمد شوقي وهي:

ردت الروح على المضي معك أحسن الأيام يوم أرجعك
مر من بعدك ما روعني أترى يا حلو بعدي روعك

فقال الشيخ أنا الذي روعني بعدك وما كنت أصلح لأن؟ يرتاع لبعدي عنك.
وأخذت أتحدث أستأخر لأسأل العاشق البصير عن حال مضي له فقلت
إن أحمد شوقي احترف المعارضة لأكثر من شاعر، فحين تأندلس في

الفردوس المفقود عارض لسان الدين بن الخطيب في موشحه وعارض ابن زيدون، ولم أذكر شيئاً عن ابن الخطيب وإنما ذكرت وبسبب الأغنية القطعة التي عارضها شوقي فأنشدت:

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطى إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسني رحم الله زماناً أطلعك
إن يطل بعدك ليلي فلکم بت أشكو قصر الليل معك

فصرخ البصير (آه... إن هذا القول يعني قول قصر الليل وطوله هو كما نقول نحن الصوفية) فقلت: وماذا قلت؟ قال: قولنا هو (سنة الوصل وسنة الهجر سنة) وسألناه مالك تحترق فهل استرقك حب؟ فقال: وأي حب.. لقد ماتت زوجة مدير السكة الحديد، فأخذوني أقرأ، فصافحتني ابنتها الشابة، وتكلمت تحييني، فإذا اللمسة وإذا الكلمة أشعلت الحب لها ولعلها عرفت ذلك من رجفة ارتجفت بها فأخذت تكرمني تطلب مني الوصول إلى البيت حيناً بعد حين أقرأ القرآن كان ذلك صلة ولم يكن اتصالاً، وحن وقت السفر لها حين نقل أبوها إلى الآستانة عاصمة العثمانيين، فما استطعت التخلف عنهم شفعت لي عند أبيها أن أكون معهم في هذه الرحلة، وارتحلت من المدينة المنورة إلى القسطنطينية ولا شيء إلا أن أسمعها تتكلم كل هذا كان حبي، وكله كان عاطفتها الإشفاق ولا أكثر فقلت له لقد رجعت فهل ما زلت تحبها؟ فقال وهل حديثي عنها الآن إلا حبها، فقلت له أنت لم ترها ولكن في وجدانك السؤدد فدعني أصف حبيبتك وبهذا البيت للإمام عروة بن أذينة..

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقتها وأجلها

وأخذ يضحك وهو يبكي . .

وهذا الحديث قبل ستين عاماً وما زلت به وفيه وله . .

وما دام الشيء بالشيء يذكر فهناك توارد خواطر، ليس معارضة بين ما جاء في أغنية محمد عبد الوهاب (أحب أشوفك) وبين بيتين لابن زيدون فالأغنية فيها:

أشوف خيالك بالوحدة دي (إدامي) . .

أكلمك واسمع حسك وأشكو غرامي

(واؤوم) أضحك ملاًشي غير أوهامي

والبيتان لابن زيدون هما:

أما رجا قلبي فأنت رجاؤه يا ليتني أصبحت بعض رجاك
يدنو خيالك حين شط مزاره وهَمُّ أكاد به أقبل فاك

توارد خواطر ليس معارضة ولا سرقة .

متى حج الإيراني برّا؟

ولا أخلت ولا أذلت وإنما بذلت دونما من فقد كان ذلك الواجب عليها تراثاً لا يبلي، أساسه المسجد وسواسه أئمة المسجد وساسته الذين حافظوا على أن يكون هذا العطاء دماً أحمر به تراب الأرض حتى «كشغري» في شمال الصين وحتى بواتيه (بلاط الشهداء) على جبال البرانت حدود فرنسا.. وأبيض وجه تاريخ هذا البلد حرماً وسياجاً لا يسأل عن جحود وإنما سؤاله أن يكون هو العطاء المديد بلا حدود من عطاء هذا البلد الآمن الذي تكون بكيئونة هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية، وما سميته الكيان الكبير إلا لأنه جمع الشمل فلا إقطاع ولا مقاطعة ولا قطيعة.. ولا فصام ولا خصام قبل هذا الأمن الذي حطم الإتاوة والخفارة والإخاوة بسيف عبد العزيز بن عبد الرحمن حملته زنود القبائل التي توحدت حين وحدثت..

قبل هذا الأمن كان الحاج الإيراني.. وقبل آل سعود كان الإيراني لا يستطيع أن تمر قوافله عبر البر لأنه يخاف حكم الترك فالخصومة القديمة بين الروم والفرس لم تمت بين الترك والفرس مع أنهم المسلمون ومنعت ذلك حروب القبائل فكل القبيلة «يام» حالت دون الحج الإيراني، فاطمي يحجز إمامياً حين اختلف النسب والانتساب بعوامل المذهبية فلقد كان حج

إيران يركبه الشوق إلى مكة فلا يبخس الناس أشياءهم، فإن عزّ عليه البر فقد أصبح يركب السفن الشراعية يركبها من الخليج يعبر مضيق هرمز تلعب به أمواج بحر العرب كجزء من المحيط الهندي خصوصاً إذا كان الحج صيفاً ويمر من باب المنذب فإذا السفن ترسو في ينبع البحر، وإذا الخفارة تفرض والإتاوة تؤخذ، فقد كانت للمرابحة وللظواهر بالذات يقبضها شيخ الظواهر يومئذ (عباس) صاحب بئر عباس محطة في الطريق بين المدينة وينبع فلا يمر الحاج الإيراني ببئر عباس حتى يدفع الإتاوة والخفارة، قليل كانوا يحجون على السفن ولكن الأمن في هذه المملكة وفي أول لحظة حين بدأ يتم نقص، انضمت الإحساء وانجلى الترك، حج الإيراني عن طريق البر بأمن وسلام. . أتحدى من يقول إن قبيلة من عرب نجد تعرضت له. غير أن حملة محمد علي غيرت دفع الإتاوة إلى غير المرابحة فالذين كانوا يأخذونها لم يأخذوها عن تعنت. . وإنما هو فرمان الخديوي كأنما فرمان الخديوي جزء من فرمان السلطان صلة وثيقة لأوامر ملوك الطوائف يتكوّن حجيج البر في النجف، والنجف نجدية أكثر منها عراقية كما قالها لنا الجواهري شاعر العراق. . لكن هذا الحجيج من النجف وبفرمان الخديوي يمر بخفارة ميمونية حربية أحمدية خفارة ابن ناحل خلف وأخو خلف وآخر من كانت له صديقنا غلاب ابن ناحل من أحامدة نجد ويصلون إلى المدينة المنورة ويدفعون إتاوة وخفارة لمن بيده فرمان الخديوي واليوم كل هذا نسيته إيران. . كل هذا يدفع المسلم إلى أن يقتل المسلم في حرب جماعية أو في حرب معشرية لا يسعني إلا أن أنشد قول الشاعر:

إني لأعجب من طبيعة معشر تسعى لهم وهم عليك شقاق
إني لأبرأ من زعامة جاهل تدجيله تفني به الأخلاق

وأخيراً فإن الأرض المسلمة في أي مكان ستشعر بالسعادة يوم يكون
الوفاق بين كل الذين يصلون إلى القبلة، وكل الذين يصلون إلى القبلة
يحجون، فاللهم اجمع الشمل واجعلنا الناصرين لدينك نستاهل النصر منك
سبحانك مالك الملك الرحمن الرحيم.

وما تعود هذا البلد حرماً وسياجاً إلا أن يكون مأزر الإيمان.. . معقل
الإسلام.. . وقبائله صخور الإسلام فإسلامه هذا يدعوه إلى العطاء فالقرآن
انتشر والذكر انتصر والإسلام كذلك واللغة مثل ذلك.. . فعطاء هذه المعاني
كان الرديف لها عطاء المباني فما بخلت هذه الأرض يوماً.

الصخر أثمر والنهر أصحّر

وليس عجباً أن يكون هذا العنوان عن أرض الصخر والقفر وكيف ارتفع إنسانها، إلى فوق، وإنما العجيب هو الكلام عن أرض النهر وكيف رضي إنسانها أن يعيش الكفاف بل وأن يعيش من حوله بقسوة الجفاف وليس هو الجفاف في الأرض ذات الغابات وإنما هو جفاف الإنسان على نفسه رضي أن يعيش في غيبة عن النهوض، بينما كل ما حوله ينهضه ولنضرب المثل تلو المثل فليس هناك جزر قفراء تكثر فيها الزلازل والبراكين كاليابان، ولكن إنسانها وجد نفسه في قسوة حين يعيش على أرض طبعها الله على هذه القسوة فإذا القفر وازع ينهض يقتل الفقر يقاتل كل المعوقات لا زرع ولا ضرع ولا تربة ذات طينة يمكن أن يزرعها ولكنه وقف ناهضاً يستجلب كل ما أنهضه من النفط حتى التراب، فإذا اليابان دولة صناعية عظمى فقد استطاع الياباني حين أمسك بالسلاح وهو في أوج نهضته أن يهزم روسيا القيصرية، كما استطاع الياباني أن ينتصر على الهزيمة البشعة، قبله نووية أحرقت مدينتين وأهلكت الألوف ولكن الياباني انتصر على الهزيمة بالثبات، إنها قسوة الأرض، ألانت عاطفة الإنسان نحوها أو ليست اليابان هي التي أخرجت بريطانيا عن قاعدة الذهب فإذا الجنيه الذهب الذي كان أقل من الجنيه الورق يصبح ذا قيمة كبرى إن أغنت من اشترى فقد خسر بها بعض من فاتته تحرك اليهود، لأن الذهب بين إصبعي اليهودي

صنعت اليابان الثوب الرخيص من قطن تستجلبه، ثم نפט تصنعه، فإذا تجارة مانشستر تهبط إلى تحت، ولنذكر قصة في حوار بين الإمبراطور جورج الخامس ورئيس وزرائه «رمزي ماكدولمس» حين هبطت تجارة مانشستر «المني فاتورة» خاطب الملك جورج المستر ماكدولنج بدعوة إلى الخروج من هذه الأزمة، فتقدم رئيس الوزراء بالاستقالة لكن الإمبراطور قال له «قُد السفينة إلى النجاة» إمبراطور الأسطول يتكلم عن سفن الأسطول وصدع ماكدولنج بأمر الإمبراطور حتى إذا خرج قال «خير للطالب أن لا يكون الأول في فرقته» وكان الحل للخروج عن قاعدة الذهب والتعويم للأسترليني هكذا صنعت اليابان، صخرها أثمر لأن الإنسان هو التنمية، ونأتي إلى أرض النهر كيف أصحرت وهي ذات الخصب، الماء وفير والغابات ولكن الإنسان ما زال فقيراً، إن قارة إفريقيا أرض النهر النيل الكنغو الزمبيزي النيجر لكن كل هذه الأنهار إنسانها يعيش الكفاف حتى استعصى على الاستعمار الذي ما كان همه إلا النزح أن يأخذ من إنسان إفريقيا قياماً بما ينهض به، فالنهر يجري ولا زرع حوله، يشتغل به الإنسان يستثمره الإنسان، لكن الإنسان حول النهر قد استرقته رقة من طبيعة الأرض وافته رخاء فاسترخى، فلو زرع الإنسان صاحب النهر الذرة أو الحنطة أو الفول لأنتصب يقف أمام الدول الصناعية في أوروبا، والأعجب من ذلك أن بعض إنسان النهر يريد أن يكون صاحب صناعة كالحديد والصلب مع أنه ليس في حاجة إلى ذلك حاجته أن يزرع ويصدر لا أن يستورد الحنطة والذرة ولا أن يسترفد مستجدياً الغوث، فاليابان مثلاً قبل اليابان تربة قاسية لكن الأوروبي نهض فصنع وأعد القوة واستعمر فأستثمر فليس هناك من كان عديلاً لشعوب أوروبا إلا شعب اليابان، كانوا يسخرون منه أعني الأوروبيين يسخرون من الياباني يقولون إنه مقلد كأنه لم يرتضع عن القرودة حتى ضربوا

المثل بأن إنساناً أوروبياً تقدم إلى خياط ياباني ليصنع له «جاكيتته» مثل التي عليه فنظر الياباني إلى الجاكيتته فإذا فيها فتق كبير من آخرها فصنع له مثلها وبهذا الفتق، وصحيح أن الياباني أول الأمر قلّد لكنهم اليوم أصبحوا يقلدونه، وإندونيسيا خصبة ممطرة قالوا لو أن أحدهم ركز عصاته في طينها لأورقت العصا، ولكنها الأرض الخصبة الممرعة هي التي أعجزت إنسانها بينما الأرض القفر أعجزت بإنسانها، فالإنسان هو التنمية والعربي في جزيرته خرج من القفر والفقر حين أصبح أمة إلى ما سجله التاريخ فالعقيدة جمعت، ولكن ينبغي أن لا ننسى أن قسوة القفر طوعت العربي إلى أن يستطيع أن يصنع مجد التاريخ.

الزحف الروسي الرابع والعشرون

والزحف الروسي السلافي بدأ في هذه الأيام على صورة مسالمة فقبل هذا لم يستطع القياصرة أن ينالوا نصراً على شمال آسيا وعلى الإمبراطورية العثمانية بزحف الجيوش التي بلغ عددها والعهد على أساتذتنا سواء كان السيد أحمد صقر أو هو الذي كان الشيخ محمد عبد القادر الكيلاني التونسي المديني علمونا أن الروس زحفوا على الإمبراطورية العثمانية، وشمال آسيا التركستان القوقاز الأفغان الأناضول فلم ينالوا نصراً، وكان آخر هذه الزحف هو رقمه الثالث والعشرون هو بقيادة الإمبراطورة زوج بطرس الأكبر (كاترينا) حاصر جيشها القسطنطينية في عهد السلطان عبد الحميد يوم كانت إمبراطورية بني عثمان يطلق عليها الغربيون (الرجل المريض).

وقد كان الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) النابغة دلي فؤاد لقبوه بالمجنون فكلمة دلي تعني المجنون ولعله كان هو الجيش وحده فقد استطاع أن يحمي العاصمة من احتلال الجيش الروسي، ولم يكن ذلك بقوة الجيش الذي وصفه حافظ إبراهيم بقوله ويعني السلطان عبد الحميد.

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

فلقد انتصر دلي فؤاد حين استصرخ رئيس وزراء بريطانيا (إزرائيلي) ورئيس وزراء ألمانيا (بسمارك)، فانعقد مؤتمر برلين يحظر كاترينا بالتخلي عن

نواياها فإذا هي تعود إلى موسكو غير منتصرة، من هنا قلنا أن الروس ما تعودوا الانتصار خارج حدودهم ومنحوا الانتصار داخل أرضهم، فقد هزم نابليون الذي أطاح به الغرور بالقوة التي يملكها وبالبعقرية التي يعلنها، يغزو روسيا في الشتاء حتى قال المؤرخون: لقد انهزم نابليون بالجنرالين (يناير وفبراير) شهري الجليد. كما أن الأرض الروسية وصمود إنسانها أذاقا هتلر الهزيمة مع أنه كان يملك قوة لا قبل للروس بها فقد أصبحت مدينة (إستالي نجراد) وكأنها مدينة عكا الثانية أو القسطنطينية الثالثة فعكا عكت نابليون، والقسطنطينية أعجزت كاترينا، وإستالي نجراد نالت من غطرسة هتلر كل هذا الاستطراد نكتبه لبيان أن اثنين وعشرين زحفاً روسياً لم ينتصر زحف واحد، وحتى الزحف الثالث والعشرون على الأفغان لم يستطع أن ينتصر، وليس ذلك من عجز القوة التي لا قبل للأفغان بها، وإنما هو تعجيز القوة التي لا يمكن استعمالها، فتعجيز القوة كان في الحرب الكورية التي كانت حرباً غير مباشرة بين إمبراطورية الكرملين وإمبراطورية البيت الأبيض، وكما هو تعجيز القوة في فيتنام فلم تستطع إمبراطورية البيت الأبيض أن تجعل من عاصمة فيتنام هيروشيما الثانية، كل هذا عرفه جورباتشوف، فإذا هو يترك زحف الجيوش التي تملك القوة المدمرة لأن استعمالها سيكون فيه الهلاك لجيشه إذا ما اعتمدت إمبراطورية البيت الأبيض أن تتعامل مع قوة الردع، لقد عمد جورباتشوف إلى حرب السلام، فبعثر حلف وارسو ليتعثر حلف الأطلسي، وليجد غرب أوروبا نفسه في حاجة إلى حماية إمبراطورية الكرملين بهذا السلام، فلم يعد في حاجة إلى سلام الحرب يستمد من شرق الأطلسي إن ما صنعه جورباتشوف، ولكي نكمل العدد هو الزحف الرابع والعشرون يخرج من الأفغان ويغازل اليهود في فلسطين، ويغزل الحبال لما هو جنوب القفاز، كأنما أذربيجان والأرض يتناسون مذبحه الأرمن بسلاح العثمانيين.

إن إمبراطورية الكرملين حين بعثت حلف وارسو أشغلت أوروبا بنفسها، ودعت حكومات هذا الحلف أن تبدأ قبلها عودة العلاقات (الدبلوماسية) مع تل أبيب ليجد الكرملين نفسه غير محرج من العرب يعيد العلاقات مع تل أبيب، ولكي يبلع العرب الطعم لعلفاً كبيراً بدأ أولاً يعترف بالدولة الفلسطينية ليعترف بدولة اليهود في فلسطين براعة في السياسة وإلا فعلاقة الكرملين بتل أبيب كانت قائمة ووطيدة وإن لم يكن بينهما سفراء، فلم ينقطع مدد الاتحاد السوفيتي عن اليهود في تل أبيب، فهجرة الروس إلى فلسطين مدد مدد لتل أبيب أشد قوة من أي مدد آخر يصلها من إمبراطورية البيت الأبيض أو مما كان قبلها، إن قطع العلاقات في عام ١٩٦٧م وفي شهر يونيو بالذات كان طُعماً أبتلعه العرب وجذب الفلسطينيين أن يعتمد على إمبراطورية الكرملين كأنما ذلك هو المدد لليهود لأن أي عامل من عوامل السلب ضد اليهود هو جالب القوة لها من المعينين، فقطع العلاقات براعة سياسية تمنع العرب أن يطلبوا من الاتحاد السوفيتي وعلى لسان سفيرها مطالب لا يريدتها الاتحاد السوفيتي، فإمبراطورية الكرملين وفي عهد ستالين كإمبراطورية البيت الأبيض وفي عهد ترومان هما أول من اعترف بدولة اليهود، أفليس الاعتراف أشد قوة توطن بها سلطان اليهود في فلسطين من تبادل السفراء!!!

إن هذا الزحف الرابع والعشرين وقد سلكه جورباتشوف قد فتح لشامير أن يستعصي على الولايات المتحدة فقبل ما فعله جورباتشوف في شرق أوروبا، كان الكهنوت اليهودي يترنح خوفاً من انقلاب الشعب الأمريكي، والتغير الذي بدأ يظهر في سياسة الإدارة الأمريكية اقترحت تل أبيب فكرة الانتخابات وفكرة المفاوضات مع الفلسطينيين حتى أن شيمون بيريز وحزب العمل لا يرفض مفاوضة منظمة التحرير، أما اليوم وقد غير جورباتشوف الخريطة فقد أصبحت تل أبيب بهذا الموقف الروسي تستعصي على ما تطلبه

الولايات المتحدة، فالزحف الروسي الرابع والعشرون سيستمد القوة باستقطاب شمال آسيا بهذا الموقف اليهودي، فحين يعجز العرب عن مفاوضات السلام التي ترفضها تل أبيب ولا أقول شامير وحده فكل اليهود شامير حين يكون ذلك سيفرض جورباتشوف براعته السياسية بهذا السلام الذي لم يستطع أي قيصر أن يفرضه بقوة الجيش، ولا أكتب هذا تكهناتاً وإنما هو من فقه التاريخ لأن روسيا سوف لا تحجز عن المياه الدافئة بأي مضيق أو بأي تصنيف، وإن كانت لها الآن أساطيل في أعالي البحار فذلك يكلفها الكثير ولكنه استحوذها على ما بعد يقرب المسافة وتقل التكاليف ويفرض سلطان الروس على آسيا وما إليها.

صورة

وهذه الصورة كتبناها من قبل، وهي حكاية عن دلي فؤاد. فقد كان جيش الإمبراطورية كاترينا يحاصر الأستانة وكان دلي فؤاد يفكر جالساً وحده فإذا كبير الأغوات في الحرملك يمر من السلامك يسأل دلي فؤاد (أيش يا باشا) وبغصة قال للأغا: إذهب لحالك فلا شأن لك.

وكاد الأغا يذهب فإذا عبقرية دلي فؤاد ترشده يخاف من أن يذهب الأغا يثير الحرملك عليه فيغضب السلطان فنأدى الأغا وقال له: أنا أفكر في هذا العدو يحاصر الأستانة لعلي أجد الخلاص فقال الأغا (أوه . . يا باشا . . دحين . . أمير المؤمنين ينشر الصبحك (العلم) يجي المشايخ يقرأون مثنوي (كتاب جلال الدين الرومي) ويقولون هف . هف . كل جيش روسي يهرب . وذهب الأغا راضياً فقال دلي فؤاد وهو يسأل الله . . يا رب يا تعطيني عقله وأستريح يا يأخذ عقلي يتجنن .

ودلي فؤاد هذا هو جد فؤاد أوغلو سفير تركيا أيام جمال عبد الناصر . وقصته معروفة نجم عنها قطع العلاقات .

الأرض لا تأثم

والأرض بكل ما هو فوقها أو هو في جوفها وبكل التسميات التي تطلق على تضاريسها ودهاليزها لا يلحقها إثم الإنسان إذا ما طغى أو ألحد، وأشرك وكفر وارتد، فالإثم من صنع الإنسان وليس على الأرض أي أرض ذنب فمن الخطأ أن نذم مدينة أو إقليماً بعصيان أهلها الذين فسقوا عن أمر ربهم، فأرض فلسطين طغى فيها الجبارون فأهلكوا، وعصى فيها قوم لوط فأهلكوا، وبقيت فلسطين الأرض المباركة لم يلحقها إثم الذين هلكوا، وأرض عاد وثمود والفراعين هلك أهلها وبقيت أرضهم تأوي المسجد والمحراب والمأذنة وإنساناً عربياً ومسلماً، وأرض المشركين من العرب أسلم بعضهم وهلك صناديدهم وبقيت الأرض في حرز القداسة والحفاظ على إحراز مكارم الأخلاق، فالإنسان كما تقول العامة (ذنبه على جنبه) أما التراب فمسجد وطهور، فدعونا من التنابد والسخرية بما ظهر من شرك وما تظاهر من نفاق أو ردة فكل ذلك ذهبوا وبقيت أرضنا مأزر الإيمان معاقل الإسلام، قبائلها صخار الإسلام، فبعض الذين عصوا من ارتد ومن جلد في الخمر حين عادوا إلى الهدى زال عنهم الإثم بالتوبة، فالإسلام يَجِبُ ما قبله، فإذا هم الذين قادوا النصر وإذا أرضهم حرماً وسياجاً مأوى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فحين وحدوا توحّدوا، فأرضهم لم تأثم هكذا علمنا أسياننا. ولا أريد أن أزيد ولكنني أذكر بواحد اسمه طليحة بن أسد نجدى

كان رأساً على الحلف الأعظم يسود غطفان بقضه وقضيضه وأسدأ بحدھا وحديدها ارتد ادعى النبوة ولكنه عاد فإذا هو في القادسية لا يقطع سعد أمراً دونه كما هو أمر عمر بن الخطاب وبعد القادسية يبعثه ابن عمه النعمان بن مقرن المزني المضري النجدي المسلم قبل كل شيء سابراً في عزمه النعمان لفتح نهاوند (فتح الفتوح) وطال غياب طليحة، فتقولوا عليه يسيئون الظن به لقد عاد إلى الردة حتى إذا جاء بالخبر سمع الخبر فقال الكلمة أصك بها أذن كل عربي (أو تظنون بي الظنون أتحسبون أنني أترك قومي العرب جزراً لهؤلاء الأعاجم) قالها وملاء صدره الإيمان. فرضي الله عن طليحة ورضي الله عن أبي محجن ولكل قصة ولك فصل.

القمة العاشرة

وضربت دول الخليج قادة وشعوباً حين اتحدت في مجلس التعاون المثل اقتدى به عرب آخرون، فلم يكن وحدة الاندماج وإنما كان هذا التعاون تضامناً لم يبتعد عن التضامن ولم يتباعد عن الوحدة وما انقطعت الصلة ولا الاتصال بين كل دولة وأخرى حتى ليكاد التشاور بينهم يكون مستمراً، إن لم يكن كل يوم فقد كان في أيام من شهر وفي شهر بعد شهر.

ومن حتمية التعاون أن ينعقد الجمع للقادة في مؤتمر قمة، ففي كل عاصمة من عواصم هذا المجلس كانت تنعقد القمة، وفي هذا اليوم تم انعقاد القمة العاشرة في مسقط عاصمة عمان، كأنما القمة العاشرة قد تم انعقادها في عاصمة الإمبراطورية الثالثة بعد عهد الخلافة، أو هي الإمبراطورية الثانية حينما كانت سيدة البحر العربي، وشرق المحيط الهندي، فبعد عهد الخلافة وقد انتهت أعوامها الثلاثون تكوّنت في دمشق الإمبراطورية الأولى، فإذا هي وفي تسعين عاماً أكملت الفتح العظيم إلى مشرق الشمس وإلى مغرب الشمس، فإمبراطورية أمية العظيم ودالت أيام فإذا إمبراطورية بين العباس في بغداد التي إن لم تكن الفاتحة للأرض فقد تكون فيها وفي بغدادها فتح الفكر تبرز منه الحضارة الوسيط، حضارة العلم بكل فروعها، فمن هنا قلنا حضارة الشرق أصبحت مدينة الغرب، ودالت أيامها الطويلة فإذا في شرق الجزيرة الجنوبي على البحر الأزرق (الخليج)

ومضيق هرمز وبحر العرب والشمال الشرقي للمحيط الهندي تشرق على العروبة إمبراطورية عمان يتشامخ بها الأزدي فلئن كانت إمبراطورية الشام والعراق قرشيتين، فإن إمبراطورية عمان كانت أكثر تكون أزدية قحطانية امتد سلطانها في البحر، فإذا شرق إفريقيا تحت هذا السلطان وما زال فيه بقية من أنسال العروبة، هذه الإمبراطوريات الثلاث تكوّنت في عصر الإسلام كانت أكثر ما تكون برية كأنما هما الرديف لإمبراطورية ذي القرنين المصعب ابن الحارث إمبراطورية حمير فيما قبل الإسلام، أما قولنا إن إمبراطورية عمان مذ كانت بحرية فهي الثانية بعد إمبراطورية كنعان فينيق والقرطاج بقيادة قدموس وهنيبال كل هذا لن يقتصر مجده على عمان وإنما هو مجد جزيرة العرب كلها، مجد أبنائها القادة الذين اجتمعوا في عمان قمة خليجية وقد أعجبني المذيع حين قال قمة التقويم والتقييم في مرة وفي أخرى قال قمة التقويم والتصميم، أعجبني التفريق بين التقويم الذي هو التعديل والاعتدال، وبين التقييم الذي هو الانقياد للقيم الموروثة والأخلاق الوارثة وقد كانت الحلية كلمة التصميم فلدى القادة في القمة العاشرة الكثير الذي تثبت به القيمة والقيم ويعتدل به التقويم وينتصر به التصميم، فالعرب إذا ما توحدوا وحدوا وثابوا فإنهم سيملكون القيم والقيمة ويمتلكون كل حق لهم بالتصميم. إن مجلس التعاون الخليجي وكما قلنا أنموذج كأنه قد احتذى بأنموذج الوحدة لهذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية فليس الأمر لدى عواهل العرب اليوم أن يكون هذا الشبر لي وهذا الشبر لك وإنما الأمر هو أن يصون العواهل كل شبر من الأرض العربية سواء كان على الخليج البحر الأزرق أو على البحر الأحمر أو على البحر الأبيض والبحر العربي. فاللهم نصرك وتأييدك لهم جميعاً وعامل النصر هو أن يكون الجميع كلاً لا يتجزأ في مسيرة التصميم والله سبحانه قدّر فهدي.

الحوار العربي الأوروبي

وعن هذا الحوار بين العرب جميعهم والسوق المشتركة الغرب الأوروبي كله، لا بد لي من تعليق يظهر به تعلقي بهذا التطور عربياً وأوروبياً، فالغرب كله بالذين مثلوه قد أجمعوا أمرهم على نهج واحد، فإذا هم على الطريق، وما كان ذلك إلا والمستقبل يدعو إليه، يدعو إلى الجماعة يدعو إلى استغلال الواقع في أوروبا اليوم فلئن ظهر أن شعوب أوروبا قد تكون وحدة عن قريب أو بعيد، فإن الوفاق بين الكرملين والبيت الأبيض لن يكون في صالحهما عودة أوروبا إلى ما كانت عليه من قبل لهذا السوق المشتركة حين كانت قبل هذا الحوار ترسل التأييد تلو التأييد للعرب، كان المعلق يظن أنها دعاية لها من أجل مصالحها الاقتصادية ولكن الواقع اليوم يدعونا إلى اليقين بأنها المصالح الاقتصادية، نعم ولكن أشد منها وأقوى الموقف الاستراتيجي، فالأرض العربية شرقها وغربها وكذلك إنسانها هو السند للسوق المشتركة أو لحلف الأطلسي ينتصب بها قوم أوروبا الغربية حين يستجد، وليس ذلك بالبعيد أن تكون في حاجة إلى السند الأيمن عن العرب وأرضهم؛ كما هي في حاجة إلى السند وراء غرب الأطلسي، فالحوار العربي اليوم وقد اجتمع كل العرب فيه بدأ يزيح شعبية التأقلم، كما بدأ يبيح للتضامن العربي ألا يكون مادة في ميثاق الجامعة، بل سيصبح المدد لقوام الأمة العربية تخضع لقيامها حين تعمل لمستقبلها، فمن

البشرى أن تمثل شعوب الجامعة بالذين مثلوا دول الجامعة في هذا الحوار، فلم يتخلف أي ممثل لزعيم عربي عن هذا الحوار، فهذا الأمر له ما بعده وضوح التبادل الاقتصادي واتضح العناق الثقافي، والتأييد الأوروبي غربياً أصبح قوياً وشرقياً من مصالحه ألا يكون بعيداً عن هذا التأييد سواء قاده النهج الذي تملكه يد جورباتشوف أو الذي أصبح في ملك أوروبا الشرقية وليس كل ذلك ما أحسبه كسباً، بل المكسب الكبير هو أن فرنسا ومن إليها من دول السوق المشتركة أعلنت موقفها صريحاً مختلفاً مع اليهود ومن إليهم، إن دول السوق المشتركة قد تناقص بها حين أيدت العرب الصديق لليهود لا لرفض الصداقة وإنما لرفض ما يمارسه اليهود في فلسطين و ضد العرب، وكسب آخر يوقظ العربي إلى أن يشد حيله فلا يخشى اليهود ولئن كان في طبيعته عدم الخشية من اليهودي فإن انطباعه الآن سيجعله يقترب من عدم الخشية من أي معين لليهود. . إن اجتماع العرب في وحدة هذا التضامن خيب ظن اليهود فلن تجد فيهم من قبل ومن بعد أبارغال ولا يوسف خنفس ولا بنت الضبزرن.

ومما أجدني شاكراً له ألا وهو درس التجربة حين تفرقت الأقاليم بما رفضه أكثرهم وبما احتضنه آخرون. . إن تجربة الخلاف الذي وقع بمدة سنوات محمودة عاقبته فقد بصر العرب بأن الخلاف فيه التلف وأن الائتلاف جالب النصر وأي نصر أقوى وأحسن من هذا الحوار بين العرب جميعهم وبين الشطر الأقوى في أوروبا الذي كنا نتهمه بعون اليهود والخير من خلال الشر منبثق، فمجالس التعاون والوفاق بين دمشق والقاهرة يوحد الكلمة العربية والمسيرة العربية، ولقد أغضب اليهود وفي فلسطين بالذات هذا الموقف عربياً وأوروبياً، فإذا هي الكذبة السوداء تذيعها عن لبنان وسوريا

أنهما أرسلتا جيشاً من أبنائهما العرب إلى رومانيا، كأنما اليهودي بهذه الكذبة السوداء يدفع بها جورباتشوف إلى الغضب من عربي، فعل ذلك لأن إمبراطور الكرمليين مع الشعب الروماني ويغضبه من يكون عليه لا معه، ومادام الشيء بالشيء يذكر، فالاتحاد السوفيتي انتقد الموقف الأمريكي في بنما من أجل حماية الأمريكان فإذا هو في اليوم الثاني يعلن أنه لن يتخلى عن أي روسي يناله الشر في رومانيا فالموقف الروسي في رومانيا لحماية الروس.

إن العرب اليوم على الطريق طريق الوفاق والتضامن وصداقة الذين يصادقونهم من دول أوروبا يكسبون الانتعاش الاقتصادي والموقف القوي أمام اليهود، وفي يوم قريب إذا ما صدقت النوايا وتوطدت الصداقة بين غرب أوروبا والعرب فإن الموقف غرب الأطلسي لا بد وأن يتزن فصداقته أو صداقة مع الأرض العربية وإنسانها تحمله على ذلك وإن غداً لناظره قريب.

دقة التوقيت بين الصاروخ والنقاط العشر

ودقة التوقيت هذه تعامل بها اليهود يقابلون النقاط العشر ليمارسوا إجراء الانتخابات يفرضونها على الشعب الفلسطيني فاليهود حين طرحوا فكرة الانتخابات أرادوا بها قتل الانتفاضة ليستحيل الوقت ضدهم إلى ما يصلح به وضعهم، طرحوا فكرة الانتخابات فإذا أنصارها معها بكل القوة التي يملكون قوة الأباطرة ورفض الفلسطيني هذه المكيدة فجاءت مصر تستدير حول الانتفاضة نصيراً لها، وتستدير حول فكرة الانتخابات بأن لا ترفضها لأنها تعرف معنى الوقت وهو اليوم مع اليهود فإذا النقاط العشر بعد نقل هيئة الأمم إلى جنيف وموقف السوق المشتركة مع هذا النقل.

لا تسأل عن موقف السلطة الأمريكية بعد هذا كله وجد دهاقنة اليهود في الولايات المتحدة أن الوقت بدأ يضيع منهم فإذا بهم يخرجون على هذا الموقف الإيجابي مع الفلسطينيين بنوع هو المكيدة في كل ما فيها تطرح فكرة الانتخابات فإذا أنصارها يرضون وإذا العاجزون الآخرون يسترضون حتى إذا أطلقت مصر النقاط العشر ورضي بها أنصارها الأباطرة، أطلقت صاروخاً طويل المدى غرب السويس إلى وسط البحر الأبيض تهدد غرب السويس كله تهديداً غير مباشر أما التهديد المباشر فعلى العرب شرق السويس رغم أن من حولها فرضت عليه الحراسة لها لا يسأل حتى الحجر مدداً لآباء الانتفاضة،

وأمهات الانتفاضة، وأطفال الانتفاضة من الفتيان والفتيات فالصاروخ هو الرد العلمي على النقاط العشر، غير أن ما طرحته منظمة التحرير من الدعوة للسلام أخذها الدهاقنة من اليهود في نيويورك على أنها حرب بسلاح السلام والتفتوا، فإذا غرب أوروبا ليس معهم وشرق أوروبا وهم في أكثر من موقف لم يعلن موقفه معهم فإذا هم يرسلون أوامرهم إلى الذين في فلسطين يقولون لهم اختلفوا فكل ما يفعله أو ما يقوله أبا إيبان أو حزب العمل وما يقوله شامير الذي يصورون به أنهم على خلاف لم يكن إلا لقتل النقاط العشر اليهود لا يقبلونه، والعرب يتربصون حوله والفلسطينيون يختلفون حتى على الاختلاف ضده ولكي تموت فكرة النقاط العشر أطلقوا الصاروخ طويل المدى فإذا إمبراطورية المناصرة كانت هي المدد أو لعلها كانت هي المطبخ بهذا الصاروخ وجاءت إمبراطورية الشرق وبصورة بارعة تعلن أنها ضد هذا الصاروخ حتى إنها تخاف أن يصل إلى وسط الاتحاد السوفيتي هذا الموقف من موسكو هو مدد آخر لأنه إعلان عن قوة اليهود ملكوا في فلسطين الصواريخ الطويلة المدى.

إن الولايات المتحدة شعبها ديمقراطي على القمة حتى إنه يرفض دكتاتورية الصين على الديمقراطية، ولكن هذه الديمقراطية ومن أجل اليهود أحالت الكونجرس حصن الديمقراطية في الولايات المتحدة إلى دكتاتوري عالمي يغضب من الصين ولا يغضب اليهود في فلسطين، فأوقفوا الفلسطينيين أمام موقف النقاط العشر ولا أدري كيف يباح لليهود الذين يحتلون الأرض ويقتلون الشعب أن يمنحوا حق الممارسة بهذه الانتخابات، فأى معنى للمفاوضة عليها فلدى الدنيا كلها القراران ٢٤٢، ٣٣٨ قد أمرت بهما دولة إسرائيل إلى الجلاء.

فالمفاوضات على هذا يجب أن تكون حول الجلاء لا على انتخابات يستهلك فيها الوقت وتقتل بها الإنتفاضة التي لا يصل إليها حجر مدداً لها، فالإنتفاضة محصورة لا من اليهود وإنما من كل جانب، إن مدد الانتفاضة أن يقول العرب نحن اليوم في حرج فلا حرج عليهم من أنطوان لحد أو من كل الملتحدين معه، وافترض لو أن تل أبيب أطلقت الصاروخ على أثينا أو على روما أتنهض اليونان أو الإيطاليون بالرد السريع على هذا العدوان أم أن أثينا وروما يكتفون من التعويض بالمفاوضات على أساس السلامة من اليهود؟ إن المفاوضات في أي مكان على هذه النقاط العشر لن تأتي بشيء في صالح الفلسطينيين وإنما هي التي تأتي بكل شيء لصالح اليهود إمبراطورية تمد وإمبراطورية تعلن والدهاقنة في نيويورك في يدهم الحل وليس هو في يد الذين يحكمون فلسطين ولن يكون هذا الحل إلا بديمقراطية الشعب الأمريكي يقول للكونجرس كفانا نزحاً لمواردنا وإسقاطاً لهيبتنا.

الفاو . . النصر والتعمير

وكدت لا أكتب عن نصر الفاو وتعمير الفاو وكأنما وازعي قد اكتفى
ولصغر شأني بهؤلاء العواهل والإقبال والأذواء العرب الذين دعتهم القومية
يلبون صوت الفاو نداء العراق يصلون ليحفلوا بقيم النصر والتعمير، كدت
لا أكتب لأن التحية تولاها هؤلاء القادة، كما أن التحية قد ولدت الشعور
بأن العرب ما زالوا بخير، فما تخلف عربي عن العراق كل عاهل كان
المدد لإحراز النصر وبناء التعمير، فأبناء العروبة بذلوا المدد لإحراز النصر
أول الأمر، فقد سال دم العرب من جل العرب دماً أحمرَّ به التراب وأبيض
منه وجه الفرات، فأحفاد حمير وكنده كانوا وراء الأذواء، وأحفاد أحمس
أبناء عمرو بن العاص أدوا تحية النيل للفرات بل عزمة النيل للفرات، ومن
هنا هذا البلد كان وافر المدد، فكل العواهل والأذواء لم يكونوا من الذين
تغنوا بالقومية، فإذا التدمير في الفاو يجمعهم يتعالون بالقومية، فما كانوا
أصحاب الدعوة العريضة، وإنما تكونوا ليكونوا أصحاب الدعوة المفروضة،
لم يسألوا عن الدم، ولم يبخلوا بالمال لأنهم تداعوا لحماية الآمال، إن
تعمير الفاو ليس هو البناء الذي تم في أيام قليلة، وإنما كانت الفاو هي
التي تكتبني اليوم مشيداً للحرب لا مكرهاً لها ما دامت هذه الحرب التي
شنتها الشعبوية قد أعلنت وحدة القومية في العرب فالخير من خلال الشر،
منبتق وأي خير إنه قد جعل قبائل العراق التي قد كانت في الخلف أن

يمسكوا بالسلاح ليكونوا في مواجهة المحاربين، هذه الحرب وحدث شعب العراق التي ظنوا بها الظنون وأعلنت القومية على صورة واضحة تسود بها الصورة الفاضحة وكأني بهذا النصر وبهذا التعمير ذكرت ما أنشده فؤاد الخطيب شاعر القومية العربية يوم كان هو وأمثاله يضربون المثل أنشدت بعض ما قاله فؤاد الخطيب:

هن المضارب في طلال الوادي ريانة الجنبات بالوراد
اللّه أكبر تلك أمة يعرب نفرت من الأغوار والنجاد
تعس العداة فما يفرق شملنا متفرق الأسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم شعباً وأن اللّه بالمرصاد

أنا فخر بالنصر كعربي، ولكني تمنيت ألا يكون نصر المسلم على أخيه، فدمار الفاو من طلاله عمار المشاعر العربية سواء كانوا العراقيين أو إن كانوا من العربيين الذين سادوا بالنصر وأشادوا العمران ولعلنا وفي يوم قريب نكون الأمة الواحدة في حرب تشن على اليهود لخلاص فلسطين وليس ذلك على الله بعزيز فالله وحده بشرنا بأن ندخل المسجد كما دخلناه أول مرة فالمسجد اسم المسلم ويعني ذلك أن النصر سيكون وبإذن الله حليف أطفال الحجارة فبواد ذلك قد تظاهرت على اليهود من الذين كانوا عوناً لها هم الحبل من الناس وقد بدأ ينقطع.

جزيرة العرب . . المدد ومن إليها الامتداد

وقالوا في المثل: توضيح الواضح أمر فاضح، وتلقف سعد زغلول هذا المثل وهو من صناع الكلام فقال: «كلما كان الشيء واضحاً كان البحث فيه موجباً لغموضه» وما دام ذلك كذلك فمالي أكتب عن العرب المدد وعن العرب الامتداد.

فهل هناك شك أم هناك رفض . . لا فالتاريخ معروف، والشعوب العربية لا ينقصها الاعتراف، وإنما هو طغيان الإقليمية . . كل إقليم هو العربي ولا غيره، ولا يعني ذلك نكران النسب . . وإنما يعني عدم الاحترام للأسباب الجامعة، وليست هي المعرفة، وإنما ينحصر السبب الجامع الذي يجمع المدد والامتداد لمقامة الواقع الذي صبوه على أنفسهم حين عشقوا الصباية . . كل وما يصبوا إليه . . حتى إن الأرض تنهب والعرض يسلب والمسجد ينكب وفتيان الحجارة يقتلون، وحولهم طغيان الإمبراطوريتين، يتكلمون عن الإسلام بمعسول الكلام بينما هم يحاربون السلام بالموقف المحدود، فلكل إمبراطورية موقف لم يحدده خصيم . . فلا واشنطن حددت موقف موسكو، ولا موسكو حددت موقف واشنطن . . حتى إن الانفراج العالمي وإن بدأ خطواته الأولى ميخائيل جورباتشوف فقد سار رئيس الولايات المتحدة سواء كان حين قال غورباتشوف: نعم حتى عن الانسحاب من الأفغان قال بوش: نعم . . لكن هذا الخبر عن الموقف المحدود نطق به الرئيس بوش وأذاعه صوت أمريكا لم يكن إلا خبراً عن

الواقع، ولا يحتمل أن يكون طالباً فرضاً أو اتفاقاً تعاقداً عليه.

الاتحاد السوفيتي هو الذي حدد موقفه ليأخذ من العرب مأخذ الرضى بينما الولايات المتحدة لها موقفها المحدد في جنوب إفريقيا وحتى في الأفغان وحتى في فيتنام، لكنه الموقف غير المحدد في علاقتها مع اليهود كأن تل أبيب عاصمة لولاية أمريكية.

لقد تقدم الشاكرون للولايات المتحدة لموقفها مع الأفغان، وعجز أن يتقدم الامتداد العربي أن ينكر على الولايات المتحدة دورها غير المحدود مع اليهود، غير أن ظاهرة بدأت تبرز في الولايات المتحدة.. ألا وهي بعض التغيير في مشاعر الشعب الأمريكي، فقد سمعت ومن صوت أمريكا أن صحيفة «الواشنطن بوست» ومعها محطة التلفاز أجروا استفتاء عن اليابان وعن دولة اليهود.. فجاءت نتيجة هذا الاستفتاء هكذا: اليابان شعب صديق للولايات المتحدة أو قالوا إن دولة اليابان صديق أكد للولايات المتحدة.. أما دولة اليهود فليست الصديق للولايات المتحدة.

إن الخبر عن الدور المحدود ما كان يعني أن العرب المدد والامتداد وإنما كان في الطمأنينة لليهود لثلا يظنون أن زيارة شيفر نادزة وزير خارجية الاتحاد السوفيتي سيكون لها دور فيه الخطورة على دولة إسرائيل.

والدور غير المحدود مرة ثانية في هذا التناقض: وزارة الخارجية تعلن نقدها لطغيان اليهود في فلسطين، وفي الوقت نفسه أعلنت نقضها لقرار مجلس الأمن الذي يدين شامير ومن إليه بما يفعل ضد الشعب الفلسطيني.

ولكن لازال العرب المدد والامتداد بالصبر لديهم بعض التفاؤل، بما يصنعه الرئيس بوش أو بما تخضع به السياسة الأمريكية للشعب الأمريكي الذي ضاق بازواجية الأدوار وما إلى ذلك مما أعطى للاتحاد السوفيتي دوراً لو كان محدوداً، والليالي من الزمن حبالى.

أمرؤ القيس السؤال والإجابة

ولم يخطر على بالي أن أكتب عن أمرىء القيس، «بدأ الشعر بملك وانتهى بملك»، فديوان العرب قد جعله أمراً القيس هو الشعر الذي بدأ لم يهلهله كخاله المهلهل، وإنما تهلل به من عزة السلطان وسلطان الجمال، سواء كان جمال الإنسان أو جمالاً لنجده لم يخطر على بالي إلا أن أعرفه كما عرفه ديوان العرب، ولكن أمراً القيس لا ينحصر في أنه الشاعر، ولا ينحصر بين الدخول أن أسأل عنه أطلب الإجابة من دارسي الأدب والتاريخ الذين قد تمنعهم حواجز أن يكتبوا عن حاضرهم فتجيز لهم الجوائز أن يتحلوا حين لم يتخلوا بالكتابة عن ماضيهم في أي ناحية وعن كل ضاحية.

ففي حفل الاثنيية حين احتفلنا في بيت الأستاذ عبد المقصود بأستاذنا علي الصابوني كان بجانبه صادق اللهجة النبيل الأستاذ عبد العزيز الرفاعي كان في سياحة وفي تركيا يصل الرحم بزيارته للسفير الدكتور عبد العزيز محي الدين خوجه، فسمعت الرفاعي يجيب الشاعر المجيب السفير حسن القرشي كأنما هو قد سأله عن زيارته «لأنقرة» العاصمة المستحدثة للدولة التركية فقال الرفاعي: لم أجد ذكرى لأمرىء القيس ولا مشهداً ففي ديوان العرب أن امرأ القيس وصل إلى أنقرة، فواصلها بذكرها في شعره عن تلك الطعنة التي لا أدري أهي طعنة حديد أم الطعنة التي لم يجد فيها المديد طعنة الجسد أم طعنة النفس، وكانت هذه الإجابة «لا أدري» «لا أجد»

حركت مشاعري لأطرح السؤال أطلب الجواب هكذا كما يلي :

١ - أمراً القيس أبوه حجر بن عدي آكل المرارة «الحنظل»، كندي قحطاني أنتزع إلى العدنانية مضر بل أسد فأصبح ملكاً كأنما مضر كلها وبشموخ غطفان أرادت أن يكون فيها ملك ينافس ملك الحيرة فالمناذرة قحطانيون .

٢ - وابن الملك هذا نظم الشعر تخاطفه الرواة فهل كان ذلك يوم كان في عزة الملك شاباً يفترس يتغنى بالأطلال ويطل علينا بأولى المعلمات «قفا نبك» فهل كان بكاؤه غزلاً فلم يبك من هزيمة تنال تاريخها وإنما بكاؤه من حنين الحب وأنين الحبيب .

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا أمراً القيس فأنزل
فقلت لها سيرى وأرخي زمامهم فلا تبعديني عن جنك المحلل

أحسب أنه قال ذلك وهو في عز الملك وترف الشباب ومصداق ذلك قوله «أهملني صغيراً وحملني دمه كبيراً» انتظر الإجابة .

٣ - وقتل أبوه فكيف تسنى لأمرىء القيس أن يعيش بعد قتل أبيه، فهل بقي في أسد لأن أباه لم تقتله القبيلة وإنما اغتاله خصيم، أم أن أمراً القيس لم يتسع له المقام في أسد فخرج منها وفي الأرض متسع، والقبائل من مضر يتسع صدرها له وإن لم تكن له تعيينه على ثأره أم هو قد لجأ إلى تغلب أخواله فلم يجد عوناً منهم فقد أكلتهم حرب البسوس ولا طاقة لهم بأن ينتصروا على مضر فأسد إذا ما شنت تغلب الحرب عليها لن تكون وحدها ولعلّ أسداً حسبت لذلك حسابها فإذا هي مع غطفان يتكوّن بهما الحلف الأعظم .

٤ - إن هذا الوضع الذي طرحته والذي حرّمه من النصير أخذته همة

الثائر أن يستنجد بمن يعين فتوجه إلى الشام إلى ملك الروم يأتمن ففي تيماء سيدها العربي الذي تهود ألا وهو السموأل بن عاديء السلولي الذي حفظ الأمانة فضرب ديوان العرب به المثل «وفاء السموأل» فالعرب عربوا اسمه «السموأل» مع أن اسمه اليهودي «صومائيل».

٥ - وسار إلى الشام ولعلّه ما كان يريد القيصر وإنما كان يستنجد بأولاد جفنه ملوك الشام، فالشام لا بد وأن تكون دار ملك حتى لو استقطبها القيصر فكان فيها ملك أولاد جفنه شم الأنوف من الطراز الأول بل وحتى حينما بسط العثماني سلطانه عليهم أبوا إلا أن يكون فيهم السلطان ولو كان ألبانيا تعرب حتى إن هناك قول يزيح الألبانية عن بيت مؤيد العظم فيزعم أن الألبان «الأرناؤوط» أصلهم عربي قالوا «عار علينا أن نعود فأعجموها» لتكون «الأرناؤوط» ولعلّ أولاد جفنه لم يستجيبوا له أعني لأمرىء القيس أو إنهم نصحوه أن يصل إلى القيصر.

٦ - وسار إلى أرض الروم حتى وصل أنقرة فهل حجز عن القسطنطينية أم أنه عاد من القسطنطينية بخفي حنين؟ سؤال عسير عليّ أن أجد إجابته ولعلّه من السهل على الأكاديمي أستاذ الأدب أن يجد الإجابة ولا أريدها من حمد الجاسر ولا من عبد الله بن خميس وإنما أريدها من أساتذة الآداب والتاريخ.

٧ - إن أمراً القيس يعيش في ديوان العرب شاعراً وعليه لمحة أنه ثائر فهل أجد من يستجيب؟

وهكذا لا بد أن يكون لكل ضليعة تاريخ لا يقتصر على الشعر وإنما ينتشر على سلوك الشاعر وطموحه وجموحه وفشله وانتصاره.

عن ميخائيل . . . وميخائيل

وهذا العنوان ميخائيل وميخائيل وضعته هكذا لأن واقع اليوم في أوروبا حرب سلام أو سلامة من أي حرب صنعه . . ففاجأ بها الدنيا كلها إمبراطور الكرملن ميخائيل غورباتشوف . كما أن واقع اليوم في لبنان بل على الأمة العربية كلها . . ميخائيل آخر فاسمه ميشيل عون هو ميخائيل عون لأن ميشيل وميشال وميكل وميكال كلها ميخائيل . ميخائيل غورباتشوف قد يكون طمأن الوقت ليتحرك الزمن ليس في صالح أوروبا كلها كما هتفوا له، بل هو في مصلحة الاتحاد السوفيتي يجلب إليه الدولار عن أي طريق حتى إذا التقط شعبه أنفاسه جلبت إليه الحوافز باستقلال الفرد أن تصبح أوكرانيا ينافس قمحها ما يرد من قمح يصدر إلى العالم من وراء الأطلسي أو من جنوب ما وراء المحيط الهندي .

فميخائيل إمبراطور حطم سجن ستالين وهدم سور برلين فإذا حلف وارسو ينام، وإذا حلف الأطلسي يتناوم، ولكن الذي ينام قد يصحو والمتناوم قد يغفو في إغماءة الانفراج أما ميخائيل لبنان فما أكثر ما يكتب عنه . . وضع اللبنانيين في سجن فكل لبناني حرمه ميخائيل عون أن ينام ساعة مطمئنة وليس هذا الحرمان ينحصر في بيروت الغربية بل ينحصر في شرقها بل إنه اليوم وبعد اغتيال رئيس الجمهورية رينيه معوض قد جعل

شرق بيروت أكثر شقاء من غرب بيروت فالمارونيون في شرق بيروت معرضون لحرب أهلية مارونية. . يعني أن لبنان أصبح بموقف ميخائيل عون في حربين أهليتين، هو يحارب غرب بيروت والجيش السوري وفي الوقت نفسه يجد نفسه في حرب أهلية شرق بيروت إن لن تثر فيها المدافع فإن الديناميت سينفجر بين المارونيين أفليس رينيه معوض مارونياً. . إن ميخائيل عون يرفض الوفاق يطالب بإجلاء الجيش السوري ولم يطلب جلاء اليهود عن جنوب لبنان بل إن جيش انطوان لحد يعيش بعون هذا العون ميخائيل كأنما الوضع الذي صنعه ميخائيل عون حرب صليبية تستعين باليهود.

وميخائيل عون مرة أخرى وارث لحد الكثلكة، فإنه يعرف أن آباءه الأولين كانوا جنكيز خان لم يهتموا باحتلال الأرض يحتلها التتري، وإنما كان اهتمامهم فيما تصنعه بلطة التتري من قتل المسلمين وهو أيضاً يعرف أن يوم الاستقلال يغتال فيه رينيه معوض لم يكن مصادفة وإنما كان الاغتيال في يوم الاستقلال متعمداً لأن الاستقلال في سنة ٤٣ كان ضغطاً على المارونيين، ونصراً للطوائف الأخرى من غير المارونيين فبشارة الخوري ما كان يملك قوة يستعصي بها على القوة التي كان يملكها رياض الصلح لأن فرنسا الأم الحنون حين ذاك قد أعجزها تشرشل أن تبقى في لبنان وأن تبقى في دمشق، إن ميخائيل عون لا بد أنه يعيش في سرداب سواء كان سرداباً في الأرض تحت الإسمنت المسلح أو سرداباً من حماقة الحقد على الإسلام والمسلمين لكن أمراً آخر هو كيف يبقى في جيش ميخائيل عون ٤٠٪ من المسلمين السنة كما هي اسمهم الطائفي ويعني ذلك أن صائب سلام ومن إليه قد فقدوا القوة حتى إن سليم الحص قد فقد حصه من القوة يستطيع لو كان مسلمو السنة صفاً واحداً أن يفعل شيئاً لإنقاذ لبنان والكلام

كثير ولكن الكاتب يتخيل أن اغتيال رينيه معوض لربما سيضطر ميخائيل عون إلى أن يخاف القتل فقد يغتاله الآخرون وهناك سؤال:

هل ميخائيل عون هو المجرم وحده؟ أم هناك من خارج الحدود من يمنحه المدد إن لم يكن الأمر فقد كان الأمس وليس ذلك الواحد وإنما هم آحاد بعضهم نادم وبعضهم ناقم حتى الآن. وما يوم حليمة . . بسر . . والحرامي على رأسه ريشة.

أطفال لبنان اليتامى!

وليس في لبنان الذين فقدوا الآباء والأمهات في مهلكة الحرب الأهلية أو في شهوات النزوات الطائفية أصبحوا يتامى حتى الرضع منهم فلا يجدون كافلاً يكفل الطفل المسلم لكنهم قد وجدوا من يشتريهم باسم الرعاية وعمل الخير من غير المسلمين.

وهؤلاء الذين أخذوا الألوف من هؤلاء الأطفال فرحوا بهم لا لأنهم بحاجة إلى الرعاية بل لأن التبشير قد أتاحت له الفرصة فيمارس عملية التنصير فلقد نشرت الصحف والمجلات أخبار الأطفال لتملاً القراطيس أخباراً ممتعة لقرائها كأنه ليس لمجلة مسلمة أو صحيفة عربية شأن يحدث على رعاية اليتيم الذي ولد على الفطرة فما طفل لقيطاً أو يتيماً ومن أي نحلة أبوه أو أمه إلا وهو ابن المسجد لأنه ابن الإسلام فالإسلام هو الفطرة (ما من مولود إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) وزاد على الآباء والأمهات ما تمارسه جمعيات الرعاية التي زعموا أنها للخير وإنما هي للتبشير والتنصير وقد قرأت خبراً في جريدة في معرض ما نشر عن هؤلاء الأطفال أن الإسلام يحرم التبني! نعم الإسلام كذلك ولكن الإسلام دين الرحمة، ملة الأخلاق فرضت رعاية اليتيم فالرعاية غير التبني (خير بيت بيّت فيه يتيم يحسن إليه: أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين) هذا

ما قاله نبي الرحمة يقرن بين إصبعيه يضع كافل اليتيم من أهل الجنة، تشير الأصابع قرينة للإصبع التي أشار بها ذو الخلق العظيم ﷺ.

فاليتم وحتى إن كان لقيطاً وجد في عرض الطريق هو ابن الإسلام لأنه ابن الفطرة. فلو في أي مدينة ولو كانت من مدن أوروبا وأمريكا وجد لقيط في عرض الطريق رمت أمه لأي سبب لما كان على النصراني ولا على اليهودي ولا على الملحدين ولا على الوثنيين واجب أن يكفله وإنما هو الواجب أن تكون الكفالة فرضاً على المسجد واجباً على المسلم يرعاه ليعيش ولا يجوز أن يتناه.

فالرعاية غير البنوة الرعاية إسلام خلق . . رحمة . . وهذا حديث الغامدية التي رجمت حين اعترفت حين تابت توبة لو وزعت على أهل الأرض لوسعتهم وكانت حاملاً أمر نبي الرحمة ألا يقام عليها الحد إلا أن تضع جنينها (دعوها حتى تضع جنينها) وحين وضعت جنينها أخذتها التوبة تعود لترجم فإذا نبي الرحمة محمد ﷺ يقول: «دعوها حتى تكفله إلا أن يكفله أحداً».

وما تم رجمها إلا حين تكفل بطفلها صحابي، ما قال عليه الصلاة والسلام هو بن كيت وكيت فالأمر من الله ﴿وَلَا نُزُّ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤).

إن الألوفاً من أطفال لبنان وكلهم أبناء الفطرة فيهم ابن المسلم لأن أبويه كذلك وفيهم غير ذلك لكنه الإسلام هو أبوهم جميعاً ولكنهم المسلمون كلفوا بأبوة الإسلام فالكارثة ليس لأنهم أصبحوا الرقيق الأبيض فالمبشرون يسرقون ولا يسرقون وإنما هم ينصرون. بينما المسلمون في عصر ملوك الطوائف وما أشبه الليلة بالبارحة. كانوا يشترون الرقيق الأبيض

فإذا هؤلاء المماليك يصبحون الملوك ينتصر بهم الإسلام ليس أولهم الرقيق مرتين الملك مرتين المظفر قطز صاحب وإسلاماه صاحب عين جالون هازم التتار وليس آخرهم الملك الظاهر بيبرس ومالي نسيت الجارية زوجة الملك الصالح أيوب شجرة الدر التي أسرت لويس التاسع .

هكذا الإسلام جعل العبدّي سادة بالمن أو الفداء بالحضانة والاحترام فالمشركون استعبدوا سيدنا بلالاً أما الإسلام فقد أعطى بلالاً أنه سيدنا ما قلتها أنا وإنما قالها يسمعها رسول الله عبقرى هذه الأمة عمر بن الخطاب فحين أعتق الصديق أبو بكر بلالاً قال ابن الخطاب عمر (الله أكبر أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا).

فالصحف المسلمة تنشر عن الأطفال اللبنانيين يأخذهم التبشير ولا نجد جمعيات خيرية في المسلمين تحول دون ذلك تصون ولد الفطرة ليبقى مسلماً كأنما عصر الطوائف الأول غير عصر الأقاليم الآن . . فهل أزيد أم أن في فم الضفدع ماء؟

لكن الإسلام بخير ينتصر بالحرب عليه . . أما المسلمون فنسأل الله أن يجتمعوا على خير يتحدون ولا يفترقون ليكون الإسلام منتصراً بهم وليكون الطفل ابن الفطرة في رعاية مسلمة إن الله هو السميع المجيب .

عبد العزيز ما رضى الخلافة فاسترضى التآلف

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود . . الإمام السلطان رفض أن يدعي الخلافة . . فلماذا؟

فالإجابة: هو أنه يعرف تاريخ أمته كما أنه يعترف بواقع ما عليه العرب حين فزعوا إلى القومية العربية وانتزعوا من أنفسهم أن يكونوا أمة واحدة مسلمين عرباً وكل ذلك سلط عليهم بنزعة الوطنية وبسلطان الاستعمار الذي لم يف بعهد وإنما استوفى لنفسه أن يستعمر تركة الدولة العثمانية .

فإذا ما قلنا إن الملك عبد العزيز قد نظر بكل الحصافة إلى واقع العرب بعد الخلافة في ثلاثين عاماً . . لوجد إمبراطورية أمية لم تكن دولة خلافة . . بدليل أن واحداً من ملوكها هو الخليفة الخامس . . هو عمر بن عبد العزيز .

فإجماع الأمة انعقد على أن يكون ملك أمية الملك العضوض .

أخذه من قوله عليه السلام: «الخلافة بعدي ثلاثون عاماً . . ثم تكون ملكاً عضوضاً» .

وانتصرت شعوية الفرس على القومية العربية التي هي شعوية العرب . . قومية أمية . . فإذا إمبراطورية العباسيين لا يذكر أن واحداً منهم كان خليفة

راشداً وإن كان الملك الإمبراطور الذي اتسعت في عهده الحضارة الوسيط . .

فبنو أمية دولة الفتح العظيم . . وبنو العباس دولة الانفتاح العظيم .

وبعد أن اضمحلت إمبراطورية العباسيين ودال ملك العرب في الأندلس نبغت دولة بني عثمان «الأتراك» فلم يوصف أحد بأنه خليفة أول الأمر . . حتى إن محمداً الفاتح الذي أزال إمبراطورية الروم لم يعط هذا اللقب «الخليفة» ولم يطلبه .

غير أن السلطان سليم وقد اتسع له الملك حين ضم سائر العرب إلى الإمبراطورية العثمانية حلاً لبعض من أعجبوا به وعظموه أن يطلقوا عليه لقب الخليفة . . مع أنه من المؤكد أنه لم يدع ذلك . . فهذا ساطع الحصري الحلبي الصنعاني . . التركي . . العربي . . عراقياً ومصرياً أكد لنا أن السلطان سليم ما طلب أن يلقب بالخلافة . وإنما لقبه الذين يسترضونه أو الذين رضوا عنه .

فجاء العثمانيون بعده يحملون هذا اللقب .

فهذا الواقع في التاريخ . . يعرفه الملك عبد العزيز . . فلو ادعى الخلافة لا تهمه أعداؤه بأنه حارب خلافة بني عثمان ليكون هو الخليفة .

وانتصر يجمع الشمل . . يوحد جزيرة العرب أعني أغلبها في كيان كبير . . فإذا هناك من قال له: ناد بالخليفة فقال بكل اليقظة والحصافة: لا . . ولا فلماذا؟

إنني أتوقع وأنا على يقين أنه ما رضيها لأن استحالة إجماع العرب على بيعته وإجماع المسلمين على بيعته هي التي حين عرفها رفض أن

يدعي الخلافة. ثم هو بعد ذلك يعرف أن البريطانيين والفرنسيين ومن إليهم، وحتى الروس. . قد تكالبوا على دولة الخلافة العثمانية فمزقوها، لأنهم لا يريدون بقاء التكتل الإسلامي أو التكتل العربي. . فالبعثة لهؤلاء مكنت سلطانهم أن يرث التركة العثمانية. . فالعرب ما كان لهم حنين إلى هذا اللقب «الخلافة» والفرس ما دانوا لبني عثمان، وغرب السويس ما ندم على زوال الإمبراطورية العثمانية، وإنما كل الندم أن تقاسم كل الشمال الإفريقي الإنكليز في مصر، والإيطاليون في ليبيا، والفرنسيون على من وراء ذلك.

حين عرف أن المستعمرين يرفضون التكتل رفض أن يدخل في مشكلة. . غير أن مسلمي الهند هم الذين لم يحملوا على الاستعمار أن مزق الدولة العثمانية بل تحاملوا على العرب لأنهم أعانوا الاستعمار كما ادعوا على تمزيق الخلافة. . فأسسوا جمعية الخلافة.

ولا أدري كيف تخيلوا أنهم سيعيدون الخليفة العثماني؟

وحين زرت الهند قبل التقسيم وقبل زوال الإمبراطورية قال لي أحد الزعماء من المسلمين ومن العلماء الكبار:

- أنتم العرب السبب في بقاء استعمار الهند. . حين مزقت أيديكم سلطان الخليفة. وبكل الهدوء قلت له:

- هل تعتقد أن بقاء الخليفة العثماني «الرجل المريض» أن يخلص الهند من الاستعمار البريطاني؟ ولعلك لا تنسى أن تمزيق الأقاليم العربية بمعاهدة سايكس بيكو وبوعد بلفور. . لم يكن كل ذلك لأن العرب في طريق الهند. . فلو لم تكن قناة السويس الطريق المختصر مرور الاستعمار يظاً

جزيرة العرب كلها لما كان هذا الاستعمار للعرب .

فإمبراطورية الهند هي سبب استعمار العرب . . لا العرب هم السبب في استعمار الهند .

الملك عبد العزيز أبعد الخلاف عليه حين رفض الخلافة . . فلا العرب يبايعوه ولا المسلمون يناصرونه وتلك يقظة . . فالزعيم العظيم هو الذي يعرف قوته كما يعرف قوة من يخاصمونه .

رفض الخلافة فأراح واستراح . ولكن . . وبنوه الملوك من بعده وبالهوينا جعلوا من التضامن العربي قوة عربية . . أرادوها ولعلّ العرب ومن أجل الواقع والمصير يحرصون على ثباتهم وتضامنهم .

فزمن الإمبراطور قد ولى . . ولقب الخلافة قد انتهى فإن لم تكن إمبراطورية الملوك . . فليكن التضامن إمبراطورية الشعوب .

وبعد الدعوة إلى التضامن في نطاق الجامعة العربية أخذوا ينادون بوحدة الأمة الإسلامية في دائرة المؤتمر الإسلامي . . فإذا التضامن والمؤتمر صورة من الخلافة بلا إمبراطور . . فالإمبراطور هو الخروج من الواقع والعمل للمصير .

فما من عربي وإن تأقلم . . فإن مصيره هو مصير أمته العربية .

يرحم الله عبد العزيز بن عبد الرحمن .

دموع الجوع . . طهر العفة

وأخذ الفتى ابن التربة الغزلة يتحدث إليّ بفخر صامت لأستعرض فيه العضلات، وبصمت طاهر أبكاني مذ أضحكني . . فبعض البكاء دمة عين ولكنها بسمه فؤاد لأن بكاء الطهر الذي صان بكاء العفة يضحك الساخرين . . من أي مثل أعلى ويبيكي بدموع الفرح أفئدة الذين سخرهم الحب حين طهرهم الجوع .

فقد كان جوع لفتاة من سماها أخته واتخذها أخته حب كان جديداً عليّ . . أحب نفسه فأحبها حين ارتفع عن قهر الدموع قال لنفسه حين بكت وهي تأكل بشراهة: أهكذا الجوع يقهر العفيفة .

فحين خافت وهي العذراء أن تبيح نفسها من أجل لقمة الخبز بدأت تنوح كان بكاؤها الصامت صرخة هزتني . . صهرتني مذ قهرتني فطهرتني .

فهذا الفتى من أناس كل ضيم أصابهم جره الحب عليهم، وكانت الفتاة قد دخلت المكان صاحبه صديقان لها .

أعدوا طعام الغداء (رز بخاري ومنتو) مع أنهم في بلد ليس ذلك من طعام أهلها، وإنما هو طعام أهلهم .

كان مدعواً لهذا الغداء . . فلم يكذ يجلس ليشرب الشاي - (التلخ) يعني (شاهي مر بلا سكر) سكره تمر جلبوه من نخلة التربة الغزلة .

تربة العالية وقباء، لم يكد يشرب حتى شرب المفجأة.. حين دخلت فتاة نصف وأخرى من التحف وثالثة لم تعرف الترف.. غانيات لكنهن فقيرات، وجلسن على مائدة الغداء فإذا أخته التي لم تكن أخته بالنسب وإنما أصبحت أخته بروعة السبب ودمائة الحسب وعفة الطهر.

وبدأوا يأكلون لكن فئاته أكلت بشراهة كأنها جائعة من أمد طويل كانت تأكل وتبكي.

وأراد الثلاثة أن يقتسموا فقال الفتى: اتركوا الباكية قسمي.. فخافت وأجهشت فطمأنها يقول لها: لا تخافي أنت أختي.. وصدقته حين رأت عيناه تذرفان.

وترك المكان يأخذها معه.. قالت.. إلى أين؟ قال: إلى أمك وأوصلها إلى الحي، وكان حياً يحبه وإن لم يكن من أهله، وإنما هو من أهل الذين أصبحوا كل أهله.. في زقاق ضيق ودخلت بيتها فاستقبلتها أمها تسألها لماذا أتيت مبكرة.. أين مالك.. جيتي بدري ليه.. فقالت لأمها: يستأذنك أخي.. معه كل شيء.. فقالت أمها: من أخوك؟ فقال الفتى: هو انا. ووضع أمام أمها بضع نقوداً ولحماً وخبزاً وفاكهة.

قالت الأم: من أنت؟

قال: أنا عفتها.. أنا أخوها.. أنت أمي.. وأطمأنت الأم، ولولا الحياء لزغردت. وجلس برهة.. عرفته الأم وأكبرت حين رأت جبين ابنتها لا يتغضن من القهر.. بل رأت توردها.. فقد أصبح الفتى أخاها.. أطعم جوعها وصان عرضها. وما تركهم لما وهب أولاً.. بل أجرى عليهم بعض العون. وفي سنة قادمة ذهب إلى ذلك البلد وقبل أن يستقر زار أخته

فوجدها تستعد لعقد الزواج على ابن خالتها. وأخذت عنوان الفندق وفي اليوم الثاني تلفنت إليه:

- خطيبي عرف كل شيء عنك.. يريد أن يزورك.. فهل تستقبله؟
فقال بفرح شديد الحمد لله.

ووصلت إلى الفندق مع خطيبها فاستقبلهما ليقبل عليهما باحترام فالخطيب شاكر والخطيبة شاكرة، وإذا هو تذكر قول الجنيد.. الإمام الصوفي إذ سأله خاله: ما الشكر يا جنيد؟

فقال الجنيد: الشكر أن لا تعصي الله بنعمه وما ذكر ذلك إلا شاكرًا..
فما عصى الله بعين ولا بأي شيء، وإنما فعل الشكر عوناً لصيانة الطهر.

وأصبحت أخته حقًا أمام أسرتها.. بل وأمام أسرته حتى إذا تزور المدينة المنورة.. بيت أمه التي ولدته هو بيت أخته التي لم تلدها أمه، وإنما كانت وليدة الجوع أنطق الدموع فإذا الدموع ماء طاهر غسل القهر بهذا الطهر.

وانتهى حديث الفتى يقصها عليّ كأنما يجتر ذكرى عظيمة صنعها بالتوفيق أمدته الله به.. فلولا أنه من نبات الحب لما كان له هذا الحب بهذا الطهر.

صورة

وأخذت أجتر حديثه فإذا أنا مع الثالث من أصحاب الصخرة التي حبست رجالاً ثلاثة داخل الكهف، فأخذوا يتضرعون إلى الله كل وما قدم حين خشى الله.

أحدهم صان الأمانة، والثاني أرضى أبويه، والثالث وكان الفتى قد

اقتدى به . . رفع نفسه عن ملكته أمرها فأخذته خشية الله يرفع نفسه عنها ،
فإذا الصخرة تنفرج فرجة فرجة حتى كانت الفرجة الأخيرة بدعاء الثالث
الذي طهر نفسه وصان عفه من أحبها .

هذا الخبر في حديث صحيح يعلمنا كيف نخشى الله .

وقبل هذا الفتى ، وبعد ذلك الثالث أعرف رجلاً وكان في السابعة عشرة
من عمره مكنته حبيبته فإذا هو وقد اتقدت شهوته أخدمت الخشية تلك
الوقدة فنهض عنها يقول لها: أستري نفسك . . إني أخشى الله أن أفضحك .

حدثني بذلك وقد بلغ السبعين ، وهو يبكي من حرقه الحب لها .

لماذا أتستر عليه ، إنه كان أبي فإذا عمله دعاء لي .

من فقه التاريخ بشائر الفتح

والله رب العزة والجلال هو الذي أعز دينه ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. وبينما كان خاتم الرسل ولد آدم محمد رسول الله ﷺ وهو في القلة التي انتصرت أخذ عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه بالفتح العظيم يطمئنهم بأن نصر الله قريب لئلا يفزعوا من ردة ومن خلاف.

ولدينا الآن بشرتان عن فتح الحيرة زال به سلطان الفرس عن الحيرة وكاظمة حولها وشط العرب على الأدنى من حدود العرب.. كما هو عليه الصلاة والسلام بشر أصحابه بأن مصر ستفتح يطرد منها سلطان الرومان لتصبح نافذة الفتح لسلطان الإسلام.

فالحيرة قرأنا عنها في كتب السيرة أن النبي ﷺ بشر أصحابه أخبرهم بفتح الحيرة.. فإذا صحابي جليل يطلب من الرسول في قوله يخاطب النبي (ولي كرامة بنت عبد المسيح) يطلب بنت الملك أن تكون ملك يمين الله حين يأسرونها.

واشتد حصار سيف الله خالد بن الوليد ومعه المثنى بن حارثة الشيباني على الحيرة لأن ابن عبد المسيح لم يجد مدداً من الفرس، فمن نصر الله لدينه أن الفرس كانوا إقليميين يختلفون وليس عليهم إمبراطور في ذلك الوقت بوحدة كلمتهم. فالشقاق بين الفرس أصبحت المشقة على الحيرة.. فإذا هم يفاوضون للصالح. وكادت تتم المصالحة حتى إذا علم الصحابي واسمه

«شويل» بعقد الصلح أقبل على ابن الوليد أبي سليمان سيف الله خالد يقول له: لقد منحني رسول الله كرامة بنت عبد المسيح. وشهد الصحابة على ما قال: فإذا هو أحد المطالب من شروط الصلح. ولم يتم عقده وعلمت «كرامة» بالتأخير فسألت أباهما عن تأخير الصلح فأخبرها عن هذا الشرط أيتسلمك مسلم مسترقة إليه. فقالت بنت الملوك التي تشمخ بعروبته لخمية قحطانية: لقد رأني شابة فأعجبته ويحسبني الآن أنني على ما كنت عليه حين رأني. سلموني إليه وامضوا عقد الصلح فأنا كفيلة بالتخلص منه بما يرضيه. وتم الصلح وأمسك شويل رضي الله عنه بكرامة «الكرامة» فإذا هي تقول له: ماذا تريد مني؟ سأفتدي نفسي منك بما تطلب من مال. فاسترضته أبعد الله عنها وقد طلب مالا. فاسألوا المعجزة ماذا تطلب؟ وكم تطلب؟

أنطقته المعجزة أن يقول: أفتدي نفسك بألف. فقالت كرامة: «هذا كثير» مع أنه ورب الكعبة ما كان كثيراً على ابنة الملك، ولكنها الحصيفة التي تعرف العدد تقول: كثير. كثير. ليثبت على طلبه. فأبى إلا الألف. فتظاهرت بالرضا مع أنها كانت الفرحة. ولكنها بنت الملك.

وتسلم الألف وأطلق سراحها. حتى إذا وصل إلى أصحابه وعلموا بما كان قالوا له: أتطلب ألفاً بس؟ لماذا لم تزد. قالت المعجزة على لسان شويل: كنت أحسبه نهاية العدد. أنظروا إلى هذا الفاتح. صحابي جليل لا يعرف إلا أن الألف نهاية العدد.

حصرت المعجزة أن لا يقول ألفين أو أكثر. لم يزد يرفع العدد أو يثنيه.

إنها المعجزة، تفتح الحيرة لا يتعثر الصلح. تسترق «كرامة» لحظة يعتقها الله فإذا هو الإسلام يرحم عزة الملك فلا تهان ابنته كأنما «غوستاف لوبون» المفكر الفرنسي عرف هذا وما هو أكثر فقال: (لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب).

لقد فتح العرب في ثمانين عاماً أكثر من فتح الرومان في ثمانمائة عاماً فصحيح أنه الإيمان وليست الفلسفة وليس التطاول. وإنما هو طول الذين لم يتناولوا. وإنما كان طولهم الهدى والرحمة. ولو لم يعرف واحد منهم أن الألف نهاية العدد.

وعن فتح مصر. قرأت في حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطي آثاراً ثلاثة تبشر بفتح مصر وتوصي بأهل مصر. وكان تعليقي عليها إذا كان السن ضعيفاً والمتن ضعيفاً فإن الفتح قد تم والوصاية مطلوبة بأهل مصر وبغيرهم، فهذا الضعف قوي بما كان من مصر. فالفسطاط قاعدة الفتح والتعريب للغرب كله حتى الأندلس.

قرأت هذه الآثار كما أسلفت وما وجدت غيرها مما هو أصح منها، ولكنني في ليلة من هذا الأسبوع سمعت شيخاً يتحدث عن البشري بفتح مصر ويأتي بالخبر عن صحيح مسلم، حفظت النص بمعناه. وإذ عزمت أن أكتب فلا بد أن يكون النص في مبناه فتلفتت أستجدي منجدي شيخنا أبا تراب، فإذا هو يمليني النص حين رجع إلى المصدر ألا وهو صحيح مسلم. وفيه العجبية عن خير المعجزة عن موضع اللبنة يختصم فيه اثنان ليخرج أبو ذر حين صدقت المعجزة، وإليك النص وهو في باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر من كتاب: (فضائل الصحابة) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة وصهراً. وفي رواية استوصوا بأهلها خيراً فإن رأيت رجلين يتخاصمان أو يتقاتلان على موضع لبنة فأخرج منها. قال أبو ذر: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها».

وفتحت مصر وكان ذلك النصر، وتحققت المعجزة يختلف الفاتحون

على موضع لبنة يخرج أبو ذر لتصدق معجزة أخرى كما قال ﷺ: أبو ذر أمة وحده. يعيش وحده. ويموت وحده. ويحشر وحده.

إن هذه البشائر خبر عن عزة الإسلام، وفيها الخبر عن الشحاء تنتشر بين المسلمين حتى إنهم يختلفون على موضع لبنة، وما اللبنة: بضع قراريط ليست من قيراط الأفدنة وإنما هي من قراريط الدفين من الشحاء التي هي اليوم لن تنال من الإسلام فالإسلام عزيز، ولكنها نالت من المسلمين.

والخاطرة تسأل عما جاء من السيوطي: كيف لم يستند إلى حديث مسلم: هل هو جهل الكاتبين أن أملى عليهم أو أن تمايلوا عليه أو هم انصرفوا عن هذا الصحيح كأنما هم يتجنبون خبر الشحاء.

أما عبد الرحمن بن شرحبيل وأخوه فأبوهما أحد القادة للجيوش الأربعة الذين أمسكوا بنصر اليرموك حين تماسكوا في وحدة القيادة ينتصرون على الرومان ليخلصوا الشام كلها من سلطان الرومان في روما الشرقية عاصمتها القسطنطينية.

شرحبيل بن حسنة قحطاني من ألوية أبي بكر الصديق في حرب الردة ومن قادة جيش أبي بكر في فتح الشام. أما الثلاثة فعدنانيون قرشيون: أبو عبيدة، يزيد الخير ابن أبي سفيان، وعمرو بن العاص.

أما الذي قاد الوحدة إذ وحد الجيوش الأربعة فهو سيف الله أبو سليمان خالد بن الوليد. رضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ.

وهكذا فما ترك الأول للآخر من عظة وعبرة لما يتداركها المتأخرون فإذا هي الشحاء على موضع اللبنة. فالفرق واسع بين من لم يعرف نهاية العدد وبين الذين تشاحنوا على لبنة من المدد.

محمد عمر توفيق . . وإملاء الرافي

والرافي أبو السامي مصطفى صادق كاتب أشرق البيان على قلمه (نسيح وحده لا يذكر بأحد ولا يذكر به أحد) ولو كان الجاحظ كما هو وصف الأمير شكيب أرسلان له ولا هو كالمفلوطي يقبله والزيات له ومعه، وحين قرأناه بسط سلطان بيانه علي وعلى أخي الصديق محمد عمر توفيق ومن كان معنا ولنا فمن هنا ذكر الأستاذ محمد عمر توفيق في كتابه أن الرافي كان يملي مقالاته وما كتب، فإذا الأستاذ عبد الله مسلم ينفي أن الرافي كان يملي ما يكتب، بينما الأستاذ محمد عمر توفيق لم تخنه الذاكرة وما كانت لتخون مثلي فتلفن إلي من المدينة المنورة يسألني عن النص الذي ذكره الأستاذ سعيد العريان في الكتاب الذي ألفه عن الرافي (حياة الرافي) واحتفتل بالسؤال ليكون الإثبات على ما لدينا من ثبات وما عندنا من تثبت وفي ذاكرتي أن الكتاب (حياة الرافي) يوجد في مكتبي ومذ أعجزتني العشوى حجزتني على أن أفتش عنه في المكتبة فكلفت إحدى بناتي لعلها تجده وشغلت بذلك وما تشاغل غير أنها أيام مضت وهي لا تجده فأخذتني حسرة لعلها فقد من بين ما فقد من مكتبي الثانية، فالأولى فقدت في المدينة والثانية تفاقدت حين سكنت جدة وسألت المكتبات فلم أجده وفي لحظة مسعدة جاءتني الابنة تحمل الكتاب ما وجدته بارزاً في المكتبة وإنما وجدته داخل كتاب مجلد بينما هو كاد يذوب قرطاسه من وعثاء الزمان، فقلت لها إقرئي أريد النص

على أن الرافي كان يملي وبعد يومين تشاغلته عن عملها حيث أصبح شغلها أن تأتي بالنص فإذا هو كما يأتي ففي صفحة ٢٧٥ من حياة الرافي ذكر سعيد العريان ما يلي :

«ثم أملى علي مقالة كفر الذبابة يعني بها الحكومة التركية لبعض ما ذهبت إليه في شؤون الإسلام والعربية وهي آخر ما أنشأ من الفصول على أسلوب كليل ودمنة، وكانت مقالة كفر الذبابة هي آخر ما أملى علي من المقالات، وذلك في صيف سنة ١٩٣٥م ثم تهيأ للسفر إلى مصيفه في سيد بشر وتهيأت للسفر للقاهرة لبعض شؤون العمل المدرسي وانتقلت بعدها إلى القاهرة فكانت فيها إقامتي فلم أكن ألقاه أو يلقاني إلا ساعات كل أسبوع فأسبوعاً أزوره في طنطا وأسبوعاً يزوروني في القاهرة. على أن الرسائل فيما بيننا لم تنقطع حتى يناير ١٩٣٧. قبل موته ببضعة أشهر ثم تجافينا لشأن ما. فما التقينا إلا مرة واحدة قبل موته بشهرين وكان آخر مجلس لنا في قهوة (بول نور) بالقاهرة مع الأصدقاء شكر وزكي مبارك وكامل حبيب والسيد زيادة. ثم افترقنا بعد منتصف الليل وفي نفسي منه أشياء ص ٢٥٨».

«لم يمل علي الرافي شيئاً بعد مقاله كفر الذبابة ولكنه طلب مني أن أنسخ له صورة من مقال كان نشره في المقتطف قبل ذلك بسنوات عنوانه سر نبوغ الأدب».

«ثم توالى مقالات الرافي يمليها على نفسه ويكتبها بخطه على أنني بما كنت ألقاه وبما كان بيني وبينه من الرسائل إلى ما قبل موته بأشهر لم يفتني أن أعرف دوافعه إلى كثير مما كتب) ص ٢٨٦».

فهذا النص فيه الإثبات لما ذكره الأستاذ محمد عمر توفيق أي أن الرافي كان يملي وإن كان أحياناً يكتب بيده، وأي عيب في الإملاء فتراثنا

الذي ورثناه عن الرواية كان إملاء لسان ينشد شعراً يقرأ خطبة يحكي حكاية تسمع ذلك أذن رواية الأصمعي مثلاً ومن إليه فيرويهها يرثها واحد عن واحد حتى انتشر القلم كان التدوين، فديوان العرب وحتى السنة شرف كل منهما الإملاء فكتب الصحاح يتلقاها حفاظها بأسلوب الرواية حتى عصرنا الحاضر، فبعض علماء الحديث رغم أن الصحاح طبعت كان يفخر بحفظه وروايته. ولكنني عجبت مما كتبه العريان ففي النص الثاني وذلك قوله (ثم تواتت مقالات الرافعي يملئها على نفسه ويكتبها بخطه) فالذي فهمته أن الرافعي وإن خط بقلمه على القرطاس كان يعجبه الجرس فيملي علي نفسه ليخطه بخطه على الورق، ولعلني أفسر ذلك أن الرافعي لم يكن الأصم المطبق بل كان فيه بعض الصمم فيحب وهو ذو البيان أن يسمع جرس الكلمة التي يكتبها وبرهاني أنني ولست المكاثر المفاجر بأني أستعذب الإملاء لأسمع الجرس فاللغة الشاعرة ذات جرس لقد كنت أملي وأنا أستطيع أن أخط بيدي قبل العشوى لكن الارتجال ونغم الجرس هو الذي حملني أن أملي فلا أريد أن أحمده عن هذا التفسير ولكن ما هي الجفوة التي وقعت بين سعيد العريان وأستاذه؟ أهو شعور الرافعي بأن سعيد العريان لم يكن كما كان معه . . جرفته الخصومة بين الرافعي وبعض الذين يخافهم العريان فالدكتور طه حسين يخيف ومحمد سعيد العريان لا بد أن يخاف طه حسين ويخشى العقاد فالخوف من الدكتور طه على المركز والخوف من العقاد من قسوة العقاد إذا ما غضب، ظن استملحه ولا أجرح به العريان فقد خضع زكي مبارك لمثل هذا الموقف ولكنه ما تخاضع ولعلّ العريان خاف أكثر من خوفه من طه حسين من سيد قطب يرحمه الله فقد كان قبل زعامته في الإخوان المسلمين نصيراً للعقاد خصيماً للرافعي . وأخيراً ولتمام الكلام فالرافعيون في مصر ثلاثة تنسبهم إلى الفاروق عمر وحسبهم إن كان واحد منهم ذو مكانة أمين الرافعي صاحب جريدة الأخبار التي ترملت

بالخصومة فأنشأها مرة ثانية بإجازة أحمد ماهر للتوأمين اللذين مصرا الصحيفة المصرية علي أمين وأخوه مصطفى وعبد الرحمن الرافي أخو أمين مؤرخ القومية عضو الحزب الوطني الذي لم ينضم إلى الوفد وقد دعاه الزعيم سعد زغلول فما رفض عبد الرحمن الرافي مبادئ الوفد ولا تنقص زعامة سعد وإنما الواجب ألا يكون في صف من خاصم أخاه أمين مصطفى صادق صاحبنا في هذا المقال هو ورقة ورد في بيان اللغة الشاعرة تمصروا بصهر مصر التي صهرت شوقي ورامي بينما هم من طرابلس الشام فنشأتهم وهم أبناء القضاة مصرتهم بسرعة لم تكن لغيرهم من هذا القبيل .

وما دمت بصدد الجفوة بين الرافي والعريان فقد وجدتني أعتذر باسم العريان لأنه وقد انقلب ظني إلى يقين جعلني لا أشدد على العريان لأنه خشى من الهجاء المقذع الذي كتبه الرافي في كتابه (تحت راية القرآن) فالهجاء المقذع في قوله يهجو طه حسين (خنفساء ذات لون أبيض) أو الهجو بقوله (ولعلّ الإنجيل في شفاعة زوجتك المسيحية) إن الرافي في هذا الهجو المقذع لم ينجح في رده على طه حسين فالذين ناضلوا طه حسين يوم مارس الشك في الشعر الجاهلي كانوا الأديب والأزهري والمحامي والكيميائي الأديب الأستاذ الرافي ما صنع شيئاً والأزهري الخضر حسين في رده (نقد كتاب) لم ينتصف من طه حسين والمحامي لطفي جمعة في كتابه (الشهاب الراصد) قد أنصف نفسه وأقرب من أن ينتصف من طه حسين أما الذي انتصف ونصر الرواية وديوان العرب فهو صاحب النقد التحليلي نقد عالم لبس الأدب بروح منصفة فالهجو المقذع من الرافي لا بد وأن أخاف العريان . فحرم من متعة التلقي لأنه ما استطاع أن يلقي بنفسه في هذه المخاطر .

مع الأستاذ الرفاعي وعن الرحلة الحجازية وجدة

وفي المقال الطريف الذي كتبه قلم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ونشر في جريدة الجزيرة عدد ٦٣١٨ بتاريخ ١٨/٦/١٤١٠هـ. دعيتني الصداقة أن أكتب تعليقاً كحوار معه، فعن قيس كتبت إلى جريدة الجزيرة. . أما عن الرحلة الحجازية فأجلت الموضوع لأنشر التعليق في جريدة المدينة المنورة التي لربما يقرأها أهل جدة أكثر من قراء الجزيرة لأن موضوع الأسر في هذا البلد لم أحط به علماً يستأهل التعليق فأخذت أستخبر وكان سندي في ذلك الصديق الأستاذ عمر عبد ربه فهو من أهل جدة أكثر معرفة مني.

فالرحلة الحجازية ذكر عنها الأستاذ الرفاعي هذا النص:

ومما قرأت ودونت في (كناشتي) خبراً رأيته في رحلة مخطوطة أو هذا حد علمي بها للشيخ محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي هي «الرحلة الحجازية» ضمنها وصف خروجه للحج من قريته ولاته، ففي شهر رجب سنة ١٣١١هـ أي منذ مائة عام. وبعد أن استطرد ذكر هذا النص وهو ما يعينني من هذا النص فدخلنا جدة صباحاً فنزلنا دار «الجمجوم» وأحسن إلينا أتم إحسان أنزلنا في مكان طيب وأضافنا أحسن ضيافة واجتمعنا في جدة بالسيد الأكرمين محمد والطاهر ابني أحمد المشاط فأكرمانا وحملانا على البابور إلى ينبع تطوعاً وتوسطا لنا في أن كتب لنا عمر أفندي نصيف إلى

وكيله في ينبع أن يحملنا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وهو الشيخ سعد ابن المخرج بن محسن، أن يحملنا من المدينة المنورة إلى ينبع إذا أردنا الرجوع ثم ذكر الشيخ التلمساني كما ذكر محمد غلوم وأتحفنا بنصف «لويزة» وذكر عبد العزيز جمجوم وعطاه لهم خمسة ريالات.

كل هذا الذي جاء به قلم الأستاذ الرفاعي حملني أن أسأل عن الذين ذكرهم وجاءت الإجابة من الأخوين الصديقين عمر أحمد الهزازي معيناً للصديق عمر عبد ربه فأنشر الإجابة هذه بنصها وهي بقلم الأستاذ عمر عبد ربه هكذا.

هو أحمد أفندي مشاط كان وكيلاً لبيت السقاف الذين يوردون الأخشاب حتى ترعرع اسمهم وكبر وكانت لهم دار سميت «مربعة» المشاط معروف مقرها في طريق النزلة بما كان يسمى «القوزين» وبجانبها «صهريج» لحفظ ماء المطر يسمى صهريج جدة. كما أن لهم داراً في البلد وهي المعروفة الآن «بدار الحفني» اشتراها منهم الشيخ نصيف ثم باعها على عمر حفني وانتقلت إلى ورثته من بعده وكانت «المربعة» المذكورة ملتقى لكبار التجار يقضون فيها سهراتهم. كما يقضي فيها أيضاً بعض الأوقات من كانت لهم إجازات سنوية من بعض الموظفين والتلامذة. . أي أنها منتزه بدون مقابل أو أجر. . ومن هذه العائلة آل المشاط في مكة المكرمة ومنهم القاضي الشيخ العالم حسن مشاط والله أعلم.

بيت الجمجوم

أما بيت الجمجوم عائلة عريقة في جدة يرجع تاريخها إلى عام ١٢٨٠هـ وهم تجار من القديم ورأس العائلة هو الشيخ عبد الرؤوف

جمجوم بن عبد العزيز ثم يليه محمد صالح ثم عبد المجيد ثم محمد ثم حسن ولهم أخت واحدة فقط اسمها «الست عزيزة» كانت حراماً للشيخ إبراهيم رضوان وكانت لهم تجارة واسعة في استيراد الأوراق والأقمشة وقد اشتهروا بالصلاح والتقوى وكانت دارهم والتي لازالت باقية حتى الآن أشبه «بمضيافة» وكل من كان يقدم من «الشناقطة» يسكنون في مقر بجانب البيت وتقدم لهم كل التسهيلات من أكل وشرب وما إلى ذلك . . ولما أصبحت مدارس الفلاح بحاجة إلى «نظارة» قام مؤسسها الحاج محمد علي زينل يرحمه الله بإيكال النظارة للشيخ محمد صالح جمجوم وكان يتولى صرف الرواتب والمصروفات حتى توفاه الله .

نبذة عن بيت علوم

أحمد غلوم - وصالح غلوم أصلهم نواخذ - أي بحاره «يقودون السفن» وكانوا يملكون أكثر من سبعين «سكونة» والسكونة أكبر من الساعية وهي التي كانت تحمل البضائع بحراً وكانوا ينقلون عليها «القنديل» والأخشاب والبضائع من الهند وزنجبار ثم استوطنوا بعد ذلك جدة وأقاموا بها. . وأصبحوا من التجار يستوردون الرز المزة والهورة. . ولكن ليس لهم أي نشاط اجتماعي. . وتركوا داراً قليل إن بها ذهباً مدفوناً لم يعثروا عليه حتى الآن وقد كان شخص يسمى أحمد ريري له صلة قرابة بغلوم يتعقب موضوع هذا الذهب بكل الطرق كي يتعرف على المكان «المدفون» فيه وصرف أموالاً كثيرة في هذا السبيل ولكن لم يتوفق على شيء حتى توفاه الله ولا زالت الدار باقية في موقعها حتى الآن بعد أن أصبحت «أطلالاً وخرائب» بعد أن اشتراها السيد حسن شربتلي ولم يعرف مصير الذهب حتى الآن.

ويحلو لي أن الشيخ التلمساني الذي ذكره هو فإما أن يكون جد الشيخ التلمساني المشهور في مصر أو هو أبوه فالشيخ التلمساني الآن الذي تثار حوله الضجة هو من أهل جدة لأنه الخال لأخينا عبد المحسن الطرابلسي وبيت الطرابلسي من أعيان جدة أخوال بيت الزاهد فإن لم يكن الخال للطرابلس الذي ذكرت فإنه الخال لابنه أما ذكره الريال فلعله ريال ماري

تريزة إمبراطورية النمسا المشهور بالفرنسي انتشر في شرقنا من حملة نابليون وإلا كان ريالاً عثمانياً لكان مجيدياً أو حميدياً أما الرشادي فلم يكن في ذلك الوقت ومعنى نصف اللويزة . . فاللويزة تعني «الجنيه البنتو الفرنسي» فأهل المغرب حين تعاملوا به نسبوه إلى الإمبراطورية لويس أي لويس طبع الجنيه ففي عهده فذلك جنيه لويس انقلب إلى لويزة وهو الذي انتشر في شرقنا كالريال الفرنسي من حملة نابليون وصل إلينا قبل الجنيه الإنجليزي وشاركه في هذه القبلية عن طريق العثمانيين الجنيه العثماني والجنيه المسكوفي أي الروسي وقد عرفتها كلها حين وجدت لدينا في المدينة المنورة لويزة الجنيه البنتو الفرنسي وحين تم للإنجليز استعمارهم لما استعمروا أصبح في حكم العدم أو هو العدم كله وجود المسكوفي واللويزة كما لحق العدم العثماني فإذا الجنيه وتسميه قبائلنا الفرنجي هو الإنجليزي سواء كانت عليه صور الإمبراطور جورج أو الإمبراطور إدوارد. لقد انتشر الجنيه الإنجليزي في الحجاز حين اشتعلت الحرب العالمية الأولى فقد قال المستر جورج يتحدى الألمان «إنهم يحاربوننا بعيارات من الحديد ونحن نحاربهم بعيارات من الذهب، وحين ثارت القبائل كان نشيدها».

ليلة السبت جاء علم وراح

ركبت الخيل والسبع القبائل

والفرنجي على مشروبها

إنها ستة ملايين جنيه إنجليزي ضاعت في أقل من ثلاثة أعوام وهكذا وجدتني أعقب ولا يفوتني أن أذكر بما كان لعبد الرؤوف جمجوم ومحمد صالح جمجوم وصلاح جمجوم من رعاية لمدرسة الفلاح فلا ينكر أحد أنهم كانوا الدعامة والحدب والرعاية ويرحم الله الجميع .

تَعَبُ كُلِّهَا الْحَيَاةُ

وقرأنا دارسين أو معجبين القصيدة الفريدة لأبي العلاء المعري، هي من
الغرر في ديوان اللغة الشاعرة، كما أن أبا العلاء غرة في جبهة الشعر
فالقصيدة هي ومطلعها:

غير مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرْنَمُ شَادٍ

ومنها هذا البيت:

تَعَبُ كُلِّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَدَّ جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ

ففي أيام الشباب وحتى إذا اكتهلنا نعجب بهذا البيت. ولكننا نطلب المزيد
من الحياة.. لا نستعجل الموت ولا نكاد نتذكره، غير أننا نلعب بأنفسنا. نباهي
بأننا لا نخاف الموت حتى إذا مسنا مرض أخذنا نحارب سبب الموت.

كم هو الإنسان يكذب على نفسه بالأمانى المستحيلة والأمل البعيد،
والحب الذي إن كان في نفس الإنسان عذاباً. فإنه كائن في نفس الإنسانية
تعذيباً لحبيبتها ولنفسها. وقد يستحلي الحبيب العذوبة من العذاب. ولكن
الحبيبة لا تجد إلا أنها صانعة العذاب.. صانعة العذب، فهي التعب في
الحياة.. وهي التي يرغب الحبيب الزيادة من حبها.

وحين وصلت إلينا الشيخوخة، أصبحنا لا نعجب بهذا البيت.. لا نريد
الزيادة ولا نستعجل النقص إنما هي الاستراحة من ذكر الموت والخوف منه

ومن ذكر الحياة والرغبة فيها، حتى إذا سألت شيخاً مثلي قلت: كيف أنت وتعب الحياة؟ قال: حين كانت الكحلاء، اكتحلت أحلى؟ أما اليوم فأنا أعيش وصاحبتي كهلة، والحياة مع الكهلة حلوة حيناً ووحلة حيناً. يوم كنت أغوص في طين العقيق لم يكن وحلاً. لكن شيخوخة اليوم إذا وطئت التراب اليابس حسبته وحلاً.

إن الحياة تعمر بها الأرض والموت حياة جديدة في الآخرة وقد أعرب عنها المعري في هذه القصيدة بقوله:

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَاذِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
وهكذا، أحسبني قد كتبت صدقاً واحترفت كذباً.

صورة

والحب قد لا يكون صداقة أو قد يكونها، لأن الحب عاطفة أكثر من عقل، فهو نفس وتنفس ليس فيه حساب كل الجوارح، وإنما هو حساب بعضها (وأسأل مجرب ولا تسأل طبيب) فالجوارح المحبة معروفة.

أما الصداقة، فعقل أكثر من عاطفة، تعظم بصدق الجوارح التي تساند وتعين ولا تعاند ولا تخون في الصديق وعقله وفؤاده، كلها وما إليها. . تصدق مع الصديق لحساب الصداقة.

وأبت تلك الصديقة المغتربة عن الوطن إلا أن تذكر صديقها مذ أصبح غريباً في الوطن، جمعت بين عقلها وعاطفتها ليستحيل بما كتبت إليه عاطفة دون عقل.

الغربة عن الوطن كرب، والغربة في الوطن مأساة، كان حينها أنيناً فأصبح أنيناً حيناً، فالأنين واقعة والحنين هربت به الغربة في الوطن.

إسرائيل . . الزولو بعد الفلاشا

ولست أعتسف قومي العرب أبخل عليهم بثناء أو أتسافه عليهم بهجاء . فالشاتم لقومه شاتم لنفسه . . لحاضره ومستقبله فإذا ما كتبت عن اليهود كواقع له جذور في القدم حافظوا عليها تفرعت له فروع في الجديد ما زالوا يحتفظون بها، فقومي العرب شعوب، أما اليهود وأن تبعثروا في أي بقعة من الأرض فإنهم شعب واحد وزعامة واحدة وهدف محدد وتخطيط ملزم وتنفيذ ملزم . . وليس هذا ثناء عليهم وإنما هو تقرير واقع يمكن للمقارنة أن تعطي القوة لمن استأهلها والضعف لمن تأهل لها . .

فإسرائيل حين بدأت الهجرة المعاكسة منها إلى أقاليم أخرى وحين قلت الهجرة الوافدة ومن الاتحاد السوفيتي بالذات فكرت في عملية التعويض فاشترت اليهود الفلاشا ولا أعني أن الفلاشا باعوا أنفسهم، وإنما باعهم إلى إسرائيل سماسرة قبضوا الملايين وهكذا إسرائيل تنفق الدولار في مكانه، فاليهودي بخيل لا يبعثر ماله واليهودي بخيل لا يبخل بمال لتحقيق الهدف ولغرض الطغيان . هجروا الفلاشا إليهم يهود يحتضنون اليهود يستكثرون بهم مدداً لبناء المستعمرات وطعاماً لسلاح المقاومة فالمال الذي أنفقوه من أجل الفلاشا لم يذهب سدى وإنما أدى مهمته آلاف من اليهود يكثر بهم سواد الإسرائيليين في فلسطين . . والتفتت إسرائيل تريد أن تخفف الضغط عن

حكومة البيض المتعنصرين في جنوب إفريقيا لأن إسرائيل حليف للبيض المتغترسين على الأفارقة فالهدف هو مساعدة بريتوريا والتخطيط هو أضعاف المقاومة من الأفارقة ضد حكومة جنوب إفريقيا وبقي التنفيذ . . فكروا فإذا هم يلتقطون زعيم قبائل «الزولو» يستقبلونه . . يعدونه بأنهم سيضغطون على البيض لإنصاف السود.

إن قبائل الزولو كثيرة محاربون يخشى خطرهم على البيض فإن لم يتحركوا اليوم لنصرة مواطنيهم فلربما سيجدون من يحركهم من الأفارقة الذين صدقوا عهدهم مع إخوانهم فاعتزمت إسرائيل بحركة التفاف أن تطرق المقاومة الإفريقية تستجلب زعيم الزولو لئلا يتحرك ضد جنوب إفريقيا . .

براعة من هؤلاء اليهود يسجلها الواقع رغم أنه واني لأعجب من بعض المعلقين الأمريكيين فقد كتب أحدهم يقول كيف تمت الصداقة إلى درجة الحلف بين حكومة جنوب إفريقيا العنصرية وبين الإسرائيليين الذين ذاقوا من عنصرية النازية التحريق والعذاب . . إن هذا الكاتب أحد اثنين إما أنه مخدوع أو مخادع فاليهود عنصريون من اللحظة التي جاءوا إلى أبيهم إسرائيل عليه السلام فقميص يوسف صبغوه بالدم الكذب . . لقد تعنصروا على أخيهم فأذاقوا أباهم مرارة الحزن حتى أبيضت عيناه وأذاقوا أخاهم عذاب الجب . . إلخ . . ما هنالك .

إن العلاقة بين إسرائيل والبيض في جنوب إفريقيا علاقة عنصرية ومن المؤسف حقاً أن بعض الرؤساء الأفارقة بدأ يتعامل مع إسرائيل كدولة صديقة بينما هي الحليف المؤيد بكل أسلحة التأييد يقتل الأبيض فيها الإفريقي . . قاطعتم إسرائيل من أجل العرب فكيف تتصلون بها والأفارقة يقتلون . . تدعو زعيم الزولو تمنعه من التحرك إفريقيا يناصر إفريقيا ولكن

لعلّ هذا يشير بعض الأفارقة يتحركون نحو قبائل الزولو يطلبون منهم نصر أهلهم وفي هذا خطر على الزولو يفترقون وأمر لا بد منه لإحباط مكيدة اليهود.

أمثلة

وما دام الشيء بالشيء يذكر وعن براعة اليهود فلنحاول الحوار مع الأمثلة التي ضربت تذكيراً للعرب من إخوانهم العرب، فالمثل بأن دول السوق المشتركة تجتمع وهم على خلاف، يتفاوضون فالخلاف لديهم لا يمنع اجتماعهم.. يتفاوضون على سعر الطماطم والبطاطس - يعني على المصالح - وقد سبق للفيلسوف البريطاني راسل أن قال: إن الخلاف على المصالح يحل بالمفاوضات وضرب مثلاً إذ قال: لن تقع حرب بين موسكو وواشنطن لأن خلافهما على المصالح فموسكو وواشنطن في كل لحظة تتفاوضان وسيكون لهما مؤتمر قمة عن قريب..

والمثل الثاني قالوا إن المنظمة الأفريقية يجتمع رؤساء دولها في قاعة واحدة يجري بينهم حوار وتتسع المفاوضات وليس خافياً أن الخلاف بين الأفارقة أو الاتفاق هو أيضاً على المصالح لمقاومة القحط والجفاف لصلح بين فريقين وما إلى ذلك.. أما العرب فالخلاف ليس على المصالح حتى تتم المفاوضات وإنما هو وليس أيديولوجياً شيء يستعصي على المفاوضات (أنا ومن بعدي الطوفان).

والمثل الذي أضربه هو في براعة اليهود، لا يعقدون مؤتمراً ولا يتفاوضون، فاليهود في إنجلترا أو في فرنسا أو روسيا أصبحوا منقادين للزعامة اليهودية في نيويورك أو في الولايات المتحدة على العموم فلا حاجة للاجتماع ولا ضرورة للمفاوضات.. هدف محدد وتخطيط محدد وتنفيذ

ملزم ووحدة كاملة بين اليهود. شعب واحد وحتى الخلاف بين شامير وبيريز ما هو إلا خلاف مذهري لقتل الوقت ولوضع الضاغطين على إسرائيل أو المفوضين في حيرة وتردد. . الخلاف بينهما عن تخطيط ولهدف لا عن شيء آخر.

صور

وأكبرت دار الإفتاء في مصر كما في السودان أن أعلن عدم تحديد عيد الأضحى برؤية يستطلعونها، تركوا ذلك التحديد لا يكون إلا تبعاً لوقفة في عرفات عمل مشكور ولا بأس أن أذكر شيئاً وقع. . كنت في مصر وفي مكتب سفارة المملكة العربية السعودية وكان السفير يومها إبراهيم السلیمان العقيل يرحمه الله فقال لي: إنهم ينوون أن يكون عيدهم على خلاف يوم العيد عندنا. قلت: تحرك اذهب إليهم. ذكرهم أن عيد الأضحى ينبغي أن يكون واحداً لدى المسلمين في كل الأفكار تبعاً لوقفة عرفات وقام فعلاً. . أو هو فعل ذلك قبل أن قلت فتمت وحدة العيد وهي الآن تعلن هذا التمام. .

والشيء بالشيء يذكر في عصر الصحابة وبعد الخلفاء وفي مكة كان في حسابهم ورؤيتهم أن اليوم الذي وصل فيه الصحابي المغيرة بن شعبة من الطائف أميراً من قبل معاوية بن أبي سفيان في دمشق. . كان ذلك اليوم يوم التروية عند أهل مكة وفي الناس عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه وعن كل الصحابة أجمعين.

قال لهم المغيرة أو هو أمرهم: اليوم ليس يوم التروية إنه يوم الوقوف هيا إلى عرفات، فسمعوا وأطاعوا وفي الناس يومها عبد الله بن عمر. السمع والطاعة قطعت الخلاف وليس هناك خير في الخلاف.

تحديد الحجيج وعودة الذاكرة

وبرز لإسلام، يجتمع وزراؤه في عمان، يمثلون مؤتمر المسلمين، يمثلون بأمر الإسلام، فإذا قرارات تصدر طابعها الأمل تناشد الأمل.. نصها - الذي أكتب عنه - هو التحديد لعدد الحجيج على كل شعب مسلم من أمة مسلمة، يؤدي الحج عدد محدود بنسبة ما تعرفه الدولة عن عدد سكانها، أو ما تعرفه صاحبة الشأن عن عدد دولة تكثر نسبة الحجيج منها، إلى آخر ما هنالك، بل إلى السبب إلى ذلك.

صدر القرار، فالمسلمون أمة واحدة، فلا يرضى إسلامها أن تكون شعوباً، ولكن من اتخذ لنفسه أن يكون هو الوحيد لأسباب شتى يعوزها النسب ويخجل منها السبب ويضيع بها الحسب، فأبت - بوحى الكهنوت الإيراني - أرض سيبويه وابن المقفع، بل التي ولد فيها أحمد ابن حنبل، أبت الأرض مقهورة بالقاهرين، فرفضت قرار الإجماع، وللذكرى، كنت أدير الحج في جدة، وكان على الحجاج رسوم معروفة حينذاك فرضت لأداء الخدمات، فلم تكن أتاوة كما سبق ولم تكن خفارة كما اتسق، يوم كان يدفعها الحجيج، كانت أول الأمر في عهد هذا الكيان الكبير بل عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن الملك البطل تؤخذ من الحجيج، وكنا نأخذها بطاقات لأنها دفعت هناك، وفي لحظة بارقة أصدر الإمام السلطان الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن أمره يلغي الرسوم، لا يؤخذ من الحاج شيء، فالحاج حر هو الذي ينفق على نفسه، وكنا يومها في عجز من قلة السيارات - كما ذكرت من قبل - فأطرقت أقول لأكثر من واحد: انتظروا الكثرة الهائلة في العام القادم، فماذا سنصنع؟ سؤال البشر، لكن الأمر قد تغير، فإذا السيارات تكثر وإذا الطرق تعمر، بل حتى الذين وصلوا إلى أطراف السياج حملتهم الطائرات ليؤدوا الحج.

لقد صنع عبد العزيز وأبناؤه، كل ما يريح الحجيج .. الأمن .. سعة السكنى .. اتساع المسجدين .. سداد بعض الدين إذا احتاج الحاج .. صدقات الماء .. رعاية ليس بعدها رعاية ولا كانت قبلها ..

إن التحديد كان ضرورة، تخييره المؤتمر بديلاً عن منع العابثين الذين يكثرون ويتكاثرون فالمملكة إذن ستمسك هذا القرار رادعاً للعابثين وديعاً هادئاً للصالحين.

وجاء القرار نصراً للإسلام، قبل أن تنتصر به المملكة العربية السعودية، وهنا تحسن المقارنة، فهل المملكة العربية السعودية بالحرمين والسياج (لا يتخطف الناس من حوله) هي في هذا الوضع وبالنسبة للحج تمثل الإسلام؟ نعم، إنها تمثل الإسلام الدين الحق لا يهزم بالعدوان عليه وإنما ينتصر على من اعتدى للضلالة التي هي وزاع العدوان.

الإسلام لا يهزم (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) ويعني ذلك أن المسلمين حين اجتمعوا في عمان، غضبوا من الفجور فحاربوا الفجور ..

أنيشتاين والحجارة

وأبى قلم من أملي عليه أن يكتب (أنيشتاين). فهو - وإن كان يهودياً - ذو المكانة العلمية فالحضارة الوسيط ما سألت عن ملة أبو قراط وأقيليدس وجالينوس وسقراط وأرسطو وأفلاطون، وإنها اليوم لا تسأل عن ملة أنيشتاين ونيوتن ومن عليهما، ولكن ورثة الحضارة الوسيط (أمة العرب) لا بد أن تسأل عن الذين يقتلون أطفال الحجارة، لأن ملتهم اليهودية هي الحقد عن التلمود هي الفعل (لسايسيكو) هي المنفذ لوعده بلفور هي التي تعيش على دافع الضريبة الأمريكي أو على الأتاوة التي فرضت على من خدروا بعقدة الذنب.

لقد رجع شامير، ولا نتهم بالضوء الأخضر، وما ابتسمنا للضوء الأحمر، والتقينا إلى الشرق، فإذا هو الضوء أصفر لايزال، أي كل الأضواء أباحت لشامير أن يمارس الضغط لأي خطوة سلام.

أما أنيشتاين، فقد مات ولم ير سلاح الحجارة، مع أنه قد حذر منه، أو كان يعلن خوفه على هلاك الإنسانية من القنابل النووية، أو لعله كان يحرض بها، لأن حقد التلمود والبروتوكولات ليس مهمهما إلا هلاك الإنسان.

قال أنيشتاين (لو قامت حرب عامة ثالثة، سلاحها القنابل النووية،

لذهبت المدنيّة والحضارة ولدفن العلم، وإن بقي إناس فسوف لا يتقاتلون إلا بالحجارة) هذا قوله، ولكن الحجارة أصبحت سلاحاً رابعاً. فهي القديم والجديد في وقت واحد. عطلت القنابل النووية، وفضحت الأسلحة الكيماوية فالحجارة كأنها سلاح اليوم ليست في أيدي فتیان فلسطين، بل هم أيديها لتكون سلاح الكوريين والإيرلنديين.

إن سلاح الحجارة مازال ينتظر عريباً بطائرة شراعية أو بنتاً اسمها سناء تفجر خمسين يهودياً ليسوا هم أكثر من الستة يهود الذين قتلهم صاحب الطائرة الشراعية. . ولكن، هل هم اليهود وحدهم؟ أم هم الذين يقاتلون معهم بالضوء الأخضر والضوء الأصفر وأضواء اللسان في أصحاب المصانع أصحاب الصادرات؟ أم الذين لا يقاتلون معهم ينتظرون فعل الحجارة وشجر الغرقد.

صورة

لم تكن واقعاً، ولم تكن حقيقة، ولكنها أنين الحنين من الحرمان، وحنين الأنين من الحرمان، ترفيهاً عن القارىء وترفاً من الكاتب (وحاكي الكفر لا يكفر).

سألتها قبله يوماً وقد نظرت. شيبني، وقد كنت ذا مال وذا نعم فأعرضت وتولت وهي قائلة:

لا والذي أوجد الأشياء من عدم ما كان لي في بياض الشيب من أرب

أفي الحياة يكون القطن حشو فمي؟

كما أكتب عن سماحة عبد العزيز يوم وصل إلى المدينة المنورة في زيارته الثانية، فالصورة الأولى ما كاد يجلس ينظر في تنظيم الشؤون ليعرف

كل شيء من المخلصين إليه الذين صدقوا عهدهم معه، وصادقوا تعهدهم بالنصر له، وهم كثر فمن نعمة الله عليه قبل أن يكون الملك.. منح الله الحظ يقتنع به كل من قابله وكل من استقبله. فهو كإنسان مقنع. يرضى بصدق ما سيفعل. وبصدقة الذين فعلوا معه.

وصل إلى المدينة فإذا عرائض الشكوى من الحلاق، وبائع الفحم الكنفاني وغيرهم.. كلهم يشكون من رجل ليس سعوديًّا تصنع الصمم والخرس ويخرج على الناس في أحسن بزة إذا ذهب إلى الحلاق يمنحه جنيهاً من الذهب لا نصف ريال يفعل ذلك مرة وأكثر يتظاهر بالشراء ويشترى الكنافة بجنيهاً من الذهب هي أكثر من ثمن التبسي مرة أو مرتين، ويشترى الفحم كيساً بجنيه من الذهب، أو بأكثر فشاع أنه الثري المتصدق، ويمتنع عن الحلاق أياماً فيسأله:

طال شعرك لماذا لم تأت؟ فيقول: الأولاد ما أرسلوا الفلوس. فيعطيه الحلاق أكثر من سبعين جنيهاً، وكذلك مع الكنفاني فوسع عليه الكنفاني بأكثر من ثلاثمائة جنية حتى تصل الفلوس الذهب، من بائع الفحم أخذ أكثر من سبعمائة جنية لأن عطاءه الأول ذهباً خدع به هؤلاء، ونظر الملك عبد العزيز في هذه الشكاوي فأمر بترحيل هذا الأصم دون أن يأخذ لهؤلاء ما شكوا عنه لأنهم طمعوا وهو نصب حتى بلغ دين الطامعين ١٥٠٠ جنية ذهباً.. فكان جزاء الطامعين بهذا الإغراء نفي الافتراء، فالنصاب من رعية دولة عربية.

ومن حصافة الملك عبد العزيز أن لا يسيء العلاقة بسبب هذا النصاب. وإنها لحصافة وأنها لتأديب للذين طمعوا أعرفهم واحداً واحداً كما أعرف النصاب.

أما صورة السماح وتاج العظمة . . فقد كان في ذروته الثانية . . كان جالساً يستقبل الزائرين في بيت عبد العزيز محمد الخريجي الذي نزل فيه في المرة الثانية، فليس لعبد العزيز بيت ملك شخصي في المدينة مع أن كل الأرض فيها ملكه، كان جالساً فإذا أخونا صديقنا حسن خشيم البقال يتقدم بشكوى حين وصلت سيارة فيها (تتن أي السجائر) صودرت، فقال الشاكي: بضاعتي مجمركة دخلت بإذن، أرجو ردها إلي.

فنهره الملك عبد العزيز وكأنما أمر بسجنه . . وكان حسن خشيم شاباً أصابه الهلع، ففقد أعصابه. وقال يخاطب الملك العظيم هكذا: (هو يا شيخ أنت جاي ضيف أو جاي تحسدنا) فسطع ضوء السماح على الملك وقال باسمراً راحماً: «والله أني ضيف . . أطلقوه ردوا حقه».

هكذا كان عبد العزيز حصيفاً في الأولى. سموحاً في الثانية، وما أكثر الصور لو سنحت الفرصة لي أن أكتب عنه، رحمه الله، وأخزى الله كل عدو مخرب للأمن جاحد حاسد.

الشعب الإمبراطور

وتحدث إليّ أحد الأبناء، وقد كان في دولة من دول الأطلسي، قال: ساقنتني المصادفة إلى اللقاء برجل من شعب النمسا، فأخذ يتدفق في الحديث تارة في حسرة وأخرى أسمعته شديد الفخر، كانت حسرته على زوال الإمبراطور في النمسا، وكان فخره أن شعب النمسا مازال شعباً إمبراطورياً ولو خلا عرش الإمبراطور واعتلى كرسي السلطة رئيس جمهورية، قال: لقد ظن اليهود بأن شعب النمسا قد مات فيه مشاعر الإمبراطورية، فلا بد أن يرضخ لحملة اليهود وتحامل الذين خدّهم اليهود وأسكرتهم السلطة، فلا ينتخب شعب النمسا زعيمه فالدهايم، وفوجيء اليهود بأن شعب النمسا لا يقعقع له بالشنان ولا يخضع للشنتان. ذلك أن احترام الشعب لنفسه لا يخضع لحملة يخاف عقابيلها مع أنه لو خضع شعب النمسا لكانت العقبة خسرانة قيم المشاعر الإمبراطورية.

فهذه المشاعر هي التي كانت أول من أشعل الحرب العامة الأولى، لأن ولي عهد الإمبراطورية قد اغتالوه، فإذا مشاعر الشعب ثارت وأثارت.

ورغم أن النمسا الأرض في حوزة القرب من الاتحاد السوفيتي، فلم يخضع تراب أرضهم للتقسيم، واشتعلت الحرب العامة الثانية، فإن بدأت بغزو بولندا من هتلر فقد اشتعل وقودها أكثر حين غزا هتلر (السوديت)،

فلو لم يكن شعب النمسا إمبراطورياً لكان على غير ما سجله التاريخ .
وأنتخب شعب النمسا فالدهايم وخسرت حملة اليهود وتخاذلت حملات
أخرى .

وقال له الفتى: لقد افتخرت بالإمبراطورية سياسة وتاريخاً، فمالك
نسيت الفخر بموسيقى النمسا وفنه؟ الإمبراطورية قد لا تصنع حضارة .
ولكن النمسا الفن والموسيقى والمؤرخ كل ذلك صنع حضارة!؟

قال: كلامك صحيح، لكنني بصدد المشاعر الإمبراطورية التي هزمتنا بها
حملة اليهود، وقال الفتى: في شعب النمسا يهود، فهل هم مثلك
إمبراطورين، أم أنهم غير ذلك ليحمل (أميل ليدفج، واستيفان زيفاريج
وكرائيسكي) الجنسية المزدوجة، جنسية لليهود لدولة بني إسرائيل وجنسية
التراب الذي ولد فيه أو الذي أعطاه قيم هذا التراب .

فقال ذلك النمساوي: هم لم يفعلوا ذلك ونحن لا نتفاعل مع ذلك،
لم يفعلوا لأنه لا تمايز بيننا حتى لو أرادوا هذا التمايز كما غيرهم في بلد
آخر فإن شعب النمسا لا يقبل ذلك .

من هنا كان لبعض هؤلاء اليهود كالرئيس كرايسكي موقف أعاظ
اليهود وشكره العرب، ثم قال: لماذا نحن مع العرب، ذلك هي مشاعرنا
الإمبراطورية فالعرب سادوا الدنيا بأباطرة . . بحضارة، بل كان هؤلاء
العرب الذين نهضوا إسلامهم قد ساهموا عن طريق الحرب الصليبية
وصقلية والأندلس، ساهموا في النهضة الأوروبية التي طغت بالاستعمار
وبالحروب القومية، فإذا أوروبا أصبحت اليوم تلملم أطراف هزيمة
الإمبراطوريات فيها، وقال الفتى: أليس هؤلاء الأوروبيون من ذوي
المشاعر الإمبراطورية؟ قال: إن مشاعرهم هذه أصبحت تتوارى لتمتص

قطرات الإرهاق سواء من تحالفها الأطلسي أو خشية تحالفها مع الذين هم أصحاب سلطان على هذا الحلف.

وأطرق الفتى لا يتكلم، فسألته: لماذا أنت ساكت ولما يشرق الصباح فأين الكلام المباح؟ فقال وكأنه بدأ ينوح لييوح: سكت عن الكلام المباح لأفكر كيف يمكنني الكلام عن الواقع المستباح، قلت: تكلم على القرطاس، فالقرطاس إن لم يكن له حواس الناس فإنه الموقظ لفكر بعض الناس، فقال الفتى: أليس العرب في الجاهلية الجهلاء كان منهم الأباطرة عاد وثمود والفراعين وحمير. وذو القرنين وكنعان وهنبيال، فزالت دولهم فكانوا عبرة ومن العبرة موعظة. ثم سطع نور الإسلام فإذا العرب يمسكون بأيديهم الإمبراطوريات الأربع. . إمبراطورية الإسلام. . إمبراطورية العروبة. . إمبراطورية اللغة. . إمبراطورية الأرض، كل هذا أمسكنا به نحن العرب، ولكن أيدينا ضعفت عن الإمساك به، فاتنا بالخلاف أن نحافظ على الإمبراطوريات هذه فحسب بل فاتنا أن نحافظ على مشاعرنا الإمبراطورية، حين انتهت إمبراطورية النمسا مازال شعبها إمبراطورياً وحين انتهينا إلى ضياع ضاعت المشاعر، قلت: مالك نسيت إمبراطورية خامسة؟ قال: ما هي؟ قلت: إنها إمبراطورية الصحراء، كانت هي السلاح الأول في يد القبائل، حجزت (نبوخذ) و(كسرى) و (قيصر) وفتحت الطريق (لأبرهة) ليتم له الهلاك في المكان الذي هلك فيه (وادي محسر) إنه من أرض الحرم أصبح مكاناً عذاباً فالقبائل في الصحراء لم تصبر على ضيم البشر فقاومت عبور البشر إليها، ولكنها صابرت ضيم الدهر إذا لم تمطر السماء، إنهم الصابرون على قضاء الله لكل من اراد العبور إلى أرض الحرم، قال: لم أنس ولكن ماذا ينفع التذكير بكل ما تقدم إذا لم أجد الذين يسمعون بقلوبهم لا الذين يسمعون بأذانهم.

صورة

ربّ يوم بكيثُ منه فلما
ما مضى فات والمؤمل غيب
رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنوننه
وعاد محبيه بقول عاداته
صرت في غيره بكيثُ عليه
ولك الساعة التي أنت فيها
هوى كاسراً كفى وقوسي وأسهمي
وصدق ما يعتاد من توهمي
فأصبح في ليل من الشك مظلم

إيمان سلمان . . لا حقد الهرمزان

وتحت هذا العنوان لا أجنح إلى المفاضلة، ولا إلى أي تفصيل عن إيمان سلمان الفارسي: (سلمان منا أهل البيت).. كما لا أريد أن أجرح قراطيس التاريخ عن حقد الهرمزان وخنجر أبي لؤلؤة.. فنحن المسلمين كعرب نتعظ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وِرَازَةٌ﴾ (الأنعام: ١٦٤).. نتناسى الشعوبية لأن الإسلام دين أمة واحدة لا فرق بين عربي وفارسي ولا بين أبيض ولا أسود.. إنما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ (الحجرات: ١٣)..

فهذا سلمان الفارسي من أهل البيت بينما أبو لهب طرده الله يدخل ناراً ذات لهب.

إن هذه المقدمة أسوقها أتسوق بها العواطف التي لم يكن سوقها القلب وإنما هو يسوقها الانقلاب على الملة.. فالإيراني أو هو كما يحلو لي أقول الفارسي أنعم الله عليهم بالإسلام حتى أنهم اليوم يعلنون (الثورة الإسلامية) ولكنهم لم يحترموا الفاتحين الذين كان على أيديهم هذا الإسلام. هداية الله أهداها الفاتح العربي لا بعنصرية الجنس وإنما هو عصر الإسلام.. أشرق على الفرس.. فإذا منهم صناع الحضارة.. ليس ذلك لأنهم الفرس ولكن لأن كلاً منهم المسلم اعتنق قيم العروبة حين احتضنته الأرض العربية وحين تحصن باللغة العربية.

إن الذين وراء فارس كالأفغان والتركستان كانوا كابناء سلمان لم ينشقوا ولم يعقوا . . فإذا منهم الهداة المهديون .

وبعد هذه المقدمة أريد أن أذكر الإيراني كيف كان يصل إلى الحج . إنه في عهد ملوك الطوائف وتحت سلطان الفاطمي كان لا يعبر إلى مكة عبر الخليج ونجد لأن الطريق غير آمنة ولأن سلطان الفاطميين الإسماعيليين كان حرباً على الأماميين .

لم يحمل الإيراني الجمل ليس لبعد الشقة عبر الصحراء ولكن لقسوة المشقة من حرب الإسماعيليين .

لم يحجوا إلى البيت الحرام عبر الصحراء فكان حجهم على الماء عبر الخليج والمحيط والبحر الأحمر . . حتى إذا وصلوا إلى ينبع كانوا في حراسة من منح الخفارة وهم الظواهر . كان يخفرهم عباس الظاهري . . يصلون إلى ينبع وعلى الجمل وفي حراسة الخفراء يؤدون الحج وما إليه .

ولكن الأمن في نجد وهدأة يام أوصلت الحاج الإيراني لا يركب البحر على السفينة الشراعية وإنما مركبه سفينة الصحراء الجمل .

فأل سعود من أول يوم من أيام إمامتهم حتى هذا اليوم يوم سلطانهم هم الذين أتاحوا للإيراني أن يعبر الصحراء أمناً . . وإني لأتحدى قراطيس التاريخ أن تذكر من قعد الطريق في نجد يسلب الحاج الإيراني . فلا التميمي ولا المزني ولا العجمي ولا العنزى ولا الحربي كان قاطع طريق في نجد .

كانت الخفارة للمراوحة استحوذ عليها الظواهر يوم كانوا يصلون عن طريق البحر . . كان ذلك امتيازاً منحه الفاطميون . . حتى إذا عهد محمد

علي أعطيت الخفارة لميمون وخصوا بها الأحامدة لهم الخفارة في الحجاز
ولهم الخفارة في نجد.

خفارة الحجاز لسعد بن جزي وآبائه وخفارة نجد للأحمدي بن
ناصر.. كان هذا امتيازاً نصبه الحكام. أما الأمن فما ذاقته هذه الأرض بعد
عصر النبي والخلفاء إلا في هذا العصر بسيف آل سعود.. سيف عبد العزيز
بن عبد الرحمن.

أذكر الإيرانيين بكل هذا والذكرى تنفع المؤمنين.. فليرجعوا إلى ما
كانوا يدفعون من إتاوات.. فالأرقام باقية أما اليوم فلا إتاوات ولا خفارات
وإنما هو الأمن.

فأول سبيله ومن وسائل الأمن أن يكون الحج سليماً من الغوغاء لا
تحول الكثرة من شعب مسلم على إخوانهم المسلمين فلا رفت ولا فسوق
ولا جدال في الحج.

العرب هدف . . !!

والأمة العربية مذ كانت قومية في الجاهلية وحين أصبحت بكل القيمة التي لها وبكل القوام الذي كانت فيه . . وبكل القيم التي أنعم الله بها عليها من اللحظة التي سطع فيها نور النبوة على حراء بالكلمة «اقرأ» فإذا تاريخ الأمة الواحدة التي كانت أمية يرتفع إلى فوق حين توحدت شعوبها وقبائلها بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة . . أصبحت الأمة الواحدة . . وأضحت الأمة الفاتحة . . وأمست في ظلام القومية التي إن لم تكن قبائل كما كانت قبل الإسلام فهي اليوم الأقاليم ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٣) وما أصدق قوله تعالى أيضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦) فالفرح الذي يركب الإنسان تبطراً بما ينال من الترف . . ألبس العرب شظف الأخلاق . . فكل فرحهم اختلاق . لأن إهدار الماضي المجيد الحاد خفي . . حين أصبح العربي غير الوفي . كل هذا في أيامنا التي نعيشها . . وضع العرب أنفسهم هدفاً يغير عليهم أعداؤهم بشتى الوسائل . . ولا يغارون على حرمتهم كأنما هتك الحرمات أصبح احترافاً عربياً أكثر منه الانحراف اليهودي . . وأشد منه العدوان من الشعبوية والعنصرية والصليبية .

العرب هدف لطغيان الذين لا أخلاق لهم . ولنضرب الأمثال . حرام على العربي أن يمتلك السلاح إذا كان هو صانعه . ويمكنه شراء السلاح كعملية ابتزاز فاليهود يملكون أقوى الأسلحة من كل نوع: الغازات السامة .

والقنبلة النووية. وطلقات البلاستيك القاتلة.. بينما الفلسطينيون لا يملكون سوى الحجارة.

والمثل الأخير.. فقد أعلنت المستشفيات في أمريكا تطلب ممرضات مصريات أو غير مصريات آسيويات أو إفريقيات.. يطلبون هؤلاء الممرضات براتب شهري قدره سبعة آلاف دولار.. أي أكثر من خمسة عشر ألف جنيه مصري!! راتب شهري مغرٍ.. أضعاف راتب رئيس الجمهورية.. والوزير.

واستيقظت المخابرات المصرية لتبحث عن السبب أفليس في الشعب الأمريكي ممرضات؟

وعرفوا السبب.. فالممرضات الأمريكيات رفضن تمريض مرضى «الأيدز» خشية العدوى، وما دام الأمر ذلك كذلك.. فلتجلب ممرضات من العالم الثالث.. يصبن بالعدوى فيكون الكسب عافية «الأمريكيات» وانتشار المرض الخبيث في شعوب العالم الثالث.. وحين علمت الدولة عن هذا العدوان المدني الحضاري.. منعت ذهاب أي ممرضة لثلا يقتلها الوحش الحضاري. كما أن تهديد إسرائيل للعراق وحشية مدنية على بغداد أم الحضارة الإنسانية.

أليس العرب هدفًا؟! ما كان ذلك إلا من فرقتهم. ولكن الأمر كما قال المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام!

وما سيكون بعد.. هو الضوء الأخضر ينادي جورباتشوف.. ومع هذا فالكفر ملة واحدة.

كانت بيوت الضيافة . . لا فنادق

ولعلّه قد فاتني أن أتوسع يوم كتبت ذكرياتي عن العهود الثلاثة لم أتوسع عن بيوت لضيافة في بلدنا كله قبلياً وحضرياً فالعربي عظيم بالخلتين الكرم والشجاعة، فإذا هو في تاريخ الأدب وأدب التاريخ الفارسي الذي افترس كل القوى التي حامت حوله أو تحاملت عليه، ففي الجاهلية كانت شجاعته وكانت صحراؤه الحامي ذماره والحامية، داره وفي الإسلام كان هو الفارس الذي افترس حين افترش مجد التاريخ وتاريخ المجد فاتحاً فأثار الدنيا بهداية القرآن الكريم واستنارت الدنيا بالحضارة الوسيط.

وبعد هذه المقدمة أسجل ذكرياتي عن بيوت الضيافة فالقبائل والحواضر في الصحراء يفتحون صدورهم للضيف حتى لا يبلغوا الكرم قيم العفو عن ضيف استقبلوه، فإذا هو القاتل لواحد منهم وإذا هم بكرامة الضيافة لا يثأرون وإنما هم يعفون، فأى كرم أكثر من هذا ومذ اتضح، استرشادي وتكامل في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي جدة وما جهلت بيوت الضيافة في القبائل حول تهامة والحجاز فالعراقه واحدة.

ففي مكة المكرمة لم تكن فنادق وإنما كانت البيوت للضيافة للقادمين من أهل العلم والأدب كان هناك البيت يستضيف هؤلاء القادمين إلا وهو بيت الشيخ ماجد الكردي العريان في القرارة فقد عرفنا أنه استضاف الشيخ

يوسف ياسين يرحمه الله وخير الدين الزركلي وكامل القصاب وخالد الحكيم في عهد الأشراف ولعلّه استضاف قبلهم في عهد الأتراك وفي مكة المكرمة أيضاً بيت الشيببي السدنة بني عبد الدار ما أحسبه كان يستضيف إلا من يعرفه أو من طلب منه أن يستضيف الضيف الذي استضافته الحكومة العربية السعودية يوم جاء زائراً مسلماً وموآخياً وذلك هو أمير البيان أبو غالب شكيب أرسلان فمن حصافة الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في مكة المكرمة وهو التقدير لابن الحمولة فلا ينزله إلا في منزل من هم حمولة فإذا حمولة فإذا شكيب الضيف وهو ابن ماء السماء على عبد القادر الشيببي ابن عبد الدار وحان وقت العشاء وقام ابن عبد الدار إماماً يصلي بالضيف ومن إليه فقرأ السورتين ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (الفيل: ١) ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ (قريش: ١) حتى إذا سلم قال ابن ماء السماء أشهد أنني في مكة المكرمة وإنك ابن مكة المكرمة، وفي ليلة زار البيت صديقنا الكبير ذو الخلق الكريم الأستاذ عبد الوهاب آشي فسأله الأمير شكيب مكبراً حين سمع النسبة «آشي» هل أنت من وادي أش يعني ذلك الوادي في الأندلس الذي شاع ذكره في أدب العرب كأنما وديان العرب وأنهرها تعرف وادي آش فقال عبد الوهاب لا. أنا من أندونيسيا لا من الأندلس وأريد أن تعرفوا وادي آش لماذا عشقه الأمير شكيب فمن شعراء الأندلس شاعر وصف هذا الوادي بقوله:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث الحميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وما دام الشيء بالشيء يذكر فأختم الحلقة الأولى عن بيوت الضيافة

بقصيدة رثا فيها الأمير شكيب أرسلان صديقه عبد القادر الشيبى حيث قال
شكيب :

ورثيت صديقي المرحوم الشيخ عبد القادر الشيبى كبير سدنة البيت
الحرام وعين أعيان مكة المكرمة . .

سلاني هل على بعدي سلاني
وهل فارقته إلا تواليت
صديق نادر الأمثال فيما
وغطريف تعز به قريش
من النفر الألى سادوا وشادوا
عريق المجد أروع عبدي
وكيف يكون من ينميه أصل
وكيف يكون مضطلع بأمر
أقر الله للشيبى حقاً
تغيرت البلاد ومن عليها
وقد ضموا إلي ما أورثوه
وكان عميد هذا الوقت منهم
يهز به الحجاز أخا مضاء
وإذا فارقته في أرض وج^(١)
كأنى قد شعرت لدى وداعي
ولما جاءني منعاه أذكى

وهل كان المغيب سوى العيان؟
رسائله علىّ بلا توان؟
عهدت وما له في العهد ثان
له في كل مكرمة يدان
وجادوا للأقاصي والأداني
له شأن يكذب كل شأني
كعبد الدار أو عبد المدان؟
تسجل بالمثالث والمثاني
سدانة بيته طول الزمان
ورتبة آل شيبة في أمان
تميزهم بأخلاق حسان
يشار إلى علاه بالبنان
إلى العلياء كالسيف اليماني
وجا^(٢) قلبي التياع كالسنان
بأنى لن أراه ولا يراني
ضلوعي واستهل المدمعان

(١) وج هي الطائف وكان وداعي له هناك ولم أره بعدها.

(٢) وجاه بالهمزة ضربه بالسكين ونحوه في موضوع كان وخفف هنا للوزن.

صُور . . ثلاث

وهذه الصور المثلثة، تصويب ورثاء واعتذار، ولعلّي أزيدها صورة ليست الرابعة - وإن كانت - وإنما هي رابعة .

فالصورة الأولى التصويب هي التي عن مسيل العقيق حيث أخطأت في ذكرياتي ولم يكن هذا الخطأ عن جهل وإنما هي عجلة الإملاء ولا أقول سبق اللسان وإنما هو بعض الإهمال الذي تعودت أملي ما أكتب ويضيق صدري أن استقرأ ما أمليت لأجد الصواب ولأعرف الخطأ وكم من مرة أزمعت أن أثوب إلى رشد فتأخذني الثقة بمن أملي عليه ألا أضعه في موضوع الشك .

وهذا التصويب من الابن الصديق الشاعر الأستاذ حسن مصطفى الصيرفي المدني العقبى الجزائري تلفن إليّ قائلاً: لقد قرأت في ذكرياتك أن العقيق يسيل شرق الجبل (عير) ما بين الحرة والجبل . وهذا خطأ قلت له: نعم لقد أخطأت فأنا أعرف أنه يسيل ملامساً غرب (عير) بين أدنى الحزم من هضبة الفريش والجبل . فهو يسيل على ذي حسي أبيار على الذي يحرم منه الحاج من المدينة وكأنه أبعد ميقات الإحرام . فكيف أنسى . وقد سال عرماً في أواسط الخمسينات الهجرية في ليل أليل أيقظنا من النوم وبيتنا على العدو اليمنى من بطحان فيما يسمى السيح . وكان ذلك أوائل الصيف يوم كنا ننام على الأسرة من الجريد فوق السطح سمعنا الدوي

هديراً عارماً حتى إذا صحونا وقد أشرقت الشمس سمعنا أخبار هذا الوادي . نال من جسر السكة الحديد ونال من عين الزهرة وردم الآبار في الجرف ومنها بئر رشيد السراني وانحرف عن مجراه فقد كانت عدوته اليمنى قريبة من عيون الخيوف التي يعانقها أحد . فإذا هو يميل على العدو اليسرى ينال من خيف الشنبيلية وأم البيض . فهو - كما ذكرت ولما أشكرك عليه - يسيل معانقاً ضرس غير ثم يعتنق حرة واقم وتعانقه الجماء .

ولعلّ أهل المدينة يعرفون أن آبارهم وعيونهم لا تشبع إلا من وادي العقيق . فلا قناة ولا بطحان (أبو جيدة) يشبعان البئر والعين بالماء فنسأل الله أن يغيث المدينة المنورة بالعقيق . فهو غوثها من فضل الله وهو ربيعها يوم كانت تعيش الترف يسيلها عن القرف . هو سلوتها ترفاً لعواطفها وإن كان شظفاً من الذين من حقها عليهم أن يتعاطفوا معها . فشظف المادة والقرف من المدد رفضتهما التربة الغزلة .

والصورة الثانية، رثاء للصديق الأستاذ عبد الله سلامة الجهني، أو هو الجهيني ينتسب إلى القبيلة التي تحتضن رضوى وعيون ينبع النخل ووادي الحمض، أن هذا الأستاذ قد عرفته في القاهرة يوم كان طالباً متوقداً الذهن يجري وراء المعرفة التي قد يقيدها، فدراسة المنهج ليست غايته وإنما الغاية أن يشبع فكره وتفكيره من ثقافة وعلم، عرفته صديقاً للأستاذ عبد الرحمن طيبة زميل الدراسة معه فوجدته الذي أرجوه مثقفاً لا يبيع تفكيره، وإنما هو يشتري الفكرة في أي كتاب . هو مدين لمعرفة السلبيات . هدته إلى الايجابيات . فكثيراً ما كان الباطل السبيل نور الوجدان بصدق الإيمان ثم تواصل بكل الصلة معي . . يشكو أو يستشير، وآخر لقاء بيني وبينه كان في النادي الأدبي نادي المدينة المنورة . فرأيته وقد ركب الممل من ضحولة الذين ما كانوا مثله وتكونوا قبله . تكون المادة بوسائل تنحرف بها المعرفة

لأن الاحتراف يزيد به الاغتراف من المادة ويسلط الانحراف على المعاني، وهو البدوي القبلي لا يعرف إلا استقامة الطريق. له مؤلفات في الأنساب والتفسير وغيرها لم أحط بها. ولكنها تحيط بالذين يلبسون الأنصاف كبرياء ويرفضون الاعتساف تكبراً.

يرحم الله هذا الجهني، الذي ينتسب إلى قبيلة عريقة القدم عمرت مساكنها كما عمّرت جنوب مصر وشمال السودان. إن جهينة نسب لا حلف احتفظت بالنسب فلم تكن مطية جور لحساب سلطان ولم تكن فاعلة الجور إلى مدينتها المنورة.

والصورة الثالثة، اعتذار للأستاذ الدكتور الحسيب النسيب نايف الدعيس، فما كان لي أن أتأخر لا اسمع محاضرتة في نادي جدة الأدبي. فقد كنت مشغولاً في حفل أقمته في بيتي لحفيدي الدكتور أسامة إبراهيم ناصف القادم من كندا يحمل شهادته العليا في الطب وأخيه جمال إبراهيم ناصف حامل الماجستير والقنصل في سفارتنا بالجزائر. وبالابن بنوة الصهر الأستاذ طلال عبد الرحمن داعوس أحد أعضاء سفارتنا في لندن فتكريم هؤلاء شغلني عن الحضور وألا فالدكتور نايف ليس هو ابن اللبون حاشياً لا يقوى على الحمل وإنما هو من البزل القناعيس. ولست (الناب) لا أتحرك من عطني بل نادي جدة هو من أعطاني لأنه أعطاني، والأبل تحن إلى إعطائها. ما أنا إلا بدوي ما زلت أحب العطن أي الوطن فتحية للدعيس لأن صداقتي لأبيه يوم كان تلميذي وأنا معلم صبيان وتقديري لجده يوم كان ذا طول لا يتناول به على أحد.

والحلية بعد المربعة لا الرابعة كانت في المسجد النبوي بعد صلاة العشاء فاقبل عليّ طالب علم فأجرينا حواراً وقد جاء فيه كلام ووصل إلى معرفة المثلث فقال: المثلث لا ظل له، وتلا الآية: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي

ثَلَاثُ شُعَبٍ . لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَهَبِ ﴿ (المرسلات: ٣٠ - ٣١) فقلت كيف؟ فالآية وصفت المثلث ذا ظل ونفت أنه لا ظليل أي لا يظلل أحداً لأنه ضعيف الظل . ولتعرف إن عود الكبريت له ظل فالمثلث له ظل لكنه لا يتسع لأحد يتظلل تحته فقال: كيف فاتني ذلك؟ قلت: لأنك ما زلت على حالك انطبعت عليه فألبسك الحالك تنفي الظل عن المثلث .

حرب السلام . . دولة فلسطين

وفي حفل المنظمة في مدينة جدة، أقامته المنظمة تذكيراً باليوم الأول الذي أعلنت فيه المنظمة بلسان «فتح» الحرب كثورة الجهاد في انتظام المقاومة ضد الاحتلال اليهودي لأرضنا «فلسطين». وقد شرفوني كما دعوني أن ألقى كلمة في هذا الحفل كما سبق لي ذلك. وحين ألقىت السلام على أهلي وإخوتي عربيين سعوديين، وعربيين فلسطينيين، إذا بي أنقمص قيم هذا البلد حرماً وسياجاً فوجدتني أقول:

في أكثر من مرة سابقة كان يلبسني اليأس . . أما اليوم وقد أعلنت فلسطين بقرار المجلس الوطني وفي الجزائر قيام الدولة الفلسطينية حين ذاك وفي هذه اللحظة قد التحفني اليأس من قوة الاستجابة عالمية وعربية، كل منهما ربح بقيام هذه الدولة. فإذا أول النصر انتقال هيئة الأمم من مقرها الدائم إلى مقرها المؤقت تكريماً لدعوة السلام. واعترافاً بهذه الدولة وتشجيعاً لكل ما صرح به ياسر عرفات . . قيام الدولة الفلسطينية الاعتراف بهذا الأمر الواقع وجود دولة إسرائيلية في حدود قرار هيئة الأمم الذي اعترف بها. وفي تحديد قرار مجلس الأمن اللذين يرفضان احتلال الأرض في يونيو عام ١٩٦٧م. وأقبلت الدول العربية معترفة بدولة فلسطين تقام فيها سفارات هذه الدولة، أن هذا البأس هو وكل العرب كانوا مع السلام، فمن العيب أن يطلق أحدنا على ياسر عرفات مدينة الاستسلام، إن الذين أطلقوا

ذلك على ياسر عرفات قادهم غضب الخصومة إن لم يعرفوا أنهم يشتمون العرب كلهم الذين اعترفوا بدعوة السلام والذين اغترفوا من هيئة الأمم احترامها لكلمة ياسر عرفات حين انتقلت رافضة الرفض الذي منع الزعيم الفلسطيني أن يصل إلى مقر الهيئة الدائم، كأنما الأمم كلها في هيئتها قد انتقلت إلى فلسطين ناصرة لا تخاف. فزمن العمالة التي ارتخت بعض الدول نفسها لحساب اليهود.. فلول لم تطغ حكومة اليهود تقتل فتیان الحجارة، وتجهض الأمهات لما كانت هذه الثورة العالمية على الظلم على النازية الجديدة التي يمارسها اليهود الذين خدروا بعض القوى يحاربون النازية القديمة من أجل اليهود. فإذا «تل أبيب» العاصمة الثانية للنازية الجديدة.

إن الموقف الأمريكي يستعين بياسر عرفات لكشف الإرهابيين الذين فجروا الطائرة في سماء إسكتلندا. فهذا الموقف من الولايات المتحدة قد رفض اتهام الفلسطينيين بهذا العمل الشنيع. . لأن عملية التعتيم مارسها المحققون أول الأمر لم ترض عنه الولايات المتحدة كما أن الإعلان عن بعض الأطراف بأنهم وراء هذا التفجير، رفضته الولايات المتحدة أيضاً لأنه تعتيم على صورة أخرى، فاليقين عند الولايات المتحدة أنهم غير الفلسطينيين وغير العرب المسلمين، فهما لا يملكان هذه القوة في قبلة لعلها إن وضعت في الطائرة فإنها قد فجرت بقوة إشعاع سلط عليها من مسافة بعيدة وهي تحلق في السماء.. هذه القوة لا يملكها إلا الموساد «المخابرات الإسرائيلية»، ومن هذا التعتيم أن أرسلوا خبراً عن طائرة مماثلة أوجدوا فيها انفصلاً في أعلاها لتصدق الولايات المتحدة الخبر الأول بأن الطائرة قد انفجرت بسبب هذا الانفصال في جسم الطائرة.. فالاستعانة بياسر عرفات لم يكن عن توكيد الصلة به. وإنما هو الإشارة الأولى لتدمير

الصلة باليهود. فهل ياسر عرفات صاحب استسلام وهو يأخذ من الولايات المتحدة هذا الموقف ضد اليهود؟ لا، إنها حتمية الزمن وبراعة الموقف بدعوة السلام.. فالسلام هو الحرب ضد اليهود لأنه يحرمها المدد من المعينين لها، فكل ما تقدم من السلبيات كان هو السلاح في يد اليهود ضد العرب.. أما هذا الإيجاب فقد أصبح السلام ضد اليهود. وفي هذه الكلمة قلت على ما قاله شاعر يصف اليهود بقوله «النازية» فقلت لماذا التهرب من إطلاق حرب السلام قضى على اليأس الذي مضى عليه زمن لم تدرك القضية الفلسطينية نصراً على اليهود؟ فإذا النصر في إعلان غصن الزيتون دعوة السلام.

اليهودية على كل يهودي، فمن العطاء لليهود أن تنحرف إلى تسميتهم بالصهيونية أو النازية. فقالوا اليهود.. تعلموا من قرائكم أنعم عليهم الله كبنى إسرائيل، فلما كفروا بنعم الله كان النعت لهم أنهم اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين.

وأخيراً فإن تكريم المملكة العربية السعودية للفلسطينيين لم يكن إلا الالتزام بمواقف التأييد للإخوة المؤمنين العرب لموقف الاحترام بالأرض المباركة بالمسجد الأقصى القبلة الأولى وليس آخراً أن نستشهد بكلمة الرئيس محمد حسني مبارك قالوا له:

لماذا لم تقطع علاقة مصر بإسرائيل، فقال: قطع العلاقة بين مصر وإسرائيل سهل ولكن الصعب أن نترك الولايات المتحدة في جيب اليهود ليس في هذا استسلام وإنما هي الحرب بغصن الزيتون.

الإيمان حرية بلال وسلمان

وما أكتب عن الإيمان للإشادة أو للإفادة، فالذين اعتقدوا فاعتنقوا ليسوا في حاجة إلى تذكير، والذين لم يعتنقوا لا ينفع معهم التذكير. تمذهبوا حين أعجبهم الطارف من نزع إبليس فانشقوا على التالد تبعاً لأدونيس. بعض هؤلاء أعرفهم بسيماهم، بريق عيونهم كاذب ونظرة الجبين نحاسية. يذهب طلاؤها كما يذهب طلاء النحاس.

ولا أدري كيف يحترمون حاضرهم ويعملون لمستقبلهم وهم الساخرون بماضيهم. ومن حيث أردت أن أكتب عن هذا تذكرت إيمان بلال العبد الحبشي لأقارن بينه وبين إيمان سلمان الحر الفارسي الذي استرقوه حين سرقوه. فإذا المقارنة تمنحني أن إيمان بلال أسرع به إلى الحرية وإيمان سلمان تسارع حاله إلى العبودية، عبودية البشر زالت والعبودية لله ما زالت عالية.

إن بلالاً ما كان على علم يدلّه على أن نبياً خاتم رسل سبيعث ولكن حين صدع الرسول على الصفا بشيراً ونذيراً حانت الفرصة لبلال أن يغتنمها لينال الحرية، فإذا الإيمان يناله النصر من بلال. فطلب الحرية كان وسيلة حتى إذا أشرق نور الإيمان في قلب هذا العبد المسترق كانت الكلمة كلمة التوحيد مشرقة على لسانه (أحد أحد). رضي بالعذاب يصبه أمية ابن خلف على جسد بلال بينما الإيمان قد انتصب في فؤاد بلال كأنه بلسم الجراح لا

ويأتي نصر الله في بدر. فإذا بلال يمسك برمية الله، يفتش عن أمية ابن خلف: (لا نجوت إن نجا أمية).. حتى إذا رآه بين يدي عبد الرحمن ابن عوف يستأسر عدا بلال لا ويأتي نصر الله في بدر. فإذا بلال يمسك برمية الله، يفتش عن أمية ابن خلف: (لا نجوت إن نجا أمية).. حتى إذا رآه بين يدي عبد الرحمن ابن عوف يستأسر عدا بلال لا يسأله عن ابن عوف صديقه، صاحبه، المؤمن معه يضرب أمية الذي كان يعذبه بقتله، فإذا عبد الرحمن ابن عوف الصحابي الجليل لا يمنع بلالاً. لكنه قال «يرحم الله بلالاً قتل أسيري وحرمني سلبه».

ونأتي إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه. كان حراً طليعة في فارس عرف خبر المبعوث رحمة للعالمين. ترك وطنه لأنه يريد أن يترك المجوسية رفض فؤاده أن يظل مزدوكياً مانوياً زردشتياً لأنه لم يطمئن إلى مجوسية تعبد إلهين إله الخير وإله الشر، النهار والليل، وقد فسرنا لنا المتنبى لأن المناوية تضم الليل إله شر.. قال المتنبى أحمد ابن حسين: «وكم لظلام الليل عندي من يد».

يخبر أن المانوية تكذب فكذبها قبل المتنبى سلمان رضي الله عنه يطوي الأرض شبراً شبراً حتى وصل إلى المدينة المنورة فإذا هو الرقيق سرقوه فاسترقوه فكم سرقوا من الروم ومن الفرس وأمن سلمان عن معرفة هدفها الإيمان وإن استهدف سلمان إلى أن يسترق. وطلب سلمان الحرية ليتمتع بإيمانه لا يعيش في بيت مشرك، فإذا الله ينعم على سلمان بالحرية التي ما أرادها سيده، وإنما هي إرادة الله حين أعمى الله بصيرة سيده يكتب سلمان على العتق ويشتد في الشرط لأنه يريد بهذا التعسير ألا يصبح سلمان حراً. اشتد في الشرط يكتبه سلمان بتوفيق الله على أن يغرس مائة نخلة. شرط صعب لا يطبقه سلمان. ولكن نعمة الله أعمت

السيد وأنارت بصيرة العبد. لقد ظن سيده أن سلمان لا يستطيع أن يشتري الصنوان وأن يحفر مائة حفرة لمائة نخلة. ولكنه رسول الله ﷺ ولكنهم الأنصار والمهاجرون بذلوا العون لسلمان. جلبوا الصنوان. حفروا الأرض زرعوا المائة في بضعة أيام أو بعض يوم وإذا سلمان عتيق وإذا الإيمان عتاقة وعراقة. وإذا رسول الله ﷺ السيد في هاشم بل في قريش بل وبل هو سيد الناس جميعاً يقول تكريماً لسلمان من كرامة الوحدة في المسلمين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) قال ﷺ: سلمان من آل البيت، أهو المولى بالعتق أو هو الحليف بعرف العرب؟ لا.. هو الإيمان.. هو الإسلام.. جعل سلمان في ثبت بني هاشم رضي الله عنهم أجمعين.

وتأتي صورة ملحقه عن خوف عمر من السابقين وجبروت عمر على الذين هم صناديد.. صناديد قريش أو عواهل العرب، ويأتي يوم يقف أبو سفيان صخر ابن حرب يستأذن على عمر رضي الله عنهما فتأخر الإذن وجاء بلال وسلمان وصهيب يستأذنون فأذن لهم قبل أبي سفيان كأنما عمر قد أراد ذلك وكان مع أبي سفيان سهيل ابن عمرو الشهيد في اليرموك، فقال أبو سفيان: والله ما رأيتك اليوم نستأذن فلا يؤذن لنا، ويؤذن لهؤلاء العبد.. كان ذلك صعباً على شيخ قريش فقال سهيل: لقد دعوا فاستجابوا ودعيت فلم تستجب.

وعن بلال وقد علا صوته ليؤذن فوق سطح الكعبة فإذا بعض الطلقاء يعجب من هذا الغراب الأسود كيف علا سطح الكعبة. وما يدري أنه ليس الغراب الأسود وإنما هو سؤدد الإيمان.. سؤدد كلمة التوحيد.. ذلك السؤدد الذي أورثهم إمبراطورية عظمى.

أيام وليالي

وكثيراً ما ابتعدت عن ندوة الأحد في نادي جدة الأدبي ولم تكن المسافة طويلة تمنع، وإنما كان هو التسويق غير أن (سحمي) الهاجري خريج المدرسة في بحرة، لعلها كانت صغيرة الحجم ولكنها كانت شهيرة الاسم كبيرة في أذن الذين عرفوا (بلاط الشهداء) لأن الهزيمة في هذه المعركة القصة الأولى في هزيمتنا حين تفرقنا فخرنا الأندلس . . هذه المدرسة التي نشأ فيها الهاجري أحسبها منحة ألا يهجر تاريخه ولو كان يحمل لقب الهاجري، فهذا الفتى أدرك بإيحاء الهزيمة يتدارك يكتب عن القصة فأحسب أن الكلمة عنده تنتصر حينما تسجل ما فات لعل من يسمعه يعمل ما هو آت . . لقد جند سحمي نفسه بصبر قد لا يطيقه غيره فإذا هو قارئ يحكم للصحيفة ناشرة القصة ليكون هو المحكوم منها وبها ولها فناً أكثر ما بذل، يذكرنا بما كنا نعرف إذ كنا لا نعترف، فما ترك صحيفة ولا مجلة صدرت في هذا البلد إلا وهي في موضع الصدارة عنده يدرسها، ويحكم مدحاً أكثر من قادح لأن الفرحة عنده منحة رضاء النفس .

مرحباً بالترك سنداً للعرب

وأخذت أصفق معتزلاً بموقف حكومة تركيا وعواطف شعبها، أعلنت إسلامها حين شمخت به لا تستسلم لقرار الكونجرس اتهم العراق بأن بغداد أحرقت الأكراد بالغازات السامة من تلك الأسلحة الكيميائية، التي إن ملكها العراق فإنها ما اشتراها العراق إلا من صانعها عضو الكونجرس أو عضو حلف الأطلسي، أتحمون استعمالها وتحللون بيعها؟! هو «البنس» أخضع الكونجرس لطغيان اليهود، وما أسرع ما أصدر الكونجرس قرار العقاب للعراق يتهم بغداد أمّ الحضارة الوسيط بأنها أهدرت حقوق الإنسان حين أحرقت الأكراد مع أن الخبر كاذب ولكن حماقة القوة فرضت عنفوانها.

وجاءت أقوال المعتصم.. اترك، كأنما المعتصم حين لبي الصوت الزبطري وهو بن أخت للترك وجالب العزة لهم. فإذا الترك يلبون الصوت البغدادي يحمون حرمة الإسلام واحترام الجوار، أنهم في هذا الموقف كانوا لجدهم عثمان خان حين حلت عليه البركة بدعوة الشيخ «أدولي»، فقد احتمت ابنة الشيخ فأنقذها من الأمير السلجوقي، ويرفع الشيخ يده إلى السماء يدعو لعثمان خان فإذا ابنة الشيخ أم العثمانيين السلاطين الخلفاء.

ولأن الترك ورثوا خامس ملوك الإسلام سيدي محمد لفتح الذي أنهى دولة الروم من الشرق ليصدق الخبر «لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها

ولنعم الجيش ذلك الجيش، بل ولنعم ذلك الشيخ «آق شمس الدين» كأنما هو على سنن محمد بن واسع على سنن العز بن عبد السلام، فهل أجد الشيخ يدعو لتورقوت أزوال يقف ناصراً للعراق؟».

فالموقف التركي يرفض قرار الكونجرس عزمة الأقوياء بتاريخهم، وفاء المسلم لإسلامه، حرمة الجار لجاره.

إن تركيا عضو في حلف الأطلسي وهي من أقوى دول الحلف، لأنها رأس الحربة في النصير الأيمن للحلف الأطلسي، تحدث الاتهام لأنه كذبة يهودية.. ولا تسألوا عن غضب الكونجرس!؟

تركيا النصير القوي لحلف الأطلسي لم تسأل، فمارست التحدي لقرار الكونجرس.. «أطبائنا وخبرائنا لم يعثروا على كردي واحد تسمم بالسلاح الكيميائي».

صفقت الدنيا كلها لموقف الترك.. دنيا الشعوب لا دنيا الزعماء في حلف الأطلسي وفي حلف وارسو وفي تحالف الصهيونية، لكن زعماء العرب وقفوا مع العراق لأنهم العرب، لأنهم المسلمون ولأن إهانة العراق بصورة أو بأخرى هوان العرب على أنفسهم.

إن تركيا اليوم غفرت للعرب بعض ما كان منهم عليها، وجاء العرب يمدون يدهم للترك، كأنما الأناضول شبه الجزيرة قطعة من شبه جزيرة العرب.

- ولدينا من أخبار تراثنا هذا الخبر «اتركوا الترك ما تركوكم وذروا الحبشة ما وذروكم» وسقط عليّ فهم لهذا الخبر المبين فإذا بي أفهم ألا نحارب الترك إذا لم يحاربونا وأن نحترضهم إذا لم يتركونا. فعلى العرب أن يحتضنوا الترك اليوم، لا لأنهم كذبوا الخبر عن هذا التسمم، بل لأنهم

زادوا على التصدي التحدي، حين أخرجوا الذين صدقوا اتهام اليهود بدأوا يلتفون إلى التراجع بحركة مسرحية يطلبون لجنة من الخبراء تذهب إلى تركيا تفحص الأكراد. فصرخ أبناء سليمان القانوني.. لا لن نقبل لجنة تحقيق، لأن هذه اللجنة تشكيلها تكذيب لصدق الترك، ليس لأنها شكلت أو لأنها تصل إلى تركيا، بل الأدهى والأمر أن يندس عضو من اللجنة يستحوذ على كردي باغراء الحقد أو باغراء الثمن فيحدث فيه تسمماً ليكون قرار الكونجرس صادقاً وصدق الترك كاذباً، لهذا رفضت تركيا اللجنة بموقف التحدي.

وجاء الصليب الأحمر يصدق الترك لأن خبراءه لم يجدوا مصاباً بالسلاح الكيميائي. لم يجدوه على السهل أو على الجبل.

إن تركيا العضو في الحلف الأطلسي ما زالت قوة لهذا الحلف، كما أرض العرب وأمة العرب قوة لهذا الحلف قوة الإمكان والمكان، بينما اليهود في فلسطين هي مكمّن الضعف لحلف الأطلسي. لأنها ما زالت الكمين المستتر يسقط هيبة الولايات المتحدة لتسقط هيبة الحلف الأطلسي. والموقف التركي سجل على السماسرة أصحاب أبي رغال سبة العار. إن الولايات المتحدة قادرة على أن تمتص قرار الكونجرس كأنه لا شيء، فباب العرب مفتوح للصديق وباب طهران لم يغلق ولن تفتحه إسرائيل لأمريكا.

وأخيراً، فليتكسر العنت اليهودي وطغيانه، فالشعب الأمريكي وطغيان اليهود هو النذير.

ولقد جاء النذير، فالرئيس ريجان لم يسرع بالتصديق على قرار الكونجرس، وأحسب أن مجلس النواب سيتريث أكثر، فالتريث يحمل قوة

الشك، فالدوافع التي حملت الكونجرس، وهيبة الولايات المتحدة ما زالت في يد الرئيس ريجان، لأن الدنيا كلها تسأل عن هذا الاتهام، أهو حماية لحقوق الإنسان الكردي «بس» فقط لا غير؟ لماذا لم يصدر الكونجرس قراراً يعاقب إسحاق شامير ومن إليه؟

إن اليهود في فلسطين يقتلون الأطفال على أبواب المساجد والعرب في تاريخهم الطويل تركوا رجالاً حبسوا أنفسهم في الصوامع، فلم يقتلوا الراهب أو الراهبة، حتى كنيسة «القيامة» في بيت المقدس أبي عمر بن الخطاب أن يصلي فيها لثلاثين يوماً، واليهود حرقوا المسجد الأقصى، بل أعانوهم بالغازات السامة تسلط على الأمهات لتسقط كل أم «جنينها» ليس الإجهاض جريمة كان على الكونجرس أن يحترف العقاب عليها؟ قتل الشيوخ والأطفال وإجهاض الأمهات مباح لليهود. والكذبة على العراق تستبيح العراق والعرب، ولكن لقد ذهب الرجال أصحاب القبعات العالمية والياقات المنشأة مثل أمثال جيفرسن وإبراهام لينكولن وفورد وفول برايت، هؤلاء الذين سمعوا نصيحة توماس بين حين قال لجيفرسن الذي طرق على الجرس وثيقة الاستقلال في فلادلفيا، سمع جيفرسن نصيحة توماس بين، لا حرية بلا استقلال، فغيروا النهج حاربوا من أجل الاستقلال فرسخوا الحرية والديمقراطية. لكن جيفرسن ومن إليه رفضوا أن يحفروا قبراً لتوماس بين لأنه يهودي. وقبر خارج الولايات المتحدة.

واليوم بعد هؤلاء الرجال أصبحت الولايات المتحدة مقبرة لشعبها والذين يقبرون شعبها هم اليهود.

والشيء بالشيء يذكر. فقد دعا البرلمان الأوروبي الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات. أفسحوا له المجال واستقبله الاشتراكيون وتكلم ياسر، فقلنا

نحن العرب لعلّه بعض التغيير أو هو كل التغيير في سلوك الشعوب الأوروبية ينصفون العرب يرفضون قتل الفلسطينيين.

ولكن ما كاد يجف القلم يكتب كلمة ياسر عرفات حتى أصدر البرلمان الأوروبي قراراً بإجماع يتهم العراق ويفرض العقاب، هل هو ازدواجية السلوك؟ أم كان استقبال ياسر تيسيراً على اليهود لينفرط العسر عليهم صبة فتیان الحجارة؟

إن لم يكن كل ذلك فهو بعض ذلك.

والله أمرنا ألا نثق بالذين لا يتبعون ديننا، يأتي الانتظار فهل ترى البرلمان الأوروبي يعترف بدولة فلسطينية؟ لا، قالها ياسر عرفات.

وهكذا الكردي المتمرد على قومه له حق الإنسان، والعربي في أرضه والإفريقي في أرضه ليس إنساناً له حقوق.